

## قبرس والحروب الصليبية

د. سعيد عبد الفتاح عاشور



الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة سوره الأركية  
www.books4all.net

رئيس مجلس الإدارة

**د. سمير سرحان**

رئيس التحرير

**د. عبد العظيم رمضان**

مدير التحرير

**محمود الجزار**

# قبرس والحروب الصليبية

تأليف

د. سعيد عبدالفتاح عاشور

أستاذ تاريخ العصور الوسطى  
بكلية الآداب - جامعة القاهرة

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٢





## تقديم

يسرنى أن أقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب عن «قبرس والحروب الصليبية، الذى كتبه الأستاذ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، وهو عمل علمى كبير يشهد لكاتبه بالعلم والمقدرة والبراعة.

وقد صدر الكتاب فى طبعته الأولى فى عام ١٩٥٧، أى منذ نحو نصف قرن، وظل محتفظاً بقيمته العلمية دون منازع إلى اليوم، على الرغم من أن الكاتب كتبه فى شبابه، وتحت إشراف أستاذ كبير آخر هو الدكتور محمد مصطفى زيادة.

والكتاب ينقسم إلى خمسة أبواب: الباب الأول، ويتناول علاقة قبرس بالدولة الإسلامية حتى زمن الحروب الصليبية. والباب الثانى يتحدث عن دخول

قبرس دائرة الحروب الصليبية. أما الباب الثالث فيتحدث عن قبرس ودولة المماليك الأولى. ويتحدث الباب الرابع عن قبرس ودولة المماليك الثانية. أما الباب الخامس فيتحدث عن قبرس والترك فى آسيا الصغرى.

والكتاب يتتبع أهمية موقع قبرس كقنطرة بين الشرق والغرب، ويتحدث عن تبعيتها للدولة البيزنطية، وبدايات تفكير المسلمين فى فتح قبرس، وموقف خلفاء الدولتين الأموية والعباسية من قبرس، وتنقل الجزيرة بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية، حتى استرداد البيزنطيين الجزيرة عام ٩٦٥.

كما يتحدث عن استيلاء ريتشارد الأول على الجزيرة فى عام ١١٩١م، وإسهامها منذ ذلك الحين فى الحروب الصليبية. فلما انتهت الحروب الصليبية باستيلاء المسلمين على عكا فى عام ١٢٩٤، لم تنته بالنسبة لقبرس! إذ فتحت أبوابها لكل مغامر يريد أن يشارك فى حرب المسلمين عسكرياً واقتصادياً، حتى أرسل السلطان برسباى ثلاث حملات غزت الجزيرة (١٤٢٤ - ١٤٢٦) واستولت عليها، وجعلت منها ولاية تابعة للدولة المملوكية الثانية.

وقد تابع الأستاذ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور  
هذه الأحداث والتطورات التاريخية معتمداً على أدق  
المصادر المعاصرة وغير المعاصرة.

وأملى أن يلقى هذا الكتاب ما يستحق من اهتمام  
الباحثين والمثقفين.

والله الموفق ، ،

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان



قبرس والحروب الصليبية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تصدير

أثبتت الأحداث التي تعرض لها الشرق الأدنى عقب الحرب العالمية الثانية أهمية الدور الذي يمكن أن تؤثر به جزيرة قبرس في مصائر هذا الركن الهام من أركان العالم . فعندما اضطرت القوات البريطانية إلى الجلاء عن مصر بمقتضى اتفاقية سنة ١٩٥٣ ، لم يجد الإنجليز بقعة أكثر صلاحية لتحقيق أطماعهم في الشرق الأدنى من جزيرة قبرس ، فأتخذوا منها قاعدة كبرى لقواتهم الحربية في شرق البحر المتوسط .

ويفسر هذا المسلك من جانب الحكومة البريطانية ما يقوله أحد الباحثين الإنجليز — وهو سير جورج هل — من أن قبرس قلعة لا بد منها لمن يريد السيطرة على الركن الشرقى من حوض البحر المتوسط . ولعل هذا هو السبب في تمسك الإنجليز الآن بقبرس على الرغم من المتاعب الشديدة التي يواجهونها في الجزيرة نتيجة لما يبديه أهلها من مقاومة بأسلة . وأعظم ما يدل على أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه جزيرة قبرس في مصائر شعوب الشرق الأدنى ، هو ما تكشفته عنه الحوادث الأخيرة عندما حشدت الحكومة البريطانية في قبرس قواتها وقوات حلفائها للقيام بهجومهم الفاشل على مصر في أواخر العام الماضى ، هذا فضلا عن استغلال قرب الجزيرة من البلاد العربية المتحررة في تهديدها والضغط عليها ومحاوله تسميم الرأى العام فيها بإذاعتها المغرضه .

على أن الإنجليز في العصور الحديثة لم يكونوا أول من استغل موقع جزيرة قبرس في تهديد العالم العربى ، إذ سبق أن أدرك الصليبيون في العصور الوسطى



أهمية ذلك الموقع في الحروب الصليبية التي بدأت في أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . وهكذا قدر الجزيرة قبرس أن تسهم بدور فعال خطير فى الحروب الصليبية ، وهو الدور الذى خصصت هذا البحث لدراسته دراسة مفصلة .

ولما كان الدور الذى قامت به قبرس خلال ذلك الصراع الطويل بين المسلمين والمسيحيين فى العصور الوسطى لم يأت لفوا ، وإنما أملتة دوافع متعددة وآذنت به مقدمات كثيرة ، فإنى وجدت لزاما على أن استهل الموضوع ببحث هذه الدوافع والمقدمات ممثلة فى موقع الجزيرة الجغرافى وأثره فى تاريخها العام ، وفى علاقة قبرس بالدولة الإسلامية حتى قيام الحروب الصليبية . ومن الكتب التى أفادتنى كثيراً فى هذا الجزء بالذات توارىخ البلاذرى والطبرى وابن الأثير وهل ، عدا كتب المكتبة الجغرافية .

على أن قبرس لم تسهم فى الحروب الصليبية إسهاما فعليا إلا بعد أن دخلت دائرتها باستيلاء ريتشارد على الجزيرة سنة ١١٩١ م ، وتحولها فى العام التالى إلى مملكة مستقلة تحت حكم آل لوزجنان ؛ إذ غدت الجزيرة منذئذ محط الكثير من الحملات الصليبية والجماعات المسيحية الأخرى التى أتت مجاهدة من أوربا إلى الشرق ، ولم يعطها المؤرخون صفة عديدة على الرغم من أن بعضها فاق الحملات المعروفة فى الأهمية . هذا إلى أن الصليبيين المقيمين بالشام اعتمدوا على جزيرة قبرس فى إمدادهم بالرجال المؤن فى كثير من الأحيان ، لا سيما فى الفترات التى غدا آل لوزجنان ملوكا كذلك على مملكة بيت المقدس الصليبية . واستعنت فى شرح تلك المساعدات التى قدمتها قبرس للصليبيين بأوفى وأدق المصادر الصليبية من عربية وأفريقية ، ولا سيما مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية المعاصرين السماة : *Recueil des Historiens des Croisades* كما رجعت إلى كثير من الكتب المتأخرة التى عاجلت الحروب الصليبية مثل مؤلفات جروسيه وميشو وستفنسن وغيرهم .

ومن المعروف أن الحروب الصليبية لم تنته باستيلاء المسلمين على عكا سنة ١٢٩١ م وإنما ظلت قرونا بعد ذلك ، حملت قبرس طواها لواء تلك الحروب ففتحت أبوابها لكل مغامر يريد أن يشارك في حرب المسلمين عسكريا أو اقتصاديا ، وأسهم ملوكها في مشروعات دعاة الحروب الصليبية طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد ، كما غلغوا على شن الغارات المتتابعة على شواطئ المسلمين . ويبدو أن تطرف الجزيرة نحو الشرق ، وإحساس أهلها بالخطر الإسلامي جعل ملوك اللوزجنان أكثر تحمسا ونشاطا من غيرهم من القوى المسيحية في حرب المسلمين . ومن الكتب التي أفادتني كثيرا في هذا الجزء كتاب الدكتور عزيز سوريال عطية في الحروب الصليبية في العصور الوسطى المتأخرة ، كما اعتمدت في هذا الجزء كذلك على النويري وماشو ، وكلاهما معاصر وشاهد عيان لحملة الملك بطرس لوزجنان على الإسكندرية سنة ١٣٦٥ م .

ولكن المسلمين من جانبهم لم يسكتوا عن عدوان قبرس وملوكها ، فأخذوا يتحينون الفرص للانتقام ، حتى أرسل السلطان برسباي ثلاث حملات غزت الجزيرة ( ١٤٢٤ - ١٤٢٦ م ) واستولت عليها وجعلت منها ولاية تابعة للدولة المملوكية الثانية . وتعتبر هذه الغزوات في مجموعها إحدى الأعمال التي قام بها المسلمون للرد على العدوان الصليبي ، وتعرف كلها باسم الحروب الصليبية الضدية Counter Crusades واعتمدت في بحث الفتح المملوكي لقبرس على أدق المصادر المعاصرة وغير المعاصرة ، وهي كثيرة في العربية واللغات الأوروبية سواء ، مثل كتابات صالح بن يحيى ، وابن حجر ، وأبي الحاسن ، العيني ، والمقرئ ، ونخايراس كما استرشدت في استخدام هذه المراجع بما كتبه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة من بحث في ذلك الموضوع ؛ وهو البحث الذي اعتمد عليه أخيرا خير جورج هل في كتابه عن تاريخ قبرس .

ولم يقتصر عداء قبرس للمسلمين إبان عصر الحروب الصليبية على توجيه الضربات للدولة المملوكية بمصر والشام ، بل تعداه إلى فريق آخر من المسلمين تجاور بلادهم جزيرة قبرس ، وهم الأتراك السلاجقة وما تفرع عن سلطنتهم من إمارات . ولذا أفردت الباب الأخير من هذا البحث لتتبع العلاقات بين ملوك اللوزجنان والأتراك بآسيا الصغرى ، ووجدت في مؤلفات نخايراس ، وماس لاترى ، والعمرى ، ما ساعدنى كثيرا على تتبع أطوار العلاقات بين قبرس والإمارات التركية التى قامت على أنقاض سلطنة الروم السلاجقة .

ولما كان الختام الطبيعى لموضوع العلاقات بين قبرس والأتراك هو فتح السلطان سليم الثانى العثمانى لقبرس سنة ١٥٧٠ م ، فإننى ختمت البحث بهذا الفتح الذى نقل قبرس من دائرة الحروب الصليبية والعصور الوسطى إلى دائرة النضال بين الدولة العثمانية والدول الأوربية فى العصور الحديثة . واعتمدت فى بحث هذا الجزء الأخير على كتابات المعاصرين الذين شهدوا حوادث ذلك الفتح بأنفسهم مثل كالبيو ، وباروتا ، وسوزومينو ، وفالشتى ، وهم الذين جمع كتاباتهم وترجمها إلى الإنجليزية الأستاذ كوبرهام . هذا عدا طائفة من المؤرخين المحدثين استعنت بآرائهم فى دراسة ذلك الفتح مثل هامر ، وهل ، وأومان وغيرهم .

\* \* \*

وبعد ، فإنه لا يسعنى فى ختام هذا التصدير سوى أن أقدم بالشكر إلى أستاذى الدكتور محمد مصطفى زيادة ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة ؛ وهو الذى لم يقف دوره فى هذا البحث عند حد الإشراف والتوجيه فحسب ، بل تعداه إلى المراجعة والإرشاد ، فى روح من العطف والأمانة العلمية يعرفها عنه كل من تاملذ عليه .

فله منى فائق الشكر على حسن صنيعه

المؤلف

فى شهر شوال سنة ١٣٧٦

مايو سنة ١٩٥٧

# فهرس موضوعات الكتاب

صفحة

## الباب الأول :

قبرس وعلاقتها بالدولة الإسلامية حتى زمن الحروب الصليبية ١

## الباب الثاني :

دخول قبرس دائرة الحروب الصليبية ... .. ٢١

## الباب الثالث :

قبرس ودولة المماليك الأولى ... .. ٤٤ -

## الباب الرابع :

قبرس ودولة المماليك الثانية ... .. ٨٤

## الباب الخامس :

قبرس والترك في آسيا الصغرى ... .. ١٢٧

مراجع البحث ... .. ١٨٠

فهرس الأعلام ... .. ١٨٨

تصويب ... .. ٢٠٢

# فهرس خرائط الكتاب

---

صفحة

٧٥	... .. حوض البحر المتوسط الشرقى
٩٧	... .. قبرس فى العصور الوسطى
١٣٣	... .. الإمارات التركية بآسيا الصغرى فى القرن الرابع عشر
١٥٣	... .. الشاطئ الجنوبى لآسيا الصغرى

# الباب الأول

## قبرس وعلاقتها بالدولة الإسلامية

### حتى زمن الحروب الصليبية

قبرس قطرة بين الشرق والغرب — أثر هذا الموقع في تاريخها  
العام — الثروة الطبيعية في قبرس — تبعية الجزيرة للدولة البيزنطية —  
ظهور الإسلام واتساع الدولة الإسلامية — تفكير المسلمين في فتح قبرس —  
غزو معاوية وإلى الشام للجزيرة سنة ٦٤٨ م — نقض القبارصة لشروط  
الصلح مع المسلمين — غزو معاوية لجزيرة قبرس مرة أخرى سنة ٦٥٢ م —  
موقف خلفاء الدولتين الأموية والعباسية من قبرس — تنقل الولاية على  
قبرس بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية — استرداد الدولة البيزنطية  
للجزيرة سنة ٩٦٥ م — استقلال اسحق كومننن بحكم قبرس سنة  
١١٨٤ م .

أختتم القرن الحادى عشر الميلادى بقيام الحروب الصليبية ببلاد الشام ،  
فأخذت القوات الأوربية التى أسهمت فى تلك الحلقة الجديدة من سلسلة النضال  
بين الشرق والغرب ، تؤسس لنفسها دولا وإمارات فى الشرق ؛ كما أخذت  
القوات الإسلامية — وهى الطرف الثانى فى ذلك النضال — تنمو وريداً  
حتى استطاعت أن تقف من القوى الصليبية موقف المجهوم الذى لم ينته إلا بانتهاء  
الصليبيين أنفسهم من الشرق .

والذى يهنا من هذه القصة المتعددة الفصول هو أن الحروب الصليبية ولدت  
فى عشر السنوات الأخيرة من القرن الثانى عشر الميلادى مملكتين مسيحيتين  
جديديتين بشرق البحر المتوسط ، هما مملكة قبرس ومملكة أرمينية الصغرى .  
قبرس والحروب الصليبية -

وهاتان المملكتان على الرغم من تداخل تاريخيهما بعضه في بعض فيئات متعددة ، فإنهما يختلفان اختلافاً بيناً تبعاً للوضع الجغرافي الخاص والأحداث السياسية التي تعرضت لها كل منهما<sup>(١)</sup> . وإذا كانت أرمنية الصغرى قد قامت بدور هام في تاريخ الحروب الصليبية ، فإن قبرس قامت بدور أجل خطراً وأعظم شأنًا لا في تاريخ الحروب الصليبية لحسب ، بل وفي تاريخ الشرق الأدنى كله .

على أن الدور الذي أسهمت به قبرس في الحروب الصليبية لم يأت عفواً أو وليد المصادفة كما يتبادر للذهن ، وإنما يستطيع المتأمل في حوادث تلك الحروب ومسارحها إبان القرن الثاني عشر الميلادي أن يتنبأ بما سوف يكون من نصيب هام فيها لتلك الجزيرة التي تقع من جهة في طريق الحملات الصليبية الواقعة من الغرب ، والتي تطل من جهة أخرى على بلاد الشام . ولا أقل إذاً من دراسة موقع قبرس الجغرافي وأثره في تاريخها بوجه عام ، وأثناء العصور الوسطى بوجه خاص .

تقع جزيرة قبرس وسط الركن الشمالى الشرقى من البحر المتوسط ، بين خطى عرض ٣٤° ، ٣٦° شمالاً ، وخطى طول ٣٢° ، ٣٥° شرقاً . وهى ثلاثة جزائر ذلك البحر الهامىء بعد صقلية وسردينيا ، وتاريخها يشبه تاريخ صقلية بالذات في كثير من المراحل . وتبلغ مساحة قبرس نحو ٣٥٨٤ ميلاً مربعاً ، مما جعل الجغرافيين العرب يعتبرونها من «أعظم جزائر بحر الروم»<sup>(٢)</sup> . ثم إنها تكاد تكون على مسافة متعادلة بين آسيا الصغرى وبلاد الشام مما جعل مصيرها مرتبطة أشد الارتباط بهذين البلدين ، بل إن وقوعها بين ثلاث قارات جعلها منذ القدم نقطة بين الشرق والغرب . ومن هنا يظهر الفرق الواضح بين الجزائر التي توجد مبعثرة وسط المحيطات الواسعة ، بعيدة عن طرق الملاحة والمؤثرات الحضارية المختلفة إلا

---

(١) Stubbs : Seventeen Lectures on the Study of Mediaeval and Modern History, p. 181.

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٣١ .

أحياناً قليلة ؛ وتلك التي توجد في بحار ضيقة وعلى مقربة من شواطئ القارات وما يجرى فيها من تيارات سياسية أو تجارية أو ثقافية ؛ إذ لا يقتصر الأمر في ذلك الصنف الثاني على التأثير بهذا أو ذاك من المؤثرات ؛ بل تكون بمثابة المحطة التي تسخر فيها تلك المؤثرات قبل أن تنتقل عنها إلى ما وراءها من البلاد<sup>(١)</sup> .  
وتاريخ قبرس ورودس ومالطة وكريت وصقلية وسردانية مصداق لكل ذلك ؛ ولعل تاريخ قبرس بوجه خاص هو المثل التوضيحي للدلالة على ما لهذا النوع من الجزائر من أهمية في تاريخ الحضارات<sup>(٢)</sup> . ففي تلك الجزيرة اصطدم الجنس السامي بالجنس الآري ، وبين ربوعها التقى الشرق بالغرب على مر القرون ، وفي رقعتها الضيقة اجتمع الإسلام والمسيحية<sup>(٣)</sup> .

على أن موقع قبرس الجغرافي بين الشرق والغرب لم يكن المصدر الوحيد لأهميتها في التاريخ ؛ بل إن ثروتها الطبيعية جلبت لها شهرة واسعة من قديم الزمان . وأول هذه معدن النحاس الذي اشتق اسمه من اسم الجزيرة في معظم اللغات الأوروبية بل واللغة العربية أيضاً<sup>(٤)</sup> . يضاف إلى ذلك كروم قبرس الممتازة ونبذها الجيد الذي مازال يتمتع بشهرة عالمية واسعة . ثم إن الجزيرة فضلاً عن ذلك تنبت بها الحبوب والخضر والقطن والفاكهة وقصب السكر ، ويستخرج منها الملح والأخشاب وعسل النحل والشمع وزيت الزيتون والميعة والمصطكي<sup>(٥)</sup> .

وإذا كانت قبرس قد امتازت بحسن موقعها الجغرافي وصلاحياتها لأن تكون مركزاً تجارياً وحريراً من الطراز الأول ، كما امتازت بخصوبة تربتها وفرة

---

(1) Febvre : A Geographical Introduction to History, p. 220.

(2) Semple : The Influences of Geographical Environment, p. 427.

(3) Ibid.

(٤) يذكر ياقوت في معجمه ( ٧ ص ٢٦ ) أن قبرس وافقت من العربية التبرس وهو النحاس الجيد .

(٥) السكرخي : ممالك الممالك ص ٧٠ .



غلاتها وتنوع حاصلاتها ، فإن تلك الميزات جاءت في الواقع نكبة عليها وسبباً في استعمارها فينة بعد أخرى<sup>(١)</sup> . وأول ذلك من القطوع به في التاريخ استعمار الفينيقيين الذين قصدوا قبرس طمعاً في نحاسها فخلوا بها زمناً غير قصير<sup>(٢)</sup> . كذلك أسس الإغريق لأنفسهم عدة مستعمرات بقبرس حتى غزاها تحتس الثالث سنة ١٥٠٠ ق . م . وجعلها جزءاً من امبراطوريته المصرية الواسعة . ثم تعاقب على قبرس الأشوريون فالصريون من جديد فالفرس فالقدونيون فالبطالمة فالرومان ، حتى كان تقسيم ثاوداسيوس الأول للإمبراطورية الرومانية بين وولديه سنة ٣٩٥ م فعدت قبرس من نصيب الدولة الشرقية وبقيت تابعة لتلك الدولة حتى ظهور الإسلام واتساع دولة المسلمين على حساب كل من الدولتين الفارسية والبيزنطية .

وقد أدرك المسلمون إبان موجة فتوحهم الأولى أهمية قبرس في سبيل ما عقدوا النية عليه من مهاجمة الدولة البيزنطية في عقر عاصمتها ، كما فعلوا بالدولة الفارسية . والمداخن . غير أنه مما يستبعد من دائرة الاحتمالات التاريخية الرواية القائلة بأن المسلمين غزوا قبرس أول مرة سنة ٦٣٢ م على عهد أبي بكر الصديق ، وأن ممن استشهدوا في تلك الغزوة ابنة أبي بكر التي يعظم مسلمو الجزيرة قبرها المزعوم حتى الآن . ذلك أنه لا يوجد في كتب السيرة وغيرها من المراجع الإسلامية الأولى ما يشير أدنى إشارة إلى احتمال خروج أبي بكر من الجزيرة العربية والقيام بغزوة في قبرس . ثم أنه ليس من المعقول أن يخرج المسلمون في غزوة في البحر المتوسط دون أن يكون لهم بشواطئه ثغر ينفذون منه إلى الغزو . والقصة كلها فيما يبدو من خيال كاتب يوناني<sup>(٣)</sup> .

(1) Lucas : A Historical Geography of the Mediterranean, p. 40.

(2) Ibid.

(3) Hill : A History of Cyprus, p. 283.

والواقع أن معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام على عهد الخليفة عمر بن الخطاب هو أول من فكر في غزو جزيرة قبرس لتأمين أطراف الدولة الإسلامية من جهة والاستعداد لمواصلة الجهاد ضد الدولة البيزنطية من جهة أخرى \* وألح معاوية على ابن الخطاب في طلب الموافقة على فتح قبرس لشدة قرب الجزيرة من بلاد الشام والفتوح الإسلامية حتى أنه قال له مره « إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم »<sup>(١)</sup>. ولكن عمر لم يشأ أن يغامر بجند المسلمين في مخاطرة بحرية ، فكتب أولاً إلى عمرو بن العاص يستشيره ويسأله أن يصف له البحر ؛ فأجابه عمرو بإجابة صارت مضرب الأمثال في وصف البحار إذ قال « إنى رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير . ليس إلا السماء والماء . إن ركن خرق القلوب ، وإن تحرك أزاع العقول ، يزداد فيه اليقين قلبه والشك كثره هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق »<sup>(٢)</sup>.

فلما قرأ الخليفة كتاب عمرو بن العاص قال « لا والذي بعث محمداً بالحق ، لا أحمل فيه مسلماً أبداً »<sup>(٣)</sup>. وبذا نام مشروع غزو قبرس ، ولكن إلى حين. ذلك أنه بعد مقتل عمر ، عاد معاوية إلى الإلحاح عند الخليفة عثمان ؛ فخشى عثمان أن يخالف رأى عمر من جهة ، كما خشى أن يعرض أرواح المسلمين لخطر البحر من جهة أخرى ، فأرسل إلى معاوية يفهمه أنه إطلع على ما سبق أن رد به عمر على المشروع<sup>(٤)</sup>. غير أن معاوية لم ييأس ، إذ كان يعلم أن عثمان غير عمر من حيث لين المريكة ، فاستغل مركزه عند الخليفة الجديد وأخذ يلحف في طلبه مراراً حتى أذعن عثمان ، على شرط ألا يجبر معاوية أحداً من المسلمين بالشام

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ٣ ص ٧٣ ، الطبرى - ١ ص ٢٨٢٠ .

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ - ٣ ص ٧٣ — ٧٤ ، الطبرى - ١ ص ٢٨٢٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٢٨٢١ ، ابن الأثير - ٣ ص ٧٤ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٣ — ١٥٤ .

على ركوب البحر ، فن اختار الغزو طائفاً مختاراً ذهب ، ومن أعرض عن ركوب البحر فلا حرج عليه <sup>(١)</sup> .

وعندما أعد معاوية عدته خرجت الحملة الاسلامية بقيادة من عكا لغزو قبرس سنة ٦٤٨ م ( ٢٨ هـ ) ، بعد أن شاركت فيها مصر بعدد من أهل الإسكندرية العارفين بشئون البحر تحت قيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح <sup>(٢)</sup> . وأسندت قيادة السفن في تلك الحملة الاسلامية البحرية الأولى لعبد الله بن قيس الجاسي <sup>(٣)</sup> . وبدا الاقبال على هذه الغزوة أشد مما كان يتصوره عثمان ، وحسبنا أنه اشترك فيها نفر كبير من الصحابة منهم أبو ذر الغفاري ، وعبيدة بن الصامت وزوجته أم حرام ، وأبو الدرداء ، وشداد بن أوس ... كما أن معاوية اصطحب معه أخته فاخته <sup>(٤)</sup> .

واختلف المؤرخون في تقرير سفن الأسطول الاسلامي في تلك الغزوة . فقدرها بعضهم من الإغريق بسبعائة سفينة <sup>(٥)</sup> ، وقدرها لانيح بمائة وسبع عشرة <sup>(٦)</sup> . على حين ذهب هل إلى القول بأنها كانت مكونة من ألف وسبعائة قطعة <sup>(٧)</sup> . أما المراجع الاسلامية فلم تتعرض لمشكلة العدد في ذلك الأسطول الاسلامي الأول بكلمة واحدة ، ويبدو أن ماردته المراجع السابقة مبنى على ما عرف من أعداد السفن في بعض الحملات الاسلامية على القسطنطينية فيما بعد . وكيفما كان الأمر فإن تلك الحملة وصلت إلى قبرس سالمة ، فطلب معاوية من أهلها التسليم ودفع

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ > ٣ ص ٧٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك > ١ ص ٢٦ ٢٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ > ٣ ص ٧٤ .

(٤) الطبري : > ١ ص ٢٨٢٠ ، ابن الأثير > ٣ ص ٧٣ ، البلاذري ص ١٥٣ .

(5) Jauna. Histoire Generale des Royaumes de Chypre, de Jerusalem, p. 50

(6) Lang : Chypre, p. 105.

(7) Hill : A History of Cyprus, p 284.

الجزية؛ ولكنهم رفضوا وتحصنوا داخل أسوار مدنها ولم يدر معاوية عندئذ ما ينبغي أن يفعل في مثل ذلك الموقف من حروب البحار؛ حتى أشار عليه أهل الإسكندرية بالنزول إلى البر، فوافق على ذلك، ولم يلبث أن حاصر المسلمون مدينة قسطنطينيا بالشاطئ الشرقي واستولوا عليها<sup>(١)</sup>. ثم نزل جنود الحملة بعد ذلك وانتشروا في مختلف الجهات المجاورة « فقتلوا خلقا كثيرا وسبوا سبائا كثيرة وغنموا مالا جزيلا » على قول ابن كثير<sup>(٢)</sup>. وعندئذ أذعن أهل الجزيرة وأرسل أرونها يطلب الصلح، فصالحه معاوية على شروط خلاصتها؛ أن يدفع القبارسة جزية سنوية للمسلمين مقدارها سبعة آلاف دينار، على أن يدفعوا مثلها للدولة البيزنطية ولا يمنعهم المسلمون عن ذلك<sup>(٣)</sup>، أى أن المسلمين لم يهتموا بأن يكونوا سادة الجزيرة وحدهم، بل قبلوا أن تكون مناصفة بينهم وبين الروم<sup>(٤)</sup>. كذلك اشترط المسلمون على القبارسة أن يخبروهم بما سوف يتجهز به الروم للاغارة على البلاد الإسلامية حتى يحتاطوا ويأخذوا عدتهم.

ومن هذا الشرط الأخير يتضح لنا أن المسلمين أدركوا أهمية موقع الجزيرة بالنسبة لممتلكاتهم في الشام، وخافوا أن يتخذها أعداؤهم قاعدة للهجوم عليهم. واشترط المسلمون فضلا عن ذلك أن تكون قبرس طريق المسلمين إلى البلاد البيزنطية. ومعنى هذا الشرط — الذى انفرد بذكره ابن الأثير<sup>(٥)</sup> — أن المسلمين أرادوا أن يجعلوا من قبرس قاعدة للهجوم على بلاد الدولة البيزنطية فيما بعد، وهذا يتفق في الواقع مع ما أشار إليه ابن خردادبه من دأب الأساطيل

(1) Hill : A History of Cyprus, p. 284.

(٢) ابن كثير البداية والنهاية ٧ ص ١٥٣.

(٣) البلاذرى ص ١٥٣، ابن الأثير ٣ ص ٧٤ — ٧٥، الطبرى ١ ص ٢٨٢٦.

(4) Hill : A History of Cyprus, p. 284.

(٥) ابن الأثير الكامل في التاريخ ٣ ص ٧٤.

الإسلامية على التجمع بجزيرة قبرس كلما تأهبت للغزو في بلاد الدولة البيزنطية<sup>(١)</sup>. وأخيراً اشترط العرب على القبارصة عدم تقديم أية معونة إلى أعدائهم .

ثم رحل معاوية عن قبرس في شيء من السرعة لسماعه — فيما قيل — بأن حملة بيزنطية من قبل الإمبراطور قنسطانس الثاني (وهو المسمى أيضاً قنسطنتين الثالث ٦٤١ — ٦٦٨ م) تقترب من الجزيرة<sup>(٢)</sup>. وهو سبب معقول، وإن كنا نظن أن السبب الأرجح في جلاء معاوية السريع يتمثل في الفتنة التي أخذت تدب في جوف الدولة الإسلامية عندئذ ، وإحساس معاوية بضرورة وجوده في مقر ولايته بالشام . ومهما كان الأمر ، فالمعروف أن المسلمين خرجوا مسرعين من قبرس ، وأن أم حرام بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت سقطت عن ظهر بغلتها الراكضة فاندق عنقها ودفنت بالجزيرة<sup>(٣)</sup>. وما زال قبرها حتى العصر الحاضر — ببلدة حلا سلطان تكى — يعظمه مسلمو قبرس ويسمونه قبر المرأة الصالحة<sup>(٤)</sup>. واصل هذا القبر هو أصل القصة التي جمعت لابنة أبي بكر قبرا في قبرس<sup>(٥)</sup>.

وبينما تضرب الفتنة أطنابها في الدولة الإسلامية ، وصلت الأخبار إلى معاوية بأن أهل قبرس نقضوا العهد ، فأمدوا إمبراطور الدولة البيزنطية قنسطنتين الثالث بسفن يستعين بها على حرب المسلمين ، كما بلغ معاوية أن الإمبراطور يعمل على تعزيز قواته بقبرس وزيادتها . ولهذا صمم معاملة من ناحيته على القيام بغزو قبرس مرة أخرى سنة ٦٥٣ — ٦٥٤ م (٥٣٣ هـ) ؛ وكان أسطوله تلك المرة مكونا من

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٥٥ .

(2) Hill : A History of Cyprus, p. 284.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٧٤ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٥٤ ، Hill, p. 248.

(٥) أنظر ما تقدم ص ٤ .

خمسمائة سفينة<sup>(١)</sup> ، ويبدو أن القبارصة كانوا قد ذاقوا الكثير من غزوة المسلمين السابقة فلم تقترب السفن الإسلامية من الجزيرة تلك المرة الثانية حتى فر الأهالي إلى الجبال على حين ركب بعضهم البحر طلبا للنجاة<sup>(٢)</sup> . أما المسلمون فلم يكتفوا بالغزو ، بل ظلوا بالجزيرة حتى فتحوا البلاد التي صالحوا عليها قبلا فتجا حريبا ، وانتهى الأمر بين الطرفين بإقرار شروط الصلح السابقة<sup>(٣)</sup> . ولم يفكر معاوية في الجلاء عن الجزيرة كما فعل أول مرة ، بل أرسل إليها غداة عودته إلى الشام اثني عشر ألفا من الجند ، كما نقل إليها جماعة من أهل بعلبك ؛ وما زال هؤلاء وأولئك يجزية قبرس حتى قيام الدولة الأموية سنة ٦٦٠ م ( ٤٠ هـ )<sup>(٤)</sup> . واعتنى معاوية بأمر تلك الجالية الإسلامية التي أرسلها إلى قبرس فتعهدا برعايته حتى تمكن أفرادها من تشييد مدينة خاصة بالمسلمين في الجزيرة كما أقاموا عددا من المساجد ، مما جعل بعض المؤرخين يعتبرون تلك الغزوة أول خطوة من جانب المسلمين لاستيطان الجزيرة واحتلالها احتلالا دائما<sup>(٥)</sup> .

ثم خلف يزيد أباه معاوية سنة ٦٨٠ م وهنا يقول البلاذري إن يزيداً استدعى إليه تلك الجالية الإسلامية الكبيرة من قبرس ، كما أمر بهدم المدينة التي بناها المسلمون لأنفسهم بالجزيرة . ثم يقول البلاذري في رواية أخرى إن يزيداً لم يفعل ذلك إلا بعد أن رشى بمال عظيم ، وأن القبارصة هم الذين هدموا مدينة المسلمين ومساجدهم بعد جلائهم عن الجزيرة<sup>(٦)</sup> . غير أن فلهوسن يتشكك

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٥٣ .

(2) Hill; op. cit. p 285.

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٥٣ .

(٤) ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٧ ، البلاذري ص ١٥٣ .

(5) Enc. Isl. Art. Cyprus (p. 282) ; Hill, p. 285

(٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٥٣ — ١٥٤ .

في هذه الرواية الثانية إلى حد بعيد لعدم وجود ما يؤيدها في المراجع الأخرى<sup>(١)</sup>؛ ويبدو أنه على حق إذ أنه لا يوجد في المراجع المعاصرة ما يشير إلى أن القبارصة قاموا بأي عمل عدائي ضد المسلمين بل ظلوا على دفع الجزية المقررة ، كما حافظوا على شروط صلح معاوية حتى كانت سنة ٦٨٨ م (٦٩ هـ) وهي السنة التي صالح فيها الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ — ٧٠٥ م ، ٦٥ — ٨٦ هـ) الإمبراطور جستنيان الثاني على أرمنييه وقبرس ، على أن يكون للخليفة ألف دينار زيادة على النصف الخالص بالمسلمين من الجزية القبرسية<sup>(٢)</sup>.

غير أن جستنيان الثاني لم يلبث أن رأى في المعاهدة الجديدة صفقة خاسرة بالنسبة له ، واعتبر أن الخليفة هو الذي خرج منها بنصيب الأسد ، فأخذ يتلمس الأعذار لنقضها إلى أن أتاحت له الفرصة سنة ٦٩٢ م مما أشعل نار الحرب بين الطرفين من جديد ، فعززا المسلمون آسيا الصغرى حتى صاروا على مقربة من الشواطئ الجنوبية لبحر مرمره . وهنا فكر الإمبراطور في نقل جزء من القبارصة عن جزيرتهم إلى آسيا الصغرى ليحرم الخليفة من نصيبه من دخل قبرس<sup>(٣)</sup> ، وبدأ جستنيان الثاني في تنفيذ تلك الفكرة الشاذة فشيّد لهؤلاء القبارصة المهاجرين مدينة بالقرب من شاطئ بحر مرمره سماها « مدينة جستنيان الجديدة » *Novajustiniopolis* نقل إليها أسقف قبرس الذي أصبح لقبه « أسقف مدينة جستنيان الجديدة » . ويقال إن السبب الرئيسي في اهتمام الإمبراطور جستنيان الثاني بأمر قبرس هو أن زوجته كانت قبرسية المولد<sup>(٤)</sup> . كما يقال إن عدداً من المسلمين العرب انتقل عن الجزيرة مع المهاجرين القبارصة إلى تلك المدينة الجديدة<sup>(٥)</sup> . ولا يمكننا تفسير هذا الرأي الأخير إلا على أساس أن

(1) Enc. Isl. Art. Cyprus .

(2) Lang : Chypre, pp. 105—106. ، البلاذري ص ١٥٥ .

(3) Hill : A History of Cyprus, p. 288.

(4) Hammer : Histoire de l'Empire Ottoman, Vol. 6. 392.

(5) Hill, p. 288.

الجللاء الإسلامى الأول عن جزيرة قبرس فى خلافة يزيد لم يكن جللاء كاملاً ؛  
أو أن جماعات من المسلمين جاءت إلى قبرس واستقرت بها بعد ذلك التاريخ .

غير أن تلك المدينة الجديدة لم تدم أكثر من سبع سنوات إذ رأى  
الإمبراطور طبريوس الثالث (٦٩٨ - ٧٠٥ م) أن يعيد القبارسة إلى جزيرتهم  
سنة ٦٩٨ م لما لسه من تأثير الهجرة فى أحوال قبرس حيث قلت الأيدى العاملة  
بها نتيجة لنقص عدد سكانها نقصاً كبيراً<sup>(١)</sup> . وبلغ من عناية الإمبراطور طبريوس  
بتعمير قبرس إنه أرسل إلى الخليفة عبد الملك ثلاثة من النبلاء القبارسة يصحبهم  
أحد كبار موظفى البلاط الإمبراطورى يطلبون منه إنفاذ من عساه يوجد ببلاد  
الشام من القبارسة إلى جزيرتهم ، فأجابه الخليفة إلى طلبه . كذلك أمر  
طبريوس بإعادة سائر القبارسة الساكنين بمختلف أمحاء الامبراطورية إلى  
جزيرتهم ليعمروها بعد أن نقص عدد سكانها نقصاً خطيراً<sup>(٢)</sup> .

ثم بدت جزيرة قبرس مرة أخرى فى مسرح الحوادث بين الدولتين  
الإسلامية والبيزنطية حين أغار معاوية بن هشام بن عبد الملك على قبرس  
سنة ٧٢٦ م (١٠٧ - ١٠٨ هـ) على حين غزا مسلمة بن عبد الملك فى آسيا  
الصفرى . غير أن المراجع لا توضح شيئاً من تفاصيل تلك الإغارة على قبرس<sup>(٣)</sup> .  
وفى سنة ٧٤٣ م (١٢٥ هـ) أرسل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك حملة  
أخرى بقيادة الأسود بن بلال لغزو قبرس وتذكير أهلها بصلح المناصفة القديم .  
ويظهر أن أخباراً وصلت الخليفة وأثارت شكوكه من جهة قبرس وأهلها وعزمهم  
على نقص صلح المناصفة ، فرأى أن العلاج لتلك الحالة هو إخلاء الجزيرة من  
سكانها أو على الأقل انقاصهم إلى الدرجة التى تقلل من خطرهم على الدولة

(1) Lang : Chypre, p. 106 & Hill ; p 288.

(2) Hill ; A History of Cyprus, p. 289.

(٣) الطبعة ١ > ١٤٨٧ - ١٤٨٨ ، ابن الأثير > ١٠٤ - ١٠٥



الإسلامية ، لذا أمر الوليد قائد تلك الحملة بتخيير أهل قبرس بين المسير إلى الشام والمعيشة في كنف الدولة الإسلامية أو الذهاب إلى حيث شاءوا من بلاد الدولة البيزنطية . ونفذ القائد أمر الخليفة فاختارت طائفة من القبارسة المسير إلى الشام والمعيشة به ، على حين اختار آخرون الذهاب إلى بلاد الدولة البيزنطية<sup>(١)</sup> . على أن المعاصرين من المسلمين أنكروا على الوليد عمله وتشريده للقبارسة على ذلك الوجه ، فلما مات عمل يزيد بن الوليد بن عبد الملك على إعادة القبارسة جميعاً من الشام إلى جزيرتهم<sup>(٢)</sup> .

وفي أواخر أيام الدولة الأموية — على عهد الإمبراطور فلسطين الخامس ( ٧٤٠ — ٧٧٥ م ) ظهر بصقلية وباء عظيم لم يلبث أن انتشر في الجهات المجاورة فاتهمز المسلمون تلك الحنة القاسية وأرسلوا حملة حربية كبيرة من الإسكندرية للإغارة على جزيرة قبرس والاستيلاء عليها سنة ٧٤٧ م . وقد استولت تلك الحملة على أحد الموانئ القبرسية وأقامت به مدة لإعداد العدة لفتح الجزيرة كلها ، لكن أسطولاً بيزنطياً أفسد عليها مشروع الفتح ، إذ بقعها وسد عليها مدخل الميناء ، فقطع بينها وبين القواعد الشامية والمصرية ، ثم حطم معظم سفنها حتى أنه لم يبق من ذلك الأسطول الإسلامي المكون من مائة سفينة سوى ثلاث سفن فقط . وهكذا انتهت تلك الحملة الإسلامية « المصرية المصدر » بكارثة عظيمة ، ترتب عليها — فيما يبدو — عدم السماع بحملة كبيرة أخرى تخرج من مصر أو غيرها من القواعد الإسلامية ضد قبرس مدة طويلة من الزمان<sup>(٣)</sup> .

وعندما قامت الدولة العباسية سنة ٧٥٠ م ( ١٣٢ هـ ) ، رأى ثاني خلفائها أبو جعفر المنصور ( ٧٥٤ — ٧٧٥ م ، ١٣٦ — ١٥٨ هـ ) أن ينصف القبارسة

(١) ابن الأثير : ٥ ص ٢٠٦ ، الطبرى : ١ ص ١٧٦٩ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٤ .

(٣) Hill : A History of Cyprus, p. 291.

بالتخفيف عن كواهلهم فردهم إلى صلح معاوية ، وأننى الزيادة التى كان قد فرضها عليهم عبد الملك بن مروان بموافقة جستنيان الثانى ؛ ويروى عن أبى جعفر أنه قال فى ذلك الصدد « نحن أحق من أنصفهم ولم نتكثرت بظلمهم »<sup>(١)</sup> . على أن هذه البداية الطيبة التى ظهرت فى عطف أبى جعفر المنصور على القباصة لم تستمر طويلاً ، إذ لم يلبث أن حذا العباسيون حذو الأمويين فى الإغارة على الجزيرة مرة بعد أخرى كلما نطلب الأمر مضايقة البيزنطيين فى ناحية من إمبراطوريتهم . ومن ذلك ما أشارت إليه المراجع من إغارة غامضة قام بها الأسطول الإسلامى على قبرس سنة ٧٧٥ م (١٥٨ هـ) وقع فيها حاكم الجزيرة البيزنطى أسيراً فى أيدي المسلمين<sup>(٢)</sup> . ويبدو أن تلك الحملة قصدتها صرف الإمبراطورية عن قيايقية حيث كان صمامه بن وقاص يعمل منذ ثلاث سنوات فى فتح ذلك الركن الهام من الدولة البيزنطية ، فروى أن تقوم تلك الحملة بما يخفف شيئاً من الضغط الواقع على صمامه لعله يستطيع الإستيلاء على قيايقية فى شىء من السهولة<sup>(٣)</sup> .

وفى سنة ٧٩٠ م أى فى عهد هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩ م) أغار المسلمون على قبرس من جديد . وليس بالمراجع معلومات شافية عن تلك الإغارة سوى ما جاء بصدد المعركة البحرية التى دارت رحاها بالساحل الجنوبى لآسيا الصغرى عند خليج أضاليا بالشمال الشرقى من الجزيرة . ذلك أن الإمبراطورة رينى Irene عندما علمت نبأ تلك الإغارة ، أرسلت أسطولاً لإحباط غرض المسلمين ، فالتقى ذلك الأسطول بالسفن الإسلامية التى أغارت على قبرس . وقد دارت بين الأسطولين معركة بحرية انتهت بأسر طفيل (Theophilus) أحد قواد الأسطول البيزنطى ، فعاد به المسلمون إلى بغداد حيث وعده الخليفة بإطلاق سراحه إذا اعتنق الإسلام . ولكنه رفض فأمر بقتله واعتبره البيزنطيون شهيداً<sup>(٤)</sup>

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٥ .

(2) Hill ; p. 292.

(3) Vasil ev : History of the Byzantine Empire, Vol. I, p. 321.

(4) Hill : A History of Cyprus, pp. 292-293.

وحدثت إغارة أخرى على قبرس في عهد هارون الرشيد سنة ١٩٠ هـ (٨٠٦م) سببها أن الخليفة غزا آسيا الصغرى واستولى على كثير من مدنها وجصوها حتى اضطر الإمبراطور نقفور الأول - الذي أصبح إمبراطوراً بعد ريني - إلى عقد الصلح . وجاء في ذلك الصلح أن يدفع الإمبراطور غرامة مالية كبيرة للخلافة العباسية ، مع التعهد بعدم إعادة بناء الحصون والقلاع المهذمة بأطراف آسيا الصغرى <sup>(١)</sup> . لكن نقفور لم يرع تلك الشروط بل نقضها نقضاً صريحاً فرد عليه الخليفة بجيوش برية وحملة بحرية في آن واحد وهكذا أوغلت الجيوش في آسيا الصغرى حتى وصلت هرقلية في الشمال الغربي من طرسوس <sup>(٢)</sup> ، بينما قصدت الحملة البحرية بقيادة حميد بن معيوف قبرس ، حيث أعمل ذلك القائد في مدنها هدماً وإحراقاً كما أسر من أهلها عدداً عظيماً قدره الطبري بـ عشرة ألفاً <sup>(٣)</sup> ، وابن الأثير بسبعة عشر ألفاً <sup>(٤)</sup> ، ووجد المسلمون أن من بين الأسرى أسقف قبرس . ثم عاد حميد ومعه ذلك العدد الكبير من الأسرى فبيعوا وبلغ ثمن أسقف قبرس ألفي دينار <sup>(٥)</sup> . ويقول البلاذري أن القبارسة أخذوا من ثم يعملون على تحسين علاقاتهم بالدولة العباسية ، مما جعل الرشيد يأمر برد جميع الذين صاروا إليه من أولئك الأسرى إلى قبرس من غير فدية <sup>(٦)</sup> .

وتشيد المراجع إلى إغارة ثالثة حلت بقبرس على عهد هارون الرشيد ، ولكن لا توجد تفاصيل أو معلومات كافية عنها ، اللهم سوى أن قائد تلك الحملة كان معيوف بن يحيى <sup>(٧)</sup> .

(1) Hill ; p 293

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك > ٣ ص ٧٠٩ .

(٣) نفس المرجع والمضفة .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ > ٦ ص ١٣٤ .

(٥) الطبري > ٣ ص ٧٠٩ ، ابن الأثير > ٦ ص ١٣٤ .

(٦) البلاذري ص ١٥٤ .

(7) Hill, op. Cit. p. 294.

ثم ظلت قبرس بنجوة من الإغارات الإسلامية قرناً من الزمان على وجه التقريب ، ولا شك في أن ما طرأ على الدولة الإسلامية من خلاف بين الأيمن والمؤمن ، وما استولى عليها من اضطراب بسبب انتقال المعتصم من بغداد إلى سامرا ، فضلاً عما تردت فيه الخلافة العباسية بسبب الأتراك ، كل ذلك أدى إلى فتور الفتوح الإسلامية بالقياس إلى مدها الدافق القديم . على أنه يبدو أن قبرس بقيت رغم ذلك على تبعيتها المزدوجة للعباسيين والبيزنطيين ، إذا استمر القبارصة يدفعون الجزية بانتظام للخلافة حتى عند قيام باسل المقدوني وأسمرته على رأس الامبراطورية البيزنطية (٨٦٧-١٠٥٧ م) . ولكن حدث عندما قامت الحرب بين البيزنطيين والمسلمين بجزيرة إقريطش (كريت) سنة ٩٠٢ م والخليفة وقتئذ المكتفى (٩٠٢-٩٠٨ م) والإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١١ م) ، أن كلف الإمبراطور نائبه في قبرس واسمه هريوس أن يمنع الاتصال بين المسلمين في كريت وقواعدهم بساحل الشام . واعتبر المسلمون مقام به هريوس في ذلك الصدد منافياً لحياذ قبرس ، ومناقضاً للشروط المتفق عليها مع القبارصة فأغاروا عليها سنة ٩٠٤ م . ولم يكتف المسلمون بتلك الإغارة العابرة على قبرس بل أرسلوا إليها حملة تأديبية كبيرة على رأسها دمنانة أكبر الغزاة المسلمين في البحر المتوسط في القرن العاشر الميلادي <sup>(١)</sup> . فخرج دمنانة سنة ٢٩٧ هـ (٩١١-٩١٢ م) وكان ذلك على عهد الخليفة المقتدر للتأثر من القبارصة ونزل بشواطئ قبرس ، وأقام بها أربعة أشهر يسبى ويقتل ويحرق ويدمر ويحصن المواضع التي يستولى عليها <sup>(٢)</sup> .

غير أن إمعان دمنانة في إخضاع الجزيرة لم يغير من علاقتها المضطربة بالدولة الإسلامية . وما زال ذلك حالها حتى عهد الإمبراطور نيقفور الثاني فوقاس

(١) المسعودي : مروج الذهب - ٨ ص ٢٨٢ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٩٦٣ - ٩٦٩ م) الذى خدم أول حياته ضد المسلمين فى كريت ، وكان محور سياسته الخارجية تخليص أجزاء الإمبراطورية منهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا . ولذا هاجم نفقور قيليقية وإستولى عليها ، ثم أعقب ذلك بغزو قبرس سنة ٩٦٥ م حيث محّا كل أثر للسيطرة الإسلامية عليها بمساعدة قائده نفتاس<sup>(١)</sup> . وهكذا عادت الجزيرة نهائيا إلى حظيرة الدولة البيزنطية بعد أن ظلت نحو من سبعين سنة يغلب عليها النفوذ الإسلامى<sup>(٢)</sup> ، وكف العرب منذئذ عن مهاجمة الجزيرة أو الإغارة عليها ، بل كفوا عن مضايقة الدولة البيزنطية بوجه عام ، وأصبحت المتاعب التى تواجه الأباطرة البيزنطيين تأتى من الناحية الداخلية أو من ناحية أعداء غير المسلمين<sup>(٣)</sup> .

أما السبب الرئيسى فى انصراف المسلمين عن قبرس منذ أواخر القرن العاشر فهو أن الدولة الإسلامية لم تعد قادرة على القيام بمجهودات حربية كبرى بعد أن خرجت عليها الدولة الفاطمية وغيرها من الدول بالشرق والغرب الإسلامى ؛ وأصبح معظم نشاط تلك الدول التى انقسمت إليها الإمبراطورية الإسلامية موجها ضد بعضها البعض لما بينها من تنافس مذهبى شديد . أما السلاجقة الذين أقاموا دولة إسلامية عظيمة فى العراق والشام والأجزاء الشرقية من آسيا الصغرى والذين أخذوا فى القرن الحادى عشر يقطعون الجزء تلو الجزء من ممتلكات الدولة البيزنطية ، فإنهم ظلوا قوة برية لأنهم لم يعتادوا ركوب البحر والمغامرة فيه ، ولذا بقيت قبرس فى مأمن من حركتهم التوسعية الهائلة<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

هذه خلاصة لأدوار العلاقات بين قبرس والدولة الإسلامية حتى القرن

(١) Hill : A History of Cyprus, p. 293.

(٢) Oman : The Byzantine Empire, p. 230.

(٣) Hill ; p. 295.

(٤) Hill ; p. 296.

الحادى عشر الميلادى . ومنها يتضح أن هذه الجزيرة ظلت كالكرة تتلاقفها الدولتان الإسلامية والبيزنطية دون أن تستطيع إحداها أن تستأثر بحكمها أو تفرض سيطرتها التامة عليها ، على حين قنع القبارصة بدفع الأموال للبيزنطيين والمسلمين سواء . فالجزيرة كانت على حد تعبير البشارى « لمن غلب » <sup>(١)</sup> . ويبدو أنه لولا الاجراءات الحاسمة التى إتخذها الامبراطور طبريوس الثالث (٦٩٨ — ٧٠٥ م) عندما حاول أن يحمل الغلبة فى قبرس للدولة البيزنطية وأرسل لحايتها جيشا كبيرا وأسطولا عظيما وعين لها واليا من طبقة الاستراتيوتى (Stratigotai) <sup>(٢)</sup> ، لولا ذلك لاستطاع العرب إحتلال قبرس إحتلالا مشابها لما فعلوا فى كريت <sup>(٣)</sup> .

على أن تلك الاجراءات كلها لم تمنع المسلمين من الإغارة على الجزيرة والسيطرة عليها فى فترات متقطعة كما سبق . ومهما اختلفت الآراء فى تفسير الإغارات الإسلامية على قبرس ، فإنه يبدو أن سببها الأول هو إدراك المسلمين لأهمية موقع الجزيرة . وما دامت فيهم القوة الكافية لمهاجمة الدولة البيزنطية ، فإن قبرس بلا شك خير مركز للوثوب على القسطنطينية وأطراف آسيا الصغرى ، إذ تجتمع بها القوات البحرية والبرية من مصر والشام ، فلا تكون إلا عشة وضحاها حتى تصل إلى شواطئ آسيا الصغرى ، وجزائر البحر اليونانى والقسطنطينية نفسها <sup>(٤)</sup> . ثم إن العرب لم يعتبروا جزيرة قبرس قاعدة حربية للهجوم فحسب ، بل خالوها موضعا مضطرا على مصر والشام ما دامت فى أيدي البيزنطيين ؛ أى أن رغبة المسلمين فى الاستيلاء عليها كانت مسألة دفاعية هجومية معا . ويتضح إدراك العرب

(١) البشارى : أحسن التقاسيم ص ١٨٤ .

(2) Makhiaras : Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus, Vol. 1, p. 9.

(3) Hill ; p. 290.

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٥٥ .

أ تلك الناحية من نصوص المعاهدة التي عقدها معاوية مع القبارسة أول مرة سنة ٢٨ هـ ، إذ جاء فيها أن يتعهد القبارسة بعدم مساعدة الدولة البيزنطية ضد المسلمين وتنبيه المسلمين عن أى مشروع هجوى من جانب أعدائهم <sup>(١)</sup> .

فإذا أضيف إلى هذه الأسباب ثراء قبرس وتنوع حاصلاتها وكثرة أموالها وغلاتها ، صارت الدوافع التي جعلت المسلمين يغيرون على الجزيرة مرة بعد أخرى أمراً واضحاً . فالسكرخى يصف قبرس بأنها « خصبة جداً » <sup>(٢)</sup> . وابن حوقل يخبر بأنها « كثيرة الخير والمير والتجارة والوارد منها والصادر عنها » <sup>(٣)</sup> . والبشارى يقول إن الوليد أنفق على جامع دمشق خراج الشام سبع سنين مع ثمانى عشرة سفينة ذهب وفضة أقلت من قبرس <sup>(٤)</sup> . على أنه يجب ألا يؤدى ذلك إلى الاعتقاد بأن الاغارات الاسلامية على قبرس لم يقصد من وراءها سوى النهب والاستغلال حقيقة إن مقتضيات الحرب جعلت المسلمين يقومون ببعض أعمال التخريب فى معظم الجزائر التي نزلوا بها فى البحر المتوسط ومنها قبرس <sup>(٥)</sup> ، ولكن ذلك ليس معناه إقتصار العلاقات بين الطرفين على الحرب فى سبيل الاخضاع والاستغلال الاقتصادى ، بل تعداه إلى اشباع الحركة الدينية التوسعية بين المسلمين ، فضلاً عن شيء من التبادل الثقافى . من ذلك مثلاً أنه عندما نشطت الحركة العلمية فى عهد المأمون أمر الخليفة بإحضار كثير من المؤلفات الاغريقية الفلسفية من قبرس لترجمتها <sup>(٦)</sup> .

---

(١) البلاذرى : ص ١٥٣ ، ابن الأثير : ص ٧٤ — ٧٥ ، الطبرى : ص ٢٨٢٦ .

(٢) السكرخى : مسالك الممالك ص ٧٠ .

(٣) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٣٦ .

(٤) البشارى : أحسن التقاسيم ص ١٥٨ .

(٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٣١ .

(٦) Hammer : Hist. de l'Empire Ottoman, Vol. 6, p. 395.

وتم نقطة أخرى تجب الإشارة إليها بشأن الغزو الاسلامي لقبرس ، وهي أن الجزيرة لم تكن خلال الفترات التي سيطر العرب عليها مقطوعة الصلة تماماً عن الدولة البيزنطية ، بل ظلت علاقاتها بالقسطنطينية متصلة كما يتضح من نفوذ ذلك العصر ووثائقه<sup>(١)</sup> . ولكن النفوذ البيزنطي — كما هو الحال مع النفوذ الإسلامي — تطور بين الزيادة والنقص حسب الظروف وبقيت قبرس في الواقع مناصفة بين العرب والبيزنطيين ، وذلك نقلاً عن الرحالة الإنجليزي وليبولد Willibold الذي زار الجزيرة سنة ٧٢٣ م ووصفها بأنها قسمة بين الإغريق والعرب<sup>(٢)</sup> ، كما وصفها ابن حوقل بأنها كانت قسمين نصفاً للمسلمين ونصفاً للصنانية<sup>(٣)</sup> . وإذا قال مخياراس بأنه كان للامبراطور البيزنطي في قبرس دوق يدبر شئون الجزيرة ويقضى بين أهلها<sup>(٤)</sup> ، فإن ابن حوقل قال كذلك بأنه كان للمسلمين بقبرس أمير وحاكم<sup>(٥)</sup> .

وهكذا ظلت أحوال قبرس خلال تلك الفترة القلقة من تاريخها . ولا حاجة إلى الإشارة إلى أن بقاءها ميداناً للتنافس والصراع بين القوتين الإسلامية والبيزنطية أثر في أحوالها العامة أسوأ الأثر ، إذ نقص عدد سكانها وتعطلت موارد ثروتها كما قل عدد الحجاج الذين نزلوا بها في طريقهم إلى بيت المقدس<sup>(٦)</sup> . ومما زاد في سوء الأحوال العامة بجزيرة قبرس أن الأباطرة استخدموها منفى لأعدائهم وخصومهم ، واختاروها لذلك الغرض حتى يصبح المنضوب عليهم

(1) Hill : A History of Cyprus, p 282.

(2) Idem ; p. 291.

(٣) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٣٦ :

(4) Makbharas ; Vol. 1, p. 9.

ابن حوقل : ص ١٣٦ .

(6) Hill ; p. 291.



تحت رحمة المسلمين<sup>(١)</sup> . كذلك غدت قبرس منذ أيام الإضطهاد اللايقونى  
فى الدولة البيزنطية — أى منذ القرن الثامن الميلادى ملجأ وملأذا لكثير من  
رعايا الإمبراطورية الذين ضاقوا باللاإيقونية وأباطرتها<sup>(٢)</sup> . واستمرت أحوال  
قبرس على ذلك حتى سنة ١١٨٤ م ، أى حتى أيام صلاح الدين الأيوبي  
مصر والشام .

---

(1) Idem ; p. 292.

(2) Ibid.

## الباب الثاني

### دخول قبرس دائرة الحروب الصليبية

استقرار الصليين بالشام وأهمية قبرس لهم — سياسة الدولة البيزنطية نحو الصليين بوجه عام — استخدام قبرس لتنفيذ بعض أركان تلك السياسة — لغاوة أرناط أمير أنطاكية على قبرس ونهبها سنة ١١٥٦ م — موقف الدولة البيزنطية بوجه عام وقبرس بوجه خاص من الدولتين الفاطمية والأيوبيية — استقلال اسحق كومنين بحكم قبرس وسياسته تجاه الصليين — مجيء ريتشارد قلب الأسد إلى الشرق واستيلائه على قبرس — اغتيال ملكية قبرس إلى الداوية — جاي لوزجان وجزيرة قبرس — قيام مملكة لوزجان — قبرس والحروب الصليبية حتى نهاية الدولة الأيوبيية سنة ١٢٥٠ م .

من المعروف أن كلا من البيزنطيين والصليبيين وقف من صاحبه موقفاً يوجب عليه العداء منذ وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق . فالمتاعب والمصاعب التي لاقاها رجال تلك الحملة في طريقهم إلى بلاد الشام سبب أراضى الدولة البيزنطية في البلقان وآسيا الصغرى ، بالإضافة إلى ما وجدوه من كره ظاهر في القسطنطينية نفسها ، كل ذلك جعلهم — كما جعل أوربا كذلك — يقولون إن الدولة البيزنطية هي السبب في جميع المصائب والكوارث التي ابتليت بها تلك الحملة والحملة الصليبية التالية . وشاءت الحوادث أن يتركز جزء عظيم من هذه العدواة بين الصليبيين والبيزنطيين حول أنطاكية ، التي أسس فيها بوهيموند النورمانى سنة ١٠٩٨ م إحدى الدول الصليبية الأربع ، على الرغم من مطالبة الإمبراطور الكسيوس كومنين ( ١٠٨١ — ١١١٨ م ) بتسليم تلك

المدينة الهامة إلى الدولة البيزنطية احتراماً للاتفاقية المشهورة التي عقدها الصليبيون مع الإمبراطور قبل رحيلهم عن القسطنطينية .

ولما عجز الإمبراطور عن الحصول على أنطاكية بالطرق السلمية ، لم تبق أمامه إلا الحرب ضد الصليبيين بوجه عام ، وضد بوهيمند أمير أنطاكية بوجه خاص . وعمد ألكسيوس إلى الإفادة من موقع قبرس الجغرافي في تنفيذ تلك الحرب ، إذ جعلها قاعدة لقواته التي أعدها لذلك الغرض ، كما أنه عمل على حماية قبرس من أى هجوم يأتى من ناحية بوهيموند<sup>(١)</sup> . وكان حاكم قبرس من قبل الإمبراطور رجلاً قوياً المراس اسمه فيلو كاليس ؛ فقام ذلك الحاكم من قبرس على رأس قوة لدفع بوهيموند عن اللاذقية سنة ١٠٩٩ م وما زال به حتى أرحمه إلى إمارته بأنطاكية .

ومن ذلك الوقت والأباطرة البيزنطيون يعملون جادين على استرداد أنطاكية من الصليبيين ، مما جعل المسألة الأنطاكية تمر بأدوار طويلة أهم ما يعيننا منها ما كان بين أرناط — وهو الذى أصبح أمير أنطاكية منذ سنة ١١٥٣ م — والإمبراطور البيزنطى مانويل كومنين (١١٤٣ — ١١٨٠ م) .

ذلك أن أرناط أغار على قبرس سنة ١١٥٦ م ليظهر بذلك قوته على محاربة الإمبراطور ، وأمعن في تلك الإغارة التي فاقت في قوتها وعنفها وما صحبها من تخريب ونهب ، ما حل بالجزيرة من جراء الغارات الإسلامية السابقة مجتمعة ، على قول المعاصرين من الصليبيين أنفسهم<sup>(٢)</sup> ؛ ومثال ذلك على سبيل التذليل قطع أنوف رجال الدين القبارسة وآذانهم إمعاناً في التشنئ والانتقام<sup>(٣)</sup> . ويبدو أن نية أرناط انجذبت أول الأمر نحو الإستيلاء على قبرس والإحتفاظ بها ،

---

(1) Hill : A History of Cyprus, Vol, I, p. 299.

(2) Jauna : Histoire Generale des Royaumes de Chypre de Jerusalem, p. 60.

(3) Grousset : Hist des Croisades, Vol. II, p 366

ولكن ذلك لم يكن بالأمر الهين السهل فعاد الأمير الصليبي ورجاله إلى بلاد الشام محملاً بالفضائم والأسلاب المسيحية<sup>(١)</sup>. وهكذا بذل أرناط في قبرس من الجهد ما عساه أن يتوجه به نحو غرض أجدى على حماسته الصليبية المشهورة<sup>(٢)</sup>. والواقع أنه لو انتقل أمر الصليبين إلى أيدي أرناط وقتذاك لازدادت العلاقة سوءاً بين الدولة البيزنطية والدول الصليبية جميعاً، وربما كان ما أحدثه أرناط في نفس الإمبراطور مانويل كومنين هو السبب الذي أدى بملك بيت المقدس بلدوين الثالث إلى الزواج من إحدى قريبات الإمبراطور سنة ١١٥٨ م.

وماست قبرس دائرة الحروب الصليبية من ناحية أخرى، وهي ناحية المسلمين الذين اعتبروا الجزيرة موثلاً لهم من الصليبين في بعض الأحيان، بفضل ما ظل من حسن العلاقة بين الدولة البيزنطية والمسلمين ( الفاطميين والأيوبيين سواء )<sup>(٣)</sup>. ومثال ذلك أنه عندما استولى بلدوين الثاني على بيروت في مايو سنة ١١١٠م، فر أميرها المسلم ليلاً إلى قبرس، كما حذا حذوه كثير من أهالي المدينة المسلمين<sup>(٤)</sup>. على أنه ليس معنى ذلك أن الأمور استمرت دائماً على صفاء بين قبرس والمسلمين، فإن قبرس في نظر المسلمين لم تعد أن تكون بلداً مسيحياً يسكنه قوم من النصارى. ثم إنه على الرغم من كل مظاهر العداء بين الصليبين والدولة البيزنطية، فإن قبرس تاجرت مع الصليبين بالشام تجارة رابحة، وأمدتهم بالمؤن أرسالا متتابة منذ أيام الحملة الصليبية الأولى، مما لم يخف

---

(1) Lamb : The Crusades ; The Flame of Islam ; p. 60.

(2) Stevenson : The Crusaders in the East, p. 174.

(٣) أحس أباطرة الدولة البيزنطية بالخطر الصليبي على دولتهم من أول الأمر وأدركوا أطماع الصليبين في السيطرة على القسطنطينية، ولهذا لم يكن من مصالحة هؤلاء الأباطرة معاداة الدولة الفاطمية في أواخر أيامها ثم الدولة الأيوبية من بعدها، بل كان من مصالحهم أن تكون في مصر دولة قوية تستطيع إيقاد الحملات إلى الأرض المقدسة حتى تبقى القوى الصليبية مشغولة عنها؛ ولعل هذا هو السر في العلاقات الطيبة بين الفاطميين والأيوبيين من جهة والدولة البيزنطية من جهة أخرى عندئذ.

(4) Stevenson : The Crusaders in the East, p. 59.

عن المسلمين<sup>(١)</sup> . ولذا أصاب قبرس بعض ما أصاب السواحل الصليبية بالشام من هجمات المسلمين لتعطيل تلك التجارة التي اعتمدت عليها أرواح الصليبيين . غير أن إغارات المسلمين على قبرس قبيل سنة ١١٩١ م لم تهدف إلى شيء أكثر من تعطيل تلك التجارة ، فظلت محدودة لا تزيد في أوصافها عن صفات الغزوات السريعة ذهاباً وإياباً ، ولذا ندرت أنبأؤها في المراجع . وسبب ذلك فيما يبدو أن المسلمين اعتبروا الميدان القبرسي ثانوياً بالقياس إلى الميدان الرئيسي بالشام . ففي سنة ١١٥٨ م ( سنة ٥٥٣ هـ ) مضت عساكر المسلمين — وهم الفاطميون وقتذاك — في البحر إلى قبرس وعادوا بكثير من الأسرى منهم أخو صاحب قبرس فضلاً عن جملة من الفنائم<sup>(٢)</sup> . ثم وقعت غزوة أخرى سنة ١١٩١ م ( ٥٨٧ هـ ) غنم المسلمون — وهم الأيوبيون وقتذاك — كثيراً من الفنائم وعادوا بسفهم محملة بالنفائس إلى اللاذقية ، حيث قسمت الفنائم فبلغ نصيب كل فرد — على كثرتهم — أربعة آلاف درهم من الفضة<sup>(٣)</sup> .

وإزاء تلك الأخطار التي تعرض لها القبارسة من ناحية الصليبيين والمسلمين منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي، عين الإمبراطور أندرونيق الأول كومنين ( ١١٨٢ — ١١٨٥ م ) قريبة اسحق كومنين على الجزيرة منذ سنة ١١٨٤ م . غير أن اسحق لم يكد يصل إلى الجزيرة حتى استبد بالأمور وقطع صلته بالقسطنطينية وتلقب بلقب إمبراطور قبرس<sup>(٤)</sup> . وقد نجح اسحق في توطيد سلطانه في الجزيرة حتى تمسك على أباطرة القسطنطينية عزلة أو التغلب عليه . ولعل أقوى محاولة

(١) Crousset ; Vol. ١, p. 136 ; Stevenson, p. 54 ; Lamb, p. 139.

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر > ٢ ص ٩٨ .

(٣) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين

Rec. Hist. Cr. Orient. Tome 5, p. 7.

(٤) ابن شداد : النوادر السلطانية Tome 3, p. 213

(5) Lucas ; p. 47.

بذلت لإخضاعه هي التي قام بها الامبراطور اسحق الثاني أنجيلوس ( ١١٨٥ — ١١٩٥ م ) عندما أرسل حملة في نحو سبعين سفينة حربية لإخراجه من الجزيرة لكن إسحق تغلب على تلك الحملة بمساعدة حليفه وصهره ملك الصقليتين غليالم الثاني النورماني ( Guillaumes ) الذي تزوج إسحق أخته<sup>(١)</sup>.

أما الدولة البيزنطية فإنها تأثرت باستقلال قبرس وانفصالها عنها لأنها كانت تمد خزينتها بأموال كثيرة بسبب رواج تجارتها مع الفرنجة ببلاد الشام<sup>(٢)</sup>. يضاف إلى ذلك أن لفصال قبرس عن الإمبراطورية البيزنطية كان سابقة خطيرة ، لأنه على الرغم من كثرة ما فقدت الإمبراطورية من أراضيها للمسلمين لم يحدث مطلقاً أن استطاع أحد دعاياها أن ينتزع إقليماً كبيراً غربي الطابع من جسم الدولة ، وأن يتلقب بلقب إمبراطور كما فعل إسحق<sup>(٣)</sup>.

وحكم إسحق كومنين قبرس حكماً استبدادياً بكل معاني الكلمة ، ومصدق ذلك وصف مخايراس له بأنه كان رجلاً ضريراً أثمياً<sup>(٤)</sup>. أما سياسته تجاه الصليبيين واللاتين فانطوت على الكره الشديد والبغض الدفين . ولعل كرهه هذا هو الذي جعله يميل ميلاً ظاهراً إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي حتى أنه أطلعه على كل ما حصل عليه من حركات الصليبيين . ويظهر ذلك الميل واضحاً في سياسة إسحق أثناء حصار الصليبيين لعمكا إذ عرقل تموينهم بأن فرض مكوساً باهظة على المؤن الخارجة من قبرس إلى بلاد الشام ، ثم تغالى فأصدر أمراً بتعريم خروج المؤن من قبرس إلى الصليبيين تعريماً باتاً<sup>(٥)</sup> . واستفاض الخبر بأن عدا

---

(1) Vasiliev ; Op. Cit. Tome II, p. 94.

(2) Idem, p. 82.

(3) Oman : The Byzantine Empire ; p. 277.

(4) Makhias ; Vol. I, p. 9.

(5) Grousset, Vol. III, pp. 47-48 ; Hill, p. 317.

اسحق للصليبيين لم يقتصر على منع الغلات القبرسية من الوصول إلى الصليبيين ، بل إنه أصدر أوامر مشددة بمنع أى صليبي من النزول إلى الجزيرة مهما كانت الأحوال . ومضى اسحق في سياسته الجريئة تجاه الصليبيين ، وربما تهادى في تلك السياسة على صورة أوسع ، كما كان من المحتمل أن يتمكن من تأسيس أسرة تحكم قبرس<sup>(١)</sup> ؛ لولا أن غيرت الحروب الصليبية من ذلك كله .

ذلك أن أواخر القرن الثاني عشر الميلادي شهدت ما قام به صلاح الدين الأيوبي من حرب خاطفة أتت على مملكة بيت المقدس ، مما أثار أوروبا إلى إرسال الحملة الصليبية المعروفة بالثالثة سنة ١١٩٠ م بقيادة ريتشارد ملك إنجلترا وفيلب أغسطس ملك فرنسا . وبينما يمين اسحق «إمبراطور» قبرس في مضايقة الصليبيين بالشرق ، وصل أسطول ريتشارد إلى صقلية في طريقه نحو الأراضي المقدسة ، ففقدى شتاء سنة ١١٩٠ م في مسينا حيث تمت خطوبته إلى برنجاريا ابنة ملك نافار ثم أبحر ملك إنجلترا على رأس أسطوله في إبريل سنة ١١٩١ م من صقلية قاصداً عكا<sup>(٢)</sup> . غير أنه على الرغم من الخطة التي وضعها لسيار أسطوله انتظّل السفن متقاربة بعضها من بعض ، هبت رياح قوية صباح ١٢ إبريل ففرقت السفن وبعثرتها . وفي يوم الأربعاء ١٧ إبريل رسا ريتشارد بظاهر كريت ، وعلم أن خمسا وعشرين من سفنه مفقودة ومن بينها تلك التي تحمل أخته جوانا وخطيبته برنجاريا<sup>(٣)</sup> . ولذا إتجه ريتشارد إلى جزيرة رودس للبحث عن سفنه الضالة ، فلما لم يجدها قصد جزيرة قبرس ، حيث جنحت بعض السفن الانجليزية فعلا .

أما اسحق حاكم قبرس فإنه علم بمنحوك تلك السفن في حينه ، فأسرع إلى مصادرتها ونهبها وأسر رجالها وتكبيّلهم بالحديد وفقا لسياسته التقليدية ضد

(1) Oman, Op. Cit. p. 278.

(2) Stubbs ; Op. Cit. p. 185.

(3) Norgate : Richard the Lion-Heart ; p. 141.

الصلبيين<sup>(١)</sup>. ثم وصلت إلى ميناء ليماسول في يوم ٢٤ إبريل ثلاث سفن انجليزية أخرى تحمل إحداهما جوانا وبرتجاريا وجزءا كبيرا من المتاع الملكي<sup>(٢)</sup>. فلما وصل خبر ذلك إلى اسحق ذهب بنفسه إلى ليماسول وحاول بمختلف الطرق أن يفرى الأميرتين بالنزول إلى البر لينكل بهما، ولكنهما أصرتا على الرفض وأخبرتاه أنهما لا تستطيعان النزول بدون إذن الملك<sup>(٣)</sup>. وعندئذ فكر اسحق في استخدام التهديد بالقوة لإزلهما، وما زال يذمر ويرعد ويتظاهر ببعض سفنه في الميناء حتى قبلت الأميرتان النزول إلى الشاطئ خوفاً؛ وبينما يستعدان للنزول ظهرت سفن ريتشارد قادمة من بعيد فتغير الموقف تماماً<sup>(٤)</sup>. ذلك أن ريتشارد لم يكذب برو حتى أرسل اسحق محتج على ما حدث ويطلب منه تقديم الترضيات اللازمة<sup>(٥)</sup>. لكن اسحق رفض القيام بشيء ما وأهان الرسول فعزم ريتشارد على تأديبه، واستولى في الحال على خمس سفن قبرسية راسية في ميناء ليماسول، ثم أنزل ريتشارد رجاله إلى البر واستولى على ليماسول (٦ مايو سنة ١١٩١)<sup>(٦)</sup>. وأعقب ذلك في اليوم التالي هجوم على اسحق وجنوده في سهل مجاور، فانهزم القبارصة وفر اسحق تاركا رجاله وذخيرته وخزائنه ورايته الإمبراطورية للإنجليز<sup>(٧)</sup>. واختار ريتشارد أن يكمل ذلك النصر بالدخول على خطيته برنجاريا<sup>(٨)</sup>. وعلم جاي لوزجيان صاحب مملكة بيت المقدس بما حدث في قبرس، فأتى مسرعا إلى الجزيرة لمساعدة ريتشارد ضد اسحق من جهة، وللكسب عطف ملك إنجلترا وتأييده ضد الكارهين لآل لوزجيان بالشام وعلى رأسهم كونراد مونتفرات الذي احتوى بفيلب أغسطس ملك فرنسا من جهة أخرى<sup>(٩)</sup>.

(1) Groussset ; Tome III, p. 48. & Michaud, Tome II, p. 115.

(2) Norgate ; p. 141.

(3) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid, Tome II, p. 159).

(4) Idem ; pp. 160—161.

(5) Norgate ; p. 143.

(6) Vinisau ; (Rec. Hist. Cr. Occid ; Tome II, p. 164).

(7) Idem ; p. 168.

(8) Ibid.

(9) Norgate ; Op. Cit. p. 145.



وسحب جاي إلى قبرس بوهيمند الثالث أمير أنطاكية وريموند الثالث أمير طرابلس وغيرها من الفرسان<sup>(١)</sup>؛ بينما شذ عن هؤلاء وأولئك رئيس الإمبراطورية لأنه أراد أن يضع حداً لما سوف يتطور إليه انقسام الصليبيين على أنفسهم، وودوا انصرفت جهود ريتشارد إلى بلاد الشام حيث حاصر الصليبيون عكامة طويلة بقيادة فيلب أغسطس. لذا توسط رئيس الإمبراطورية بين أسحق وريتشارد وانتهى الأمر بأن قدم أسحق فرض الطاعة لملك إنجلترا، وتعهد أسحق بدفع مبلغ كبير من المال تعويضاً لما حدث، فضلاً عن الذهاب إلى الشام على رأس خمسمائة فارس قبرسي لمحاربة المسلمين تحت راية ريتشارد<sup>(٢)</sup>. لكنه ما عم الليل حتى نقض أسحق الصلح وفر إلى فاما جوستا. وعندئذ عقد ريتشارد النية على فتح قبرس، فقسم قواته قسمين رغبة في الزحف على فاما جوستا من ناحيتين؛ فسار بنفسه على رأس أحد القسمين بحراً، وأنفذ القسم الثاني بقيادة جاي لوزجان برأ. غير أن ريتشارد لم يصل فاما جوستا إلا بعد أن غادرها أسحق فأرسل بعض سفنه لمراقبة الشواطئ خشية فراره من الجزيرة وإفلاته من يده<sup>(٣)</sup>.

وفي تلك الأثناء قدمت رسل من قبل فيلب أغسطس تستحث ريتشارد على الإسراع بالقدوم في لهجة شديدة، فرد عليهم بمثلها قائلاً إنه إن يبرح قبرس حتى يستولى عليها ويضمن مواردها للصليبيين ويقبض على أسحق؛ ولن ينزل عن ذلك ولو صار إليه نصف ثروة روسيا، إشارة منه إلى ما أصبحت فيه الدولة الروسية من غنى في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي<sup>(٤)</sup>. على أنه لم يضع شيئاً من وقته بل زحف من فاما جوستا إلى نيقوسيا عاصمة الجزيرة فاستولى عليها وقبل أهلها الدخول في طاعته<sup>(٥)</sup>. ثم اعتراه المرض، فاضطر إلى البقاء في نيقوسيا

(1) Hill ; Op. Cit. p. 319.

(2) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid, Tome II; pp. 165-166).

(3) Vinisau : (Rec. Hist. Cr. Occid., Tome II; p. 168).

(4) Norgate : Richard the lion Heart; p. 147.

(5) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid. Tome II, p. 167).

وترك مطاردة أسحق لجأى لوزجنان ، فقام جأى على مهمته خير قيام إذ سار شمالا حتى استولى على قلعة كيرين حيث وجد ابنة إسحق فأسرها<sup>(١)</sup> . واستولى اليأس على أسحق بعد ذلك ، فلم نفسه وبلاده ، وهكذا تم فتح قبرس على يد ريتشارد وكسب الصليبيون ذلك المركز الهام لمواصلاتهم مع أوروبا .

ثم عين ريتشارد إثنين من رجاله هما ريتشارد كامفيل ( R. de Camville ) وروبرت تورنهام ( Robert de Turnham ) ليحكم الجزيرة باسمه ، وأوصاهما بإرسال المؤن والدقيق والمواشي والنبذ وغيرها من غلات الجزيرة إلى الصليبيين بالشام<sup>(٢)</sup> . وأبحر ريتشارد بعد ذلك إلى عكا فوصلها في ٨ يونه سنة ١١٩١ وبصحبته أسحق فأرسله إلى حصن المرقب حيث بقى في حراسة الاستبارة حتى وفاته سنة ١١٩٥ م<sup>(٣)</sup> .

ولا مغالاة في القول بأن دخول قبرس دائرة الحرب الصليبية من طريق الفتح جعلها أهم ما تمخضت عنه الحملة الصليبية الثالثة من النتائج لا في تاريخ قبرس والحروب الصليبية فحسب ، بل في تاريخ الشرق بوجه عام . فالشرق اللاتيني الذي كاد صلاح الدين يلقي به في غياهب البحر الأبيض ، كتب له أن يولد مرة أخرى وسط الأمواج المحيطة بشواطئ الجزيرة القبرسية<sup>(٤)</sup> . ذلك أن قبرس أصبحت بعد فتحها مركزاً دائماً لتكوين البقايا الصليبية بالشرق ، كما أصبحت محوراً لكثير من الحركات الصليبية من الشرق والغرب مدة قرون<sup>(٥)</sup> . ووضعت تلك الناحية للصليبيين وهم على حصار عكا ( سنة ١١٩٠ — ١١٩١ م ) أي قبل

---

(1) Vinisauf : (Rec. Hist. Cr. Occid. Tome II, p. 168).

(2) Hill; p. 320 & Norgate; p. 148.

(3) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid; Tome II, pp. 168-169).

(4) Grousset ; Vol. III, p. 40.

(5) Hill ; p. 317.

إنعام فتح قبرس ، إذ ألفوها موثلاً قريباً وواسطه للاتصال بينهم وبين الغرب<sup>(١)</sup> .  
ولا عجب بعد ذلك إذ فرح الصليبيون إيماناً بفتح باستيلاء ريتشارد على قبرس ،  
لأنها صارت على قول ابن الأثير « قوة للفرج »<sup>(٢)</sup> . ومصادق ذلك كله وصف  
أمبرواز لما شمل الصليبيين من سرور عندما وصل ريتشارد إلى عكا بسبب  
استيلائه على قبرس<sup>(٣)</sup> .

أما أهمية ذلك في تاريخ قبرس نفسها فهو أن الجزيرة لم تدخل دائرة  
الحروب الصليبية فحسب ، بل دخلت دائرة الحياة السياسية الغربية كذلك . على  
أن الأمر بدا هنا نعمة مشوبة ، إذ باتت الجزيرة تحت إقطاعية لا تينية كاثوليكية  
وهذه جعلت كل ههما لإنشباع مصالحها الخاصة ، على حين ظل عامه القبارصة من  
الإغريق يعتبرون هؤلاء الحكام غرباء عنهم دخلاء بينهم<sup>(٤)</sup> . وأما أهمية فتح  
قبرس للملك ريتشارد ، فالواضح أولاً أنه لم يقدم على تلك العملية الحربية الباهظة  
تحقيقاً لجزء من برنامج الصليبي ، وإنما هي الظروف والملايسات التي شئت أن  
يكون له الفضل في إسداء تلك الخدمة للصليبيين عامة ولمملكة بيت المقدس  
الصليبية خاصة<sup>(٥)</sup> .

ولكن سرعان ما أدرك ريتشارد أن قبرس سوف تغدو عليه حملاً ثقيلاً ؛  
فهو مكلف بمجابتها في الوقت الذي احتاج إلى كل جندي من جنوده الصليبيين ،  
كما أنه مكلف بصرف الأموال في سبيل تنظيم أحوالها<sup>(٦)</sup> . ولم ينقض شهر على  
مناذرتة الجزيرة حتى وضحت تلك التبعات في ثورة قبرسية ، صادف بسببها نائبه

---

(1) Grousset ; op. cit. p. 49.

(٢) ابن الأثير : لسكامل في التاريخ > ١٢ ص ٤٢ .

(3) Grousset, Vol III, p. 50.

(4) Lucas ; p. 48.

(5) Norgate ; p. 261.

(6) Lucas ; op. cit. p. 48

ثمنهم عناءا حريبا كبيرا<sup>(١)</sup>. وليس أدل على ذلك كله من ترحيب ريتشارد بما عرضه عليه الداوية من شراء قبرس بالمال ، فباعها لهم بمبلغ مائة ألف بيزانت دفعوا منها ستين ألف وتبقى عليهم أربعين ألف تعهدوا بدفعها عند تسلم الجزيرة<sup>(٢)</sup>. ولم يلبث الداوية أن وجدوا حل الجزيرة فوق طاقهم ولا سيما بعد أن استنفدت حركات صلاح الدين كل مجهودات الصليبيين . ولذا اكتفى الداوية بإقامة حامية صغيرة لهم في قبرس<sup>(٣)</sup> ، وعمدوا إلى الصرف عليها بما يجمعونه من أهل الجزيرة ، مما جعل الحكم اللاتيني يبدو كارثة في أعين القبارسه فثار أهالي نيقوسيا على سادتهم الجدد سنة ١١٩٢ م وأعملوا الذبح في اللاتين الصليبيين<sup>(٤)</sup> ؛ وبدا في الأفق أن قبرس سوف تخرج من أيدي الصليبيين بنفس السرعة التي آلت بها إليهم<sup>(٥)</sup>. وعندئذ أدرك الداوية أنه سيتعذر عليهم الاحتفاظ بقبرس ، وأن حكمها أصعب وأشق مما كانوا يظنون ، فطلبوا من ريتشارد حل الصفقة ورد المبلغ الذي دفعوه<sup>(٦)</sup>.

على أن ذلك التطور أنقذ ريتشارد من إحدى صعوباته . ذلك أن اختيار هنري دى شامبين ملكا على بيت المقدس في إبريل سنة ١١٩٢ م جعل ريتشارد يبدو في نظر المعاصرين كأنما ضيع على الملك جاي لوزجانا حقوقه ، وهو الذي أسرع إلى نجدة ريتشارد في قبرس وساعده على إتمام فتحها في سرعة . ولذا رحب ريتشارد بعودة قبرس بترحيبه ببيعها الأول ، وعرضها على جاي مقابل تنازله عن حقه في مملكة بيت المقدس<sup>(٧)</sup>. ورضي جاي ذلك العرض ؛ كما رضى

(1) Stubbs ; op. cit. p. 186.

(2) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid. Tôme II, p. 190).

(3) Stubbs ; op. cit. p. 186.

(4) L'Estoire d'Eracles, p. 190.

(5) Stubbs ; op. cit. p. 186.

(6) Norgate ; op. cit. p. 261.

(7) Grousset ; Tôme III, p. 96 & Stubbs ; p. 187.

أن يدفع للداوية مبلغ الستين ألف بيزانت التي دفعوها لريتشارد مقدماً من ثمن الجزيرة ، وتعهد بدفع الباقي لريتشارد نفسه بعد تسلم الجزيرة<sup>(١)</sup>. وتمت الإجراءات القانونية لإبرام الصفقة قبل أن يبرح ريتشارد عكا في ٩ أكتوبر سنة ١١٩٢ م عائداً إلى بلاده ، وتسلم جاى حكم الجزيرة حوالى ذلك التاريخ<sup>(٢)</sup>.

وهكذا قامت الدولة اللوزجانية بجزيرة قبرس ، وهى الدولة التى استمرت ما يقرب من ثلاثة قرون (سنة ١١٩٢ — ١٤٧٢م) وأثرت فى اتجاهات الحروب الصليبية تأثيراً قوياً . ويعتبر عصر تلك الدولة أزهى عصور التاريخ القبرى على وجه التعميم . ففى كل مظهر من مظاهر الحضارة ، فى المصور الوسطى ، وفى كل ضرب من ضروب النشاط الإنسانى فى تلك العصور ، قامت قبرس بدور بارز لا يتناسب مطلقاً ومساحتها الصغيرة . وهل هناك ضرب من ضروب النشاط البشرى فى المصور الوسطى أخطر وأجل شأنًا وأعظم أثرًا من الحروب الصليبية التى تمكمت فيها قبرس وملوكها من آل لوزجنان بعد أن تخلت أوروبا عند ذلك الميدان ؟ .

على أن جاى نفسه ظل بعيداً عن ميدان الحروب الصليبية إذا قضى مدة حكمه القصيرة (١١٩٢ — ١١٩٤) فى التمكن لنفسه وإصلاح أحوال الجزيرة وخشى أن يحاول اسحق الثانى أنجيلوس إعادة قبرس إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية ، كما خشى أن يكرر القبارسة معه دورهم مع الداوية ، نرأى أن محالفه الأيوبيين فى مصر خير ضمين لاستقرار الأمور الخارجية ، ليستطيع الإنصراف إلى الأمور الداخلية وهو آمن . ولذا قرر جاى محالفة السلطان صلاح الدين ضد الإمبراطور البيزنطى ، وأرسل إليه — حسبما جاء فى مخاريس — يعاهده على أن يكون صديقاً وفيّاً ، يصادق من يصادقه ويعادى من يعاديه ، ويطلب مساعدته

(1) L'Estolre d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid, Tome II, p. 191).

(2) Norgate ; op. cit. p. 262

في حالة اعتداء الإمبراطور البيزنطي على جزيرته ، على أن يقوم هو بتنبيه السلطان إذا نوى الإمبراطور مهاجمته<sup>(١)</sup>. وفي المراجع العربية ما يؤيد ذلك ، ففي أبي شامة ما ينص على حضور رسل « الملك العتيق »<sup>(٢)</sup> لطلب مساعدة السلطان سنة ٥٨٦ هـ<sup>(٣)</sup>. وجاء في ابن شداد تحت سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ — ١١٩٣ م) أن رسولا وصل من عند الإمبراطور اسحق الثاني أنجيلوس يطلب من السلطان أن يساعده على قصد قبرس<sup>(٤)</sup>. غير أن صلاح الدين لم يستجب إلى رغبات الفريقين ، لانشغاله فيما يرجح بأمر دولته الجديدة ؛ وتفضيله أن يقف موقف الحياد بين المسيحية المنقسمة لأن في « افتراق كلتهم نصرة للإسلام »<sup>(٥)</sup>.

ومما توسل به جاي كذلك لتأسيس مملكته وتأمينها في قبرس أنه دبر مع حلفائه البيازنة مؤامرة لانتزاع مدينة صور من مملكة بيت المقدس . ولكن هنري دى شامبني علم بالأمر قبل وقوعه فاتخذ الإجراءات الكفيلة بإحباط للشروع وقبض على عموري لوزجان أخى جاي ولم يطلق سراحه إلا بعد أن قام في أمره رؤساء الداوية والاستبارية ، وتمهد عموري نفسه بالذهاب إلى قبرس<sup>(٦)</sup>.

ثم توفي جاي في إبريل سنة ١١٩٤ م فتولى أخوه عموري لوزجان حكم قبرس (١١٩٤ — ١١٩٨ م) ، وهو المؤسس الحقيقي للدولة اللوزجانية إذ كان

---

(1) Makharias, 'p. 21.

(٢) أطلق المسلمون هذا الاسم على جاي عندما أعتقه السلطان صلاح الدين بعد أن وقع أسيراً في موقعه حطين . أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين من

Rec. Hist. Cr. Orient. Tome IV. p. 510.

(٣) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين من

i. v p. 509.

(٤) ابن شداد : التزادر السلطانية من

III, p. 299.

(٥) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين من

IV p. 510.

(6) Grousset ; Tome III; pp. 125 — 126.

سياسياً ممتازاً بالحزم والعقل، على قول ابن الأثير<sup>(١)</sup> فافتتح عهده بإصلاح ذات البين بينه وبين هنرى دى شامبنى ملك بيت المقدس وبذلك حلت المودة بين الرجلين محل الخصام، ثم لم تلبث هذه المودة أن تطورت إلى رباط وثيق بين العائلتين بزواج أبناء عمورى الثلاثة من بنات هنرى الثالث، وهو الأمر الذى أدى فيما بعد إلى التوحيد بين تاجى قبرس وبيت المقدس وتركيز كل الجهود الصليبية فى الشرق<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن استقرت الأمور بين الأسرتين الفرنسيتين على ذلك النحو، أخذ عمورى فى تثبيت تملكه على قبرس وإعلاء شأن دولته بها، وبدأ بتتويج نفسه ملكاً على الجزيرة. ذلك أن أخاه جاك سلم جزيرة قبرس لمدة حياته فقط وذلك مقابل مبلغ من المال. ثم إنه ظل مدة حكمه يدفع من الأموال السنوية للملك ريتشارد ما يفيد التبعية الشخصية<sup>(٣)</sup>، واكتفى بلقب «سيد قبرس» وهو اللقب الذى حفظته الوثائق والنقود المعاصرة مع العلم بأن جاك لوزجان كان يحمل لقب (ملك) من قبل لأنه كان فى يوم ما ملكاً على بيت المقدس<sup>(٤)</sup>. أما عمورى لوزجان فإنه عزم على التخلص من تلك التبعية الشخصية، فولى وجهه شطر هنرى السادس إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة وطلب الدخول فى كنف الإمبراطورية على أن يكون ملكاً فى قبرس. ورحب الإمبراطور بالفكرة لما فيها من تحقيق لمشروع الإمبراطورية العالمية الذى طالما جهد الموهنتاوفن فى تحقيقه، ومن ثم تعهد عمورى بدفع الجزية السنوية التى دفعها جاك للملك ريتشارد، وأرسل

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ > ١٢ ص ٨٢ .

(2) Grousset ; Tome III; p. 135.

(3) Stubbs, p. 187 التبعية من التخلص فى وقت ما حاول فى وقت ما التخلص من التبعية (4) Stubbs, p. 188.

هنرى السادس إثنين من رجاله لتتويج عمورى ملكا على قبرس وتم ذلك في نيقوسيا سنة ١١٩٧ م بحضره مندوب بابوى<sup>(١)</sup>.

ولاشك في أن قيام « مملكة » لوزجنان بقبرس ؛ إلى جانب مملكة بيت المقدس جعل للفكرة الصليبية بالشرق ركنين تستند إليهما بعد أن قلت الأمداد الأوربية عن الصليبيين . ولكن يلاحظ من جهة أخرى أن قيام المملكة اللوزجانية في قبرس بالذات حول كثيراً من نبلاء وفرسان الفرنجة عن مملكة بيت المقدس واجتذبهم إلى تلك الجزيرة البعيدة عن نقعة المسلمين<sup>(٢)</sup> . والواقع أنه لم تبق أية فائدة من التعلق بالثغور والمدن الشامية التي قضيت معظم أيامها تحت حصار المسلمين وعاش سكانها من الفرنجة في خطر مستمر ، على حين قامت في قبرس وعلى مسافة ساعات من شاطئ الشام دولة صليبية آمنة مطمئنة . وشجع هذه الحركة ملوك لوزجنان أنفسهم بما فيهم جاي الذى رأى في اجتذاب الصليبيين من الشام إلى الجزيرة وسيلة تضمن استقرار حكمه فيها ، لما في ذلك من ضمان للتغلب على أهلها الأصليين إذا هم فكروا في التآلب عليه<sup>(٣)</sup> . ولذا أعلن جاي غداة رحيله عن الشام أنه سوف يمنح الإقطاعات الوافرة لكل من لحقه في قبرس من الصليبيين ، فنبهه فعلا كثير من فرنجة بيت المقدس وطرابلس وأنطاكية وأرمينيا الصغرى<sup>(٤)</sup> . وترتب على ذلك حرمان أملاك الصليبيين بالشام من كثير من العناصر الصالحة فأصبحت مفتقرة إلى الرجال بدرجة خطيرة . وعلى مر الأيام أصبحت قبرس بالنسبة للصليبيين في الشرق هي الأساس ومملكة عكا هي الفرع<sup>(٥)</sup> . غير أن الأمر لم يقتصر على ذلك فحسب ، بل تعداه إلى جنوح اللوزجانيين أحيانا

(1) Grousset ; Tome III, p. 137.

(2) Heyd : Hist. du Commerce ; Vol II, p. 4.

(3) Lang : Chypre ; p. 110.

(4) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid, Tome II; pp: 191-192)

(5) Grousset ; Vol. III, p. 138.



إلى فكرة الحرب الاقتصادية ضد المسلمين في البحر المتوسط وتفضيلهم مملكة قبرس على مملكة بيت المقدس وحسبنا دليلا على ذلك أنه بعد أن جمع آل لوزجنان بين تاجي قبرس وبيت المقدس لم يترددوا في التضحية بمملكتهما بالشام أملا في الاحتفاظ بمملكتهما الأخرى في قبرس<sup>(١)</sup>.

على أن ملوك لوزجنان لم يقدموا على تلك الخطوة الفاصلة في تاريخ الحروب الصليبية إلا خضوعاً للأمر الواقع ، وفي تاريخهم ما يدل دلالة واضحة على الاهتمام بمملكة بيت المقدس وغيرها من البقايا الصليبية قبل أن يصبح لهم تاج تلك المملكة. وتفصيل ذلك أن وفاة صلاح الدين سنة ١١٩٣ م واضطراب الأحوال بين أبناء البيت الأيوبي شجع غرب أوروبا على التفكير في حملة صليبية جديدة ، ولا سيما أن صلح الرملة بين صلاح الدين وريتشارد لا يمتد إلى أكثر من ديسمبر سنة ١١٩٥ . وجاءت حملة صليبية ألمانية إلى عكا في سبتمبر سنة ١١٩٧ ، وعسكرت حولها انتظاراً للقادة الذين تخلفوا بقبرس للمشاركة في تنويع عموري لوزجنان ، باعتباره من اتباع الإمبراطور الألماني<sup>(٢)</sup> . وفي تلك الأثناء هاجم السلطان العادل يافا ولم يجد هنري دى شامبني مساعدا غير عموري ملك قبرس ، ففرض عليه يافا إذا هو أنقذها من خطر المسلمين . على أنه يبدو أن المسألة لم تكن انقاذ يافا من خطر المسلمين بقدر ما هي إنقاذها لهنري شامبني من خطر الألمان ، وهو مما لا يهتم له عموري في قليل أو كثير . ولذا لم يتحرك عموري لنجدة هنري إلا بعد استيلاء العادل على يافا . وتلا ذلك وفاة هنري فجاء عموري إلى الشام ولم يفكر في مناجزة العادل ، بل جمع إليه الألمان واستعاض بمساعدتهم عن يافا بيروت فاستولى عليها بينما كانت السفن تجلب المؤن والأقوات للصليبيين من قبرس . ثم

(1) Idem, p. 139.

(2) Idem, p. 146.

سمع الألمان بوفاة امبراطورهم فأخذوا يستعدون للعودة إلى بلادهم ، مما جعل عمورى يعقد الصلح مع العادل سنة ١١٩٨<sup>(١)</sup> .

ولم يترك هنرى شامبنى سوى أرملة وهى إيزابلا ، فاتجه التفكير إلى تزويجها من عمورى ؛ ولقى المشروع ترحيباً من جميع الجهات إذ تحمس له الداوية والاستبارية<sup>(٢)</sup> ، وأيد البابا إنوسنت الثالث فكرة الاتحاد بين تاجى قبرس وبيت المقدس ، ورأى الإمبراطور الألماني الجديد — فردريك الثانى — أن تتويج تابعه ملكاً على بيت المقدس فرصة جديدة لتحقيق أحلام الإمبراطورية العالمية . وهكذا تحالفت كل الظروف لإتمام زواج عمورى ملك قبرس من إيزابلا وكان أن تم ذلك سنة ١١٩٨ م<sup>(٣)</sup> . والواقع إن التوحيد الذى تم بين مملكتى قبرس وبيت المقدس جعل الدفاع عن المصالح الصليبية بالشام واجباً مفروضاً على ملوك قبرس ، ولم تعد مساعدة الصليبيين ضد المسلمين بالشام مجرد منحة يتكرم بها آل لوزجنان إن شاءوا أعطوها وإن أرادوا منعوها . وهكذا أصبح واجباً لازماً على ملوك قبرس أن يحشدوا الجيوش ويسخروا القوى ويمجموا المؤن للذود عن مملكتهم الجديدة بعد أن أصبح الدفاع عنها والاحتفاظ بها أمانة فى عنقهم .

عكف عمورى على شئون مملكته الجديدة ، وكان فى خصومته مع المسلمين منزناً بعيداً عن التطرف حتى لقد وصفه ابن الأثير بأنه « رجل عاقل يحب السلامة والعافية »<sup>(٤)</sup> . لكن تساهله لم يصل إلى حد التفريط فى حقوق الفرنجة فطلب إلى العادل أن يضع حداً للإعتداءات البحرية التى قام بها والى صيدا على سفن الفرنجة ، ثم أرسل سفنه المسلحة فى البحر لمقابلة الثل بالمثل حين لم يجد أذناً صاغية من العادل ، فاعترض للقارسة سبيل عشرين سفينة مصرية محملة بالمؤن فى طريقها

(1) Stevenson ; op. cit. p. 295.

(2) Grousset ; Vol. III; pp 155—164.

(3) Stubbs ; p. 196. ٨٢ ص ١٢ . وكذلك ابن الأثير : السكامل فى التاريخ

(٤) ابن الأثير من . (Rec. Hist. Cr. Orient. Tome II, p. 88).

إلى بلاد الشام ، وصادرتها وساقتها إلى عكا حيث قدرت النعمة بما يقرب من ستين ألف بيزانت ومائتي رجل<sup>(١)</sup> . ثم فكر عمورى فى شفاء غليله بالإغارة على أكثر أجزاء الإمبراطورية الأيوبية حساسية وهى مصر . فأبحر من عكا سنة ١٢٠٤ م على رأس أسطول مكون من عشرين سفينة ، ودخل فرع رشيد ، ونهب بلده فوه ، ثم عاد إلى عكا محملاً بالغانم<sup>(٢)</sup> . وفى تلك الأثناء علم عمورى بما آل إليه أمر الحملة الصليبية المعروفة بالرابعة ؛ كما علم بالصدقة التى بين السلطان العادل والبنادق أصحاب النصيب الأكبر فى تلك الحملة ، فأسرع تلك السنة إلى معاهدة العادل على صلح مدته ست سنوات<sup>(٣)</sup> . ثم مات عمورى سنة ١٢٠٦ م فحسر الصليبيون فى شخصه مرشداً أميناً وسياسياً حازماً وقائداً عاقلاً بذل ما فى وسعه لتقوية مركز الصليبيين بالشرق على الرغم مما صادفه من صعاب<sup>(٤)</sup> .

وأعقب موت عمورى الثانى انفصال تاج مملكة بيت المقدس عن تاج مملكة قبرس لمدة سنين ، إذ عادت للملكة الصليبية إلى صاحبها إيزابلا ثم إلى مارى كبرى بناتها من هنرى شامبنى<sup>(٥)</sup> ؛ وآل عرش قبرس إلى هيو الأول ابن عمورى وهو طفل لم يبلغ العاشرة من العمر . على أن ذلك الانفصال لم يقطع من نشاط القبارسة ضد الشواطئ المصرية ، مما يدل على أن الروح الصليبية القديمة أخذت تجنح إلى القرصنة . وفى شتاء سنة ١٢٠٧ م استولى القبارسة على عدة قطع من الأسطول المصرى ، فأثار ذلك السلطان العادل ، وخرج من مصر على رأس عساكره يريد عكا ، علما منه بأن حنا بركين - الذى أصبح وصيا على

---

(1) Grousset ; Tome III, pp. 180—181.

(2) De Meihouni (Rec. Hist. Cr. Arm. Tome I, p. 480).

وكذلك أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين من.

(Rec. Hist. Cr. Orient. Tome 5, p.159).

(3) Grousset ; Tome III, p. 184.

(4) King ; The Knights Hospitallers in the Holy Land. ; p. 176.

(5) Stubbs ; p. 197.

مملكة بيت المقدس - هو القوة من وراء جميع الأعمال الصليبية . وأرسل العادل إلى الوصى يذكره بالمعاهدة القائمة بين المسلمين والصليبيين ، وأن من واجب حنا إبلين باعتباره أكبر شخصية بين الصليبيين في الشرق أن يوقف القبارسة عند حدم . فأجاب الوصى بأنه لا يملك أن يشير على مملكة قبرس بشيء وأن الفرنجة ببلاد الشام لا يتحملون بأى حال ما يأتيه قرصان قبرس من أعمال . ثم انتهى الإشكال أخيراً برد الأسرى المسلمين <sup>(١)</sup> . على أن القبارسة لم يلبثوا أن أغاروا مرة أخرى على الشواطئ المصرية شتاء سنة ١٢١٠ م بقيادة نائب المملكة - وهو المعروف في المراجع العربية باسم البال (Bailli) - وكان الهدف تلك المرة بلده نوره على ساحل النيل غرب دمياط القديمة ، « ونال البال القبرسى بفعلته هذه والتي قبلها عندما أغار على فوه ما لم ينله أحد قبله ولا أقدم إقدامه » <sup>(٢)</sup> . وبعد ذلك اشترك القبارسة في بعض الهجمات الحلية التي قام بها الصليبيون ببلاد الشام على بلاد الإسماعيلية <sup>(٣)</sup> .

ثم بلغت ماري صاحبه الحق الشرعى في مملكة بيت المقدس سن الرشد سنة ١٢١٠ م ، فتزوجها حنا برين ، وتوج ملكاً إلى جانب زوجته الصغيرة تلك السنة . ولكي يتفرغ حنا لشئون مملكته الجديدة عقد صلحاً مع العادل لمدة ست سنوات (١٢١١ - ١٢١٧) جاءت في أثنائها حملته صليبية إلى الشرق بقيادة أندريه الثانى ملك الجرج ، وشازكت فيها قبرس برجالها وملكها هيوا الأول الذى توفى عند طرابلس في فبراير سنة ١٢١٨ م . ووافقت تلك الوفاة نهاية الصلح القائم بين حنا برين والسلطان العادل ، ففكر حنا في طعن الدولة الأيوبية طعنة نجلاء ووقع إختياره على دمياط مما أدى تلك السنة إلى الحملة الصليبية المعروفة

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ > ١٢ ص ١٨١ .

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ( Rec. Hist. Cr. Orient, Tome 5, )

pp. 158-159

(٣) القرينى : السلوك > ١ ق ١ ص ١٧٩ .

بالخامسة . وشاركت قبرس في تلك الحملة الشهيرة بكثير من الفرسان وعلى رأسهم مطران نيقوسيا الذى أسهم فى الإستيلاء على دمياط بمجهود كبير وذلك عدا مواد التموين التى أمدت بها قبرس رجال الحملة من أولها إلى آخرها .<sup>(١)</sup>

ويبدو أن مطران نيقوسيا كان صاحب الفضل فيما شاركت به قبرس من معونة للحملة الصليبية المعروفة بالخامسة ، فإن الملك هنرى الأول ابن هيولم يتجاوز عمره وقتذاك تسعة أشهر ؛ ولو كان الأمر بيد أمه لما قدمت قبرس شيئا من تلك المساعدة ، لأنها رأت كما رأى أعمام الملك الطفل ألا فائدة لقبرس من المشاركة مع الصليبيين القادمين إلى الشرق<sup>(٢)</sup> . ثم جاء فشل الحملة مصداقا لتلك السياسة فازمت قبرس جانب الحياد حتى كانت سنة ١٢٢٨ م ووصول الحملة الصليبية المعروفة بالسادسة وهى حملة الإمبراطور الألماني فردريك الثانى صاحب المغامرات الطريفة بالشرق .

ذلك أن فردريك أراد قبرس على أن تصبح تابعة للإمبراطورية تبعية فعلية لا إسمية كما بدت منذ استعان عموري لوز جنان بالإمبراطور هنرى السادس فى تنويعه ملكا<sup>(٣)</sup> . وكان الإمبراطور فردريك الثانى يعمل منذ أوائل عهده على تحقيق ذلك الغرض ، وقام بعدة محاولات آخرها المطالبة بالوصاية على الطفل هنرى الأول بعد موت أبيه هوج الأول سنة ١٢١٨ م . لكن الوصى على هنرى وهو وقتذاك فيليب إبلين عجل بتتويج هنرى فى نيقوسيا سنة ١٢٢٥ قبل أن يقوم فردريك الثانى بحركة ما ، وذلك على الرغم من أن هنرى لم يبلغ سن الرشد . وأيد تلك الخطوة أعضاء بيت لوز جنان والفرسان اللاتين بالشرق الذين خشوا أطماع الأباطرة الألمان فى الشرق .<sup>(٤)</sup> ثم مات فيليب سنة ١٢٢٨ م وحل محله

---

(1) Grousset, Tome III ; pp. 208—236.

(2) Stubbs ; p. 198.

(٣) انظر ما سبق ص ٤٣ — ٣٥

(4) Grousset ; Tome III ; pp. 276—277.

في الوصاية لابنه حنا إبلين على غير رضا الملكة الوالدة ، رغم قرباتها الشديدة لآل إبلين .<sup>(١)</sup> وصادف ذلك قدوم الامبراطور فردريك الثاني إلى الشرق على رأس الحملة الصليبية المعروفة بالسادسة ، بعد أن تزوج سنة ١٢٢٥ م من الأميرة يولاند بنت حنا برين الوريث الشرعي لمملكة بيت المقدس .<sup>(٢)</sup>

ولم تكد الملكة الوالدة بقبرس تعلم بمجيء فردريك الثاني إلى الشرق حتى أرسلت خمسة من الفرسان لمقابلته في الموره وطلب مساعدته ضد حنا إبلين .<sup>(٣)</sup> وهنا أدرك فردريك أن الفرصة سانحة لنشر سلطانه الفعلي على الجزيرة وتوسيع نفوذه في الشرق ، مما سوف يساعد على تحقيق فكرة الامبراطورية العالمية ، ويقوى مركزه عند السلطان الكامل في مصر . ذلك أن فردريك جاء إلى الشرق مفاوضا لا محاربا ، بدليل قلة ما استصحب من الجند من أوروبا ، وهو الامبراطور الذي يستطيع أن يحيش الجيوش الكبيرة . وكان إهتمامه بقبرس لا من أجل الجيوش وإنما ليجعل منها سلماتحقيق بعض أمانيه في الشرق وكذلك لتغطية نفقات الحملة بعد أن أفهمه رسل الملكة الوالدة أن موارد قبرس كافية لذلك .<sup>(٤)</sup>

ولهذه الاعتبارات قصد فردريك قبرس فوصل ليا سول في ٢١ يولييه سنة ١٢٢٨ حيث استقبله حنا إبلين أحسن استقبال وعقد معه اتفاقية انتقلت بمقتضاها قبرس — وفقا لقانون الاقطاع الجرمانى — إلى الامبراطور فردريك الثاني الذى أسرع بتعيين نائب صقلى عنه في قبرس ؛ كما بث الحاميات الصقليه في

---

(1) Stubbs ; pp. 199—200.

(2) Kantorowicz : Fréderick the Second ; p. 168.

(3) Stubbs ; p. 200.

(4) Ibid .

مختلف قلاع الجزيرة وعين موظفين ماليين لجمع الضرائب والدخل. <sup>(١)</sup> ويظهر أن السبب في رضوخ حنا إبلين هو إعتقاده أن الإمبراطور ينوى القيام بحرب جدية ضد المسلمين وأن الواجب الصليبي على عليه أن يضحي من جانبه حتى لا يكون سببا في إشكالات تؤدي إلى الفشل. <sup>(٢)</sup> ثم ذهب الإمبراطور إلى الشام وبصحبه حنا إبلين ولقيف من الفرسان القبارسه، وبعد أن عقد مع السلطان الكامل معاهدته المشهورة سنة ١٢٢٩ قفل راجعا إلى بلاده وسر في طريقه بقبرس حيث قضى عدة أيام بلياسول حضر فيها خطبة للملك الشاب هنرى الأول إلى ألكس دى مونتفرات، ووكّل بالصاية إلى خمسة من الفرسان القبارسه المعروفين بعدائهم الشديد لبليت إبلين <sup>(٣)</sup>. ولما توات الأخبار على فردريك بتخرج الأحوال في بلاده اضطّر إلى مغادرة قبرس مسرعا، فوصل برنديزى في يونيه سنة ١٢٢٩. <sup>(٤)</sup> على أن قبرس لم تظل على تبعيتها للإمبراطورية أكثر من ثلاث سنوات، إذ تحالف الفرسان اللاتين تحت زعامة آل إبلين وتمكنوا بعد سلسلة من الحروب الداخلية من هزيمة القوات الإمبراطورية وطردها من الجزيرة سنة ١٢٣٢ م. <sup>(٥)</sup> وهكذا انتهت محاولة فردريك الثانى في قبرس بالفشل.

وفي تلك السنة نفسها بلغ هنرى الأول لوزجنان سن الرشد، ومن ثم دخلت قبرس في عصر من أزهى عصورها وأكثرها رخاءاً وعظمة ومشاركة في الحروب الصليبية <sup>(٦)</sup>.

(1) Kantorowicz ; op cit p. 181.

(2) Stubbs ; op. cit. p. 200.

(3) Grousset ; Tome III, p. 322.

(4) Kantorowicz ; op. cit. p. 206

(5) Idem ; p. 389 & Grousset, Tome III, pp. 331—347.

(6) Cambridge Mediaeval History ; Vol. 4, p. 469.

ففي سنة ١٢٣٩ دعا البابا جريجورى التاسع الحملة صليبيه بسبب إعتداء المسلمين على بيت المقدس ، ومرت تلك الحملة بقبرس وقام هنرى الأول فيها بدور مازال مجهول التفاصيل فلا يعرف بالضبط مدى مساعداته لتلك الحملة .<sup>(١)</sup>

ثم كانت حملة لويس التاسع ملك فرنسا إلى الشرق ، وهى الحملة المعروفة بالسابعة وكان مجيؤها استجابة للنداء الذى أرسله البابا إنوسنت الرابع بعد إستيلاء الخوارزميه على بيت المقدس سنة ١٢٤٤ .<sup>(٢)</sup> ووصل لويس ميناء لياسول في ٢١ سبتمبر سنة ١٢٤٨ ، حيث رحب به هنرى الأول واصطحبه إلى نيقوسيا وسط هتاف الفرسان ورجال الدين وسائر سكان الجزيرة<sup>(٣)</sup> .

ولا غرو ، فإن حملة لويس التاسع إمتازت بطابعها اللاتينى الفرنسى ، فلا أقل من أن يرحب بها الشرق اللاتينى ترحيبا عظيما ويؤيدها تأييدا قويا ، ولا سيما قبرس التى أصبحت فرنسا الجديدة تحت حكم آل لوزجان<sup>(٤)</sup> .

وفى قبرس تم الاتفاق على أن تكون مصر هى الموضع المختار لهجوم الصليبيين ، حتى اذا إنتهى الشتاء والربيع قصد لويس الى الشواطىء المصرية بعد أن انضمت اليه معظم القوات الصليبيه بالشرق ومنها هنرى الأول على رأس ألف من الفرسان<sup>(٥)</sup> . وأبلى القبارسه الذين اشتركوا فى تلك الحملة بلاءاً حسناً ودخل ملك قبرس مع ملك فرنسا دخول المنتصر إلى دمياط سنة ١٢٤٩ ، ولكنه لم يشارك ملك فرنسا سوء حظه فى الأسر ، إذ قدر له أن ينجو من أيدي المسلمين ، وأن يعود إلى قبرس حيث مات سنة ١٢٥٣ تاركا العرش لابنه هيو الثانى الذى لم يبلغ من العمر عندئذ سوى بضعة أشهر<sup>(٦)</sup> .

(1) Stubbs ; p. 202.

(2) Grousset, Tome III, p. 412.

(3) Michaud ; Tome III, p. 167.

(4) Grousset ; Vol. 3, p. 429.

(5) Idem ; pp. 430—437.

(6) Stubbs ; pp. 202—203.



# الباب الثالث

## قبرس ودولة المماليك الأولى

( ١٢٥٠ - ١٣٨٢ م )

سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك الأولى بمصر والشام —  
سلطان المماليك والصليبيون — قبرس وزعامة القوى الصليبية بالشرق —  
غضب سلاطين المماليك على قبرس — محاولة السلطان بيبرس فتح قبرس سنة  
١٢٧٠ م — أسباب فشله — آخر أيام الصليبيين بالشام — حصار  
الأشرف خليل عكا سنة ١٢٩١ — جهود القبارصة في الدفاع عنها —  
سقوط عكا في أيدي المسلمين — أثر ذلك في قبرس — المشروعات البابوية  
لاسترداد الأراضي المقدسة ومساهمة ملوك قبرس في هذه المشروعات —  
تولية بطرس الأول لوزجنان عرش قبرس سنة ١٣٥٩ م — حملته على  
الإسكندرية سنة ١٣٦٥ م — إغاراته على طرابلس وغيرها من الموانئ  
الشامية والأرمينية سنة ١٣٦٧ — مقتله سنة ١٣٦٩ م .

وافق انتهاء الحملة الصليبية المعروفة بالسابعة انقلاب هام في تاريخ مصر  
والشرق الأدنى كله ، وهو الانقلاب الذي بدأ بسقوط الدولة الأيوبية وانتهى  
بقيام دولة المماليك الأولى بمصر والشام سنة ١٢٥٠ م . وتطلّع العالم الإسلامي  
إلى الدولة الجديدة لتقوم بالدور الذي قام به الأيوبيون ضد الصليبيين . على أن  
خطراً آخر هدد المسلمين عامة في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي وهو الخطر  
المغولي ، فانصرف إليه المماليك دفاعاً عن كيانهم الجديد ، ثم ما لبثوا أن أثبتوا  
أنهم زعيمون يتحمل الأعباء الملقاة على عواتق دولتهم الجديدة ، وذلك حين  
أنزلوا بالمغول هزيمة منكرة عند عين جالوت سنة ١٢٦٠ م . وهكذا استمدت  
دولة المماليك من ذلك النصر المبكر قوة رهيبية بررتها في نظر المسلمين كافة ،

ولاسيما أن ذلك النصر جاء بعد أن عجزت القوى الإسلامية الأخرى أن توقف التيار المعولى أثناء طريقه الطويل من جوف آسيا إلى أطراف الشام .

وبعد ذلك كان على الممالك أن يتحولوا إلى الخطر الصليبي القديم ، لأن الدولة الأيوبية انتهت ، والدولة المملوكية قامت ، والموقف بين المسلمين والصليبيين يكاد يكون هو بعينه عند قيام الأيوبيين ، من حيث الخشية مما عساه يأتى من أوروبا من الحملات الصليبية على غرار حملة لويس التاسع . ولم يدر سلاطين الممالك أو غيرهم من المسلمين أن الحدة الصليبية الأولى قد خفت ، وأن النعرة الدينية قد ضعفت ، بل ظلوا يظنون أسوأ الظنون ، لأن اقتحام السواحل المصرية ابتغاء الوصول إلى القاهرة جعلهم يتخيلون الصليبيين أقرب إليهم من ذى قبل . ثم إن المشكلة الكبرى بين المسلمين والصليبيين ظلت في جوهرها كما هى ، فلا زال الصليبيون يحتلون عدداً لا يستهان به من مدن الشام ، ولا زالوا يحلمون باستخلاص الأراضى المقدسة من أيدي المسلمين .

هكذا ظل العداء مستحكماً والنزاع قائماً بين الفريقين ، وأظهر سلاطين الممالك أثناء ذلك الصراع ثباتاً عظيماً يسترعى الإعجاب ، ففاضلوا الصليبيين دون أن تثبط لهم هم حتى تمكنوا من القضاء في صورة تامة على كل البقايا الصليبية بالشام . ذلك أنهم رأوا في الصراع مع الصليبيين امتحاناً ثانياً لدولتهم ، وفيه يكرمون أو يؤزلون إلى الفناء والإهمال ، بله السقوط في أعين المسلمين .

وفي أثناء ذلك النضال تزعمت الدولة المملوكية قوات المسلمين بالشرق الأدنى ، كما تزعمت قبرس قوات الصليبيين — ومشروعاتهم . وآية ذلك أن معظم الحملات الصليبية في العصور الوسطى المتأخرة لم يأت من الغرب بل قام عليه ملوك اللوزجنان<sup>(١)</sup> .

والفضل الأول في ذلك يرجع إلى موقع الجزيرة الذي جعلها تمتع بقسط وافر من الأمان والطمأنينة بحكم حاية البحر لها ، وجعل من ملوكها حماة للسيحية ضد الإسلام<sup>(١)</sup> ، بخلاف مملكة أرمينيا الصغرى وملوكها الذين جاوروا المالك ودولتهم من ناحية البحر . ذلك أن الناحية البرية غلبت على دولة المالك ، فلم تلبث البقايا الصليبية بالشام أن ضاعت في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، وتلتها مملكة أرمينيا الصغرى في أقل من عشرين سنة ؛ على حين بقيت قبرس وملوكها يحملون لواء الصليبيين ويدعون إلى وجوب إرسال الحملات الصليبية من أوربا .

على أن قبرس لم تستطع القيام بذلك الدور إلا بعد سنين ، إذ كان قيام هيو الثاني ملكا سنة ١٢٥٣ م ولما يبلغ بضعة أشهر كفيلا بأن يصرف الدولة كلها إلى مشاكل الوصاية . فقامت الملكة الوالدة بلاكنتيا ( Placentia ) وصية حتى العام التالي عندما ذهبت إلى فلسطين حيث تزوجت باليان إبلين ( Balian ) صاحب أرسوف فأسندت الوصاية على الملك هيو الثاني الطفل إلى قريبة هيو الأنطاكي . وحدث أثناء وصاية هيو الأنطاكي أن قام السلطان بيبرس بهجومه العظيم على القوى الصليبية بالشام سنة ١٢٦٣ م ، وهو الهجوم الذي أعقب تخلفه من خطر الملك المغيث الأيوبي صاحب الكرك<sup>(٢)</sup> ، فأسرع الوصي هيو الأنطاكي سنة ١٢٦٥ م إلى نجدة الصليبيين بقوة كبيرة من قبرس ، قدرها المقرزي بنحو ألف وخمسمائة فارس<sup>(٣)</sup> . ولكن يبدو أنه وصل متأخراً فلم يستطع القيام بشيء ضد إستيلاء بيبرس على قيسارية وحيفا وأرسوف ، مما أدى إلى اشتداد الخلاف بين البنادقة والجنوية من ناحية ، والداوية والاستبارية من

(1) Idem ; p. 322.

(٢) المقرزي : السلوك ١ > ٢ ق ٤٨٣ .

(٣) المقرزي : السلوك ١ > ٢ ق ٥٥٤ .

ناحية أخرى ، كما أدى بكثير من الفرنجة إلى بيع أقطاعاتهم والرحيل إلى الغرب فراراً من تلك الحامية الثقلة المهددة <sup>(١)</sup> . وظل هيو الأنطاكي وصيا حتى سنة ١٢٦٧ م . ولا شك أنه من سوء حظ الصليبيين أن يظل عرش قبرس على تلك الحال الثقلة في الوقت الذي قبل المغول التحالف مع الصليبيين للقيام بحملة مشتركة ضد مصر <sup>(٢)</sup> . ثم تغير الموقف حين مات الملك هيو الثاني سنة ١٢٦٧ فخلفه الوصي باسم هيو الثالث الذي لم يلبث أن توج أيضاً في صور ملكاً على بيت المقدس سنة ١٢٦٩ ، وبذلك تم توحيد المملكتين تحت تاج واحد من جديد <sup>(٣)</sup> . وكان هيو الثالث رجلاً نشيطاً صالحاً للقيام بأعباء المهمات التي أقيمت على عاتقه باعتباره ملك الدولتين الصليبيتين بالشرق <sup>(٤)</sup> . ودلّ على ذلك حين قبض على رسل السلطان بيبرس الأول وهم في طريقهم إلى سلاجقة الروم عن طريق قبرس رغم الأمان المعطى لهم ؛ وإن كان بيبرس عندئذ في شغل بتوطيد سلطته ، فاكفى بدعوة بعض الزعماء الصليبيين وعاتبهم أشد العتاب لغدر صاحب قبرس <sup>(٥)</sup> . ومن ذلك الخطأ الطويل الذي ألقاه بيبرس على ممثلي الهيئات الصليبية بالشام يتضح مدى حنقة على هيو الثالث لإعتداء رعيته على المسلمين من جهة ولمساعدتهم للصليبيين من جهة أخرى ، إذ تعرض فيه الملك هيو الثالث بالنقص القوي والتحقير الشديد والتهديد والوعيد . ثم أتى بيبرس تهديده ووعيده بالتفكير في غزو قبرس ، فأخذ يعد العدة لذلك ، وسرعان ما سنحت له الفرصة سنة ١٢٧٠ م عندما علم أن هيو الثالث جاء إلى عكا لتفقد شئون مملكة بيت المقدس فرأى أن يدمم الجزيرة في غيبته <sup>(٦)</sup> .

(1) Stubbs ; p. 203.

(2) Grousset, Tome III ; p. 532.

(3) Idem ; p. 618.

(4) Stubbs ; p. 204.

(٥) القرينى : السلوك ٤٨٤ — ٤٨٦ .

(6) Grousset ; p. 558.

وسارت الشوانى المملوكية — وعدتها سبع عشرة — فى سرعة إلى الجزيرة <sup>(١)</sup>، بعد أن أعدّ المقدم ابن حسون خدعة حربية كان المظنون أنها من اختراع العقل الحديث، وهى أنه طلى ظاهر السفن بالقار مثلما كان يعمل الصليبيون فى سفنهم، ورسم عليها الصلبان حتى تنسبك الحيلة على القبارسة <sup>(٢)</sup>. غير أن ريحا عاصفة هبت والنفن على مقربة من ميناء ليماسول فانكسر منها أحد عشر شينا، وعرف القبارسة من صياح البحارة أنها سفن إسلامية فأسروا جميع من فيها من الرجال <sup>(٣)</sup>، وعدتهم ألف وثمانمائة <sup>(٤)</sup>. أما الشوانى الستة الباقية فإنها نجت وعادت سالمة وعليها الرئيس ابن حسون <sup>(٥)</sup>. وشمث هيو الثالث وأرسل إلى بييرس يخبر بانكسار سفنه وأسر رجالها قبل وصول ابن حسون، فلما تحقق السلطان الخبر لم يشأ إلا أن يحمل من الهزيمة نصراً ومن الانكسار ظفراً، إذ قال « الحمد لله! منذ ملكنى الله تعالى ما خذلت لى رايه، وكنت أخاف إصابة عين، فهذا ولا بغيره » <sup>(٦)</sup> ثم إنه كتب رسالة — بذلك الأسلوب التهكمى اللاذع الذى اشتهرت به رسائله — يرد بها على هيو، وصادف ذلك استيلاء بييرس على حصون القرين بالشام، فوازن بين فتح القرين وما يدعيه هيو من نصر زائف مرجعه الرياح لا الشجاعة فقال: « وما العجب أن يفخر بالاستيلاء على حديد وخشب، الاستيلاء على الحصون الحصينة هو العجب ... وما النصر بالهواء مليح وإنما النصر بالسيف هو

(١) قدر أبو المحاسن (النجوم ٧ ص ١٥٤) عدد السفن التى تألفت منها هذه الحملة بسبعة عشر شينا. أما العيني فقال أنها ستة عشر (Rec. Hist. Cr. Orient. Tome II, p. 239).

(٢) العيني: عقد الجمان من (Rec. Hist. Cr. Orient. Tome II, p. 240).

(٣) المقرئى: السلوك ١ ص ٢ ق ٥٩٣.

(٤) العيني: عقد الجمان من (Rec. Hist. Cr. Orient. Tome II, p. 239).

(٥) أبو المحاسن: النجوم ٧ ص ١٥٤.

(٦) المقرئى: السلوك ١ ص ٢ ق ٥٩٤.

المليح . ونحن نفشى . فى يوم واحد عدة قطايح ولا يُنشىء لكم من حصن قطعة ، ونجهز مائة قلع ولا تجهز لكم فى مائة سنة قلعة . وكل من أعطى مقدافا قدف وما كل من أعطى سيفا أحسن الضرب به أو غرف . . . وأتم خيولكم المراكب ونحن مراكبنا الخيول . . . ولو أن فى الملك سكوتا كان الواجب عليه ( هيو الثالث ) أن سكت وما تكلم <sup>(١)</sup> . ثم بعث بيبرس الأمير فخر الدين الحاجب إلى صور لابتياح الأسرى ، لكن الفرنج تقالوا فى ثمن الرؤساء مغالاة أعجزت الممالك عن شرائهم ، فظل هؤلاء — وعددهم ستة — عند الفرنج وحبسوا فى قلعة عكا حتى تمكن المسلمون من رشوة الحراس المكافين بهم وتهر بهم إلى القاهرة <sup>(٢)</sup> .

أما هيو الثالث فإنه ظل معظم تلك السنوات بمكا ( ١٢٦٩ — ١٢٧٦ ) ، لأن حركات بيبرس أخافته على البقية الباقية من مملكة بيت المقدس <sup>(٣)</sup> . وفى أثناء إقامته وصلت إلى عكا ( مايو سنة ١٢٧١ ) حملة صليبية صغيرة بقيادة الأمير ادوارد الإنجليزي ، الذى صار فيما بعد ادوارد الأول ملك إنجلترا . وهى فى الواقع جزء من الحملة الصليبية التى تعرف بالثامنة ، التى سار على رأسها لويس التاسع وأرسل بها على شواطئ تونس حيث تفرقت شيعا بسبب وفاة لويس . واجتمع الأمير ادوارد بالملك هيو الثالث فى عكا وتم الاتفاق بينهما على أن استرداد الأراضي المقدسة لا يكون إلا بالإستيلاء على مصر ، وأن تأمين الصليبيين بالشام يتطلب الإستيلاء كذلك على القسطنطينية وذلك بعد اتحام فتح مصر الشام <sup>(٤)</sup> . وليس فى ذلك كله جديد ما عدا أن الأمير ادوارد اتفق

(١) الهبى : عقد الجمان من

(Rec. Hist. Cr. Orient. Tome II, pp. 240—242).

(٢) الفريرى : ج ١ ق ٢ ص ٦١٥ .

(3) Grousset, Tome III ; p. 669.

(4) Stubbs ; op. cit. pp. 205—206.

( م م — قبرس )

ذلك الإتفاق المريض وليس لديه من الجيوش إلا القليل ، حتى أن حملته لم تتمخض في النهاية إلا عن مفاوضة يبرس وعقد هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام ( سنة ١٢٧٢ م )<sup>(١)</sup> . وفي العام التالي عاد هيو الثالث إلى الشام حيث دارت معركة بين المسلمين والفرنجية قرب بيروت باء فيها الفرنجة بفشل ذريع<sup>(٢)</sup> . هذا وإن كان يبدو أن ذهاب هيو إلى الأراضى المقدسة هذه المرة لم يكن بقصد مناوأة المسلمين أو حربهم وإنما لاسترداد حقوقه في مملكة بيت المقدس من مغتصبها من الصليبيين<sup>(٣)</sup> . وظل هيو يعمل على إصلاح حال الفرنجة بالأراضى المقدسة ويزيل ما بين الجماعات والهيئات الصليبية المختلفة من تنافس إلى أن أعيته الحيلة فانسحب نهائياً إلى قبرس سنة ١٢٧٦ دون أن يعين نائباً عنه يرعى شئون مملكته الشامية ؛ واكتفى بأن أرسل من قبرس إلى البابا جريجورى العاشر يخبره بسوء حال الصليبيين بالشام<sup>(٤)</sup> .

وقد قضى هيو الثالث بقيه عمره في إصلاح أحوال جزيرة قبرس ، إلى أن توفى في صور سنة ١٢٨٤ فخلفه على عرش قبرس ابنة حنا الأول ؛ ثم مات حنا سنة ١٢٨٥ خلفه أخوه هنرى الثانى الذى صارت إليه مملكة بيت المقدس كذلك سنة ١٢٨٦ م وامتد حكمه في قبرس حتى سنة ١٣٢٤ م . وشهد هنرى الثانى أواخر عصر قلاون ، كما شهد عصر خليل صاحب الفضل في إخراج الصليبيين نهائياً من الشام ، فضلاً عن جزء كبير من عصر الناصر محمد . ففي السنة التى تولى فيها هنرى الثانى عرش قبرس استولى قلاون ( ١٢٧٩ — ١٢٨٩ ) على المرقب آخر الحصون التابعة للاستبارية بالشام ، واضطر هؤلاء إلى الانتقال

---

(1) Stevenson, op. cit. p. 345.

(٢) القزوينى : الملوك ج ١ ق ٢ ص ٧١٦ .

(3) Stubbs, op. cit. pp. 206—207.

وكذلك القزوينى : الملوك ج ١ ص ٧١٦ حاشية رقم ١ .

(4) Grousset ; op. cit. pp. 669—670.

إلى عكا . ثم استولى قلاون على طرابلس وقضى بذلك على إحدى الإمارات الصليبية الأولى ، كما قضى ببيرس على انطاكية من قبل . ولم يبق للصليبيين في الواقع من المدن الكبرى بعد ذلك سوى عكا مركز مملكة بيت المقدس ، والتي أصبحت بعد فتوحات بيبس وقلاون مأوى لجميع الصليبيين من استبارية وداوية وبيازنة وجنوبيين وبنادقة وإنجليز<sup>(١)</sup> .

وقد حدث أثناء حصار قلاون لمدينة طرابلس أن أرسل هنري الثاني ملك قبرس أربعة شواني لنجدها<sup>(٢)</sup> ، ولكن هنري لم يستطع الإقامة ببلاد الشام في ذلك الوقت المصعب بسبب معارضة فرسان الفرنجة له من جهة وضعفه وتردده من جهة أخرى حتى سماه بعض المؤرخين « لويس السادس عشر القبرسي » . ولهذا قنع هنري الثاني بالبقاء في قبرس مكتفيا بإرسال النجيدات بين حين وآخر إلى الصليبيين كلما دعت الحاجة إلى ذلك<sup>(٣)</sup> .

ولكن هنري الثاني أدرك أن قلاون سوف يحاول الاستيلاء على عكا ، التي على الرغم من سهولة تمويها من قبرس وقوة تحصينها ، لم يكن لها ضمان كاف لتحقيق سلامتها بعد أن أصبح المسلمون يحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم . لذا أسرع هنري الثاني عقب سقوط طرابلس إلى مفاوضة السلطان قلاون في الصلح ، وعقد معه هدنة مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر (أغسطس سنة ١٢٨٩) وبذلك أعطى هنري — وهو آخر ملوك مملكة بيت المقدس — ملوك الغرب فرصة كافية يستطيعون فيها تصفية مشاكلهم وتوجيه جهودهم نحو شئون الشرق إن كانوا فاعلين<sup>(٤)</sup> .

---

(1) Stubbs ; op. cit. p. 207.

(٢) والمقري : الملوك > ١ ق ٢ ص ٧٤٧ .

(3) Grousset ; Tome 3, pp. 731-732.

(4) Stubbs ; p. 208 & Grousset ; Tome III, p. 747.



ولم تمهل المنية قلاون حتى ينتزع عكا من أيدي الصليبيين ، إذ مات في نوفمبر سنة ١٢٩٠ م ، فأخذ ابنه خليل ( ١٢٩٠ — ١٢٩٣ م ) يعمل من بعده لتحقيق تلك الغاية ، فأعد العدة الكافية من مصر والشام ، وسار بنفسه إلى عكا وألقى عليها الحصار . وجاء هنرى الثانى بنجدة من قبرس للدفاع عن مملكته الثانية بالأراضي المقدسة<sup>(١)</sup> ، ففرح الصليبيون بعكا فرحاً شديداً لحيثه بتلك القوة العظيمة حتى أنهم أوقدوا النيران إحتفالاً به<sup>(٢)</sup> . على أن هنرى حاول أولاً فتح باب المفاوضات مع السلطان خليل لعقد الصلح ، فلما أخفقت محاولته عزم على الدفاع عن عكا حتى النهاية ؛ ولكنه سرعان ما فقد الأمل فى انقاذ المدينة بسبب إحلال أمر الصليبيين واختلاف كلمتهم فى الوقت الذى رابطت الجيوش المملوكية على الأبواب ، ولذا قرر هنرى الثانى العودة إلى قبرس ومعه كل قواته وفرسانه فكان لذلك أسوأ الأثر فى نفوس المدافعين<sup>(٣)</sup> . ولم تلبث عكا أن سقطت فى اليوم الرابع للهجوم الإسلامى عليها ( ١٨ مايو سنة ١٢٩١ م ) وهكذا دالت دولة الصليبيين ببلاد الشام إلى حيث لا رجعة<sup>(٤)</sup> .

ولكن إذا كان سقوط عكا قد ترتب عليه زوال دولة الصليبيين اللاتينية نهائياً من قارة آسيا ، إلا أن تلك الدولة عاشت فى جزر البحر المتوسط ، فعدت قبرس أكبر ملجأ لللاتين بالشرق ، ومنها استمرت وسرت قوانين الإقطاع التى انتقلت

(1) Michaud, op. cit. Tome III ; p. 323.

(٢) أبو المحاسن : النجوم > ٨ ص ٦ وكذلك

Schlumberger : Prise de Saint-Jean d'Acre, p. 23, 36 ... etc.

(٣) أبو المحاسن : النجوم > ٨ ص ٦ وكذلك Michaud ; Tome III, p. 327.

وفى رواية أخرى أن هنرى اشترك فى الدفاع عن عكا حتى النهاية وأنه لم يتخل عنها إلا عندما اشتدت وطأة الهجوم الإسلامى وأخذ من فيها من الصليبيين يفرون نحو البحر ، فكان من المصارين الملك هنرى . أنظر Stevenson, Grousset, Tome, III, p 758 وكذلك Stevenson ;

Op Cit. p. 354.

(4) Stubbs ; p. 209.

إليها من مملكة بيت المقدس<sup>(١)</sup>. وهكذا فإن قبرس التي كانت قبل سقوط عكا معقلاً هلماً من معقل للمسيحية اللاتينية بالشرق ، غدت الآن بعد سنة ١٩٢١ م أهم المعقل وأقواها<sup>(٢)</sup> ؛ بما في ذلك مملكة أرمينيا الصغرى التي كانت تسير نحو الإنحلال والفناء في خطى سريعة ، فضلاً عما حاط بإخلاصها وولاءها للبابا والكنيسة الغربية من شكوك<sup>(٣)</sup>. ونتيجة أخرى لسقوط عكا في أيدي المسلمين أن قبرس أصبحت الجبهة الرئيسية في الحروب الصليبية ، وأضحى ملوك اللوزجيان وسلاطين المماليك وجهاً لوجه ، والصراع بينهما مباشراً دون واسطة . ويوضح ذلك تماماً أن قبرس فتحت أبوابها للاجئين والمشردين من الصليبيين الفارين من بلاد الشام ، وهم الذين خسروا بسقوط عكا آخر مكان يمكن أن يلجأوا إليه بالأراضي المقدسة ، فلم يبق أمامهم سوى قبرس القريبة المنية . وهكذا أخذ الصليبيون ينزحون إلى الجزيرة فرادى وجاعات ومعهم عائلاتهم وما أمكن نقله من ثروتهم<sup>(٤)</sup>. وهناك في قبرس رحب بهم الملك هنري الثاني<sup>(٥)</sup>، كما أوى هيئات الفرسان المشردة من بلاد الشام ، فظل الاستتار به في ليماسول إلى أن تم لهم انتزاع جزيرة رودس من الدولة البيزنطية سنة ١٣٠٨ م فأتخذوها مقراً لهم<sup>(٦)</sup>.

ولسقوط عكا أثر كبير في أحوال قبرس الاقتصادية ؛ إذ انتقلت إليها الجاليات التجارية التابعة للبندقية وجنوا وبيزا ومرسيليا؛ وتأسست بها المؤسسات التجارية لتكون على إتصال دائم ببنادق هذه المدن في مصر وآسيا الصغرى ،

(١) باركر : تراث الإسلام ص ٩٧ — ٩٨ .

(2) Megaw : The Antiquities of Cyprus (Great Britain & the East, p.7)

(3) Atiya ; op. cit. p. 322.

(4) Schlumberger, p. 53. & Les Gestes des Ghiprois. (Rec. Hist. Arm. Tome II, p. 818).

(5) Stubbs ; op. cit. p. 215.

(6) Atiya ; op. cit. pp. 286—290.

كما عين بها القناصل لرعاية تلك المصالح التجارية<sup>(١)</sup>. ولما كانت سفن المدن التجارية من الدرجة الثانية تُخشى الذهاب مباشرة إلى الشواطئ المملوكية بعد سقوط عكا، فإنها جعلت من الموانئ القبرسية مثل فاماخوستا ولماوسول محطات لتجارتها<sup>(٢)</sup>.

وصفوة القول أن قبرس أضحت بعد سقوط عكا قلعة البقايا الصليبية ومحطة التجارة للذين لا يريدون التجارة مع مصر والشام مباشرة، ولذا لم يكن عجباً أن يكون الملك هنرى الثانى صاحب أحد للشاريع التى تقدم بها المنتحمسون أملاً فى عودة أوربا إلى الحروب الصليبية. وتقدم هنرى بنشروعه إلى البابا كليمنت الخامس، ونص فيه على أن أول خطوة يجب إتباعها لضمان نجاح الصليبيين هى العمل على إضعاف قوة السلطان المملوكى اقتصادياً بضرب حصار بحرى على مصر والشام مدة سنتين أو ثلاثة سنين على شرط أن يكون الأسطول الصليبي المكلف بالحصار مستقلاً تمام الاستقلال عن الجمهوريات الإيطالية التجارية التى تشكك هنرى الثانى فى إخلاصها للفرز الصليبي. ورأى هنرى أن ذلك الحصار كفىل بإضعاف دولة المماليك إلى درجة تجعلها عاجزة عن مقاومة حملة صليبية تنزل بأراضى مصر نفسها؛ حتى إذا ماتم ذلك أصبح فتح الشام والإستيلاء على الأراضى المقدسة أمراً هيناً، ما دامت قبرس تتولى إمداد القوات الصليبية بالرجال والمؤن إلى النهاية. واختتم الملك هنرى تقريره ببعض المعلومات عن مقدرة مصر الحربية ومدى قوة السلطان، وأكده ضعف السلطنة المملوكية كثيراً عن ذى قبل بسبب غارات التتار والمنازعات الداخلية<sup>(٣)</sup>.

هذا ملخص التقرير الذى بسط فيه الملك هنرى الثانى مشروعه بصدد الحروب الصليبية. ومع أنه لم يأت بثمرة سريعة حاسمة، إلا أننا لا نستطيع بأى

(1) Heyd . Histoire du Commerce. Vol. 2, pp. 3—4.

(2) Mas Latrie : L'île de Chypre, p. 225.

(3) Atiya ; op. cit pp. 58—60.

حال أن ننكر أهميته في تاريخ القرن الرابع عشر<sup>(١)</sup>. ويظهر أن ذلك المشروع وغيره من المشروعات الصليبية المتعددة كانت تصل إلى مصر كأنها حوادث توشك أن تقع فعلاً فيأخذ السلاطين في اعداد العدة للقتال ، ومن أمثلة ذلك الخبر الذي وصل السلطان الناصر محمد سنة ١٣٠٨ م ( ٧٠٨ هـ ) بأن ملك قبرس يستعد لغزو دمياط مما جعل الماليك يقومون بإجراءات واسعة لمواجهة الغزو المنتظر<sup>(٢)</sup>.

غير أن هنرى الثانى لم يعش طويلاً ليرى ثمرة مشروعه الصليبي ، إذ مات سنة ١٣٢٤ وخلفه على عرش قبرس هيو الرابع الذى تبدأ بعهدده صفحة من الصفحات البارزة في التاريخ القبرسي<sup>(٣)</sup>. وعمل هيو الرابع طوال حكمه البالغ ٢٥ سنة ( ١٣٢٤ — ١٣٥٩ ) على تكوين حلف حربى بين البنادقة والبابوية والاسبتارية ، وشارك فيما قام به ذلك الحلف من حملة صليبية على أزمير سنة ١٣٤٤ ، مما أضفى على جزيرة قبرس كثيراً من الثروة المادية والمجد الحربى حتى وصف الرحالة لودلف سنة ١٣٤٩ فرسانها بأنهم أغنى فرسان العالم<sup>(٤)</sup>. وقام هيو الرابع كذلك بعده حملات محلية على سواحل آسيا الصغرى حيث كان الأتراك السلاجقة ، وعلى سواحل مصر حيث كانت الدولة المملوكية . وإذا كان معظم الحملات التى قام بها هيو الرابع تعتبر في نظر الكثيرين مجرد غارات تغلب عليها صفة القرصنة ، فإننا ينبغي ألا ننسى حقيقة هامة وهى أن الحروب البحرية — لا في العصور الوسطى الأولى فحسب بل حتى القرن السابع عشر — يكسوها ويقلب عليها طابع القرصنة حتى أنه يصعب في كثير من الأحيان التفرقة بين تلك الحروب وأعمال القرصنة<sup>(٥)</sup>.

---

(1) Idem ; p. 60.

(٢) المقرئى : السلوك ٢ ق ١ ص ٤٨ .

(3) Stubbs ; op. cit. p. 215.

(4) Lucas ; op. cit. p. 51.

(5) Stubbs ; p. 218.

ثم مات هيو الرابع سنة ١٣٥٠ م وخلفه ابنه بطرس الأول ، الذى جعلته شخصيته الفذة وحماسته الدينية نموذج الفروسية فى العصور الوسطى<sup>(١)</sup> . ذلك أن بطرس صمم منذ أوائل عهده على أن يحمل من نفسه البطل المدافع عن المسيحية ضد الإسلام ، وأن يكرس جهوده ونشاطه لخدمة الغرض الصليبي وحرب المسلمين ومن ثم امتلأ عهده بسلسلة من الحروب المتصلة ، حتى اعتبرت سنة ارتقائه العرش بداية لمرحلة جديدة فى تاريخ الحروب الصليبية المتأخرة<sup>(٢)</sup> . وترجع بعض الحماسة الصليبية التى طفحت بها نفس بطرس الأول إلى ظروف اعتلائه العرش . فإنه لم يكن أكبر أبناء أبيه ، ولم تصبح له أحقية فى الملك إلا بعد وفاة أخيه الأكبر جاي عن طفل صغير ، وصار بطرس الأول ملصكا وفى نفسه خشية من منافسة ذلك الطفل ، فاتخذ من الحماسة الصليبية وسيلة لاكتساب رضا البابا وتأييده . ووجد بطرس الأول من يغذى تلك الحماسة طول حكمه فى شخص وزيره فيلب ميزيرو و بطرس توماس وهما من كبار دعاة الحرب الصليبية فى العصور الوسطى المتأخرة<sup>(٣)</sup> .

استهل بطرس حكمه بمهاجمة شواطئ آسيا الصغرى وانزاع عدة قواعد هامة من السلاجقة الأتراك كما سنرى فى الباب الخامس . على أن بطرس لم يقنع بهذا القدر فى حربه مع المسلمين ، بل فكر فى القيام بحملة صليبية كبرى يطمح بها المسلمين طعنة نجلاء . وعندما أدرك أن تنفيذ هذا المشروع يحتاج إلى استعدادات ضخمة تتطلب أموالا كثيرة ورجالا عديدين ، عزم على القيام برحلة إلى غرب أوروبا ليقنع ملوكها وأمرائها بأهمية مشروعه ويطلب منهم تأييده . واستغرقت هذه الرحلة نحواً من ثلاث سنوات<sup>(٤)</sup> ، فأبحر بطرس الأول من قبرس فى ٢٤ أكتوبر

(1) Orr ; p. 30.

(2) Atiya ; p. 319.

(3) Atiya ; op. cit. pp. 321—323.

(4) Machaut ; pp. 21—47 & Atiya ; pp. 330—337.

سنة ١٣٦٢ ومروودس حيث أحسن استقباله روجر رئيس الاسبتاريه ، ومن رودس قصد البندقية حيث قضى ما يزيد على الثلاثة أسابيع في إقناع لورنزو وكلسي دوق الجمهورية بإمداد الحملة بالسفن اللازمة . وبعد ذلك قصد بطرس أفينيون مارا بمنجونا حيث مكث حوالى الشهر لتصفية الخلافات بين الجنوبية والقبارسية من جهة وطلب مساعدة جنوا من جهة أخرى . وفى أفينيون اجتمع بطرس بابا إربان الخامس كما اجتمع بملك فرنسا حنا الثانى ، وأعلن البابا أمام للسكن حملة صليبية جديدة ( ١٤ إبريل سنة ١٣٦٣ ) . وبعد ذلك أكل بطرس رحلته فطاف بفلاندر وبرابانت وبعض المقاطعات والمدن الألمانية<sup>(١)</sup> ، ثم قفل راجعاً بعد ذلك الى باريس للاجتماع مرة ثانية بمنح الثانى . وبعد زيارة نورماندى وبريتاني أبحر بطرس من كاليه الى انجلترا لمقابلة ملكها ادوارد الثالث الذى أحسن استقباله وقدم اليه كثيراً من الهدايا . وبينما بطرس فى طريق العودة من انجلترا سمع بوفاة صديقه حنا الثانى ملك فرنسا فأسرع الى باريس لحضور تتويج الملك الجديد شارل الخامس ؛ ثم اتجه بعد ذلك الى وسط أوروبا لطلب مساعده الامبراطورية الرومانية المقدسة .<sup>(٢)</sup> وفى براغ رحب به الامبراطور شارل الرابع وأشار عليه بعقد اجتماع كبير فى كراكو يحضره كازمير الثالث ( Casimir III ) ملك بولندا ولويس الكبير ملك هنغاريا . وقد تم ذلك الاجتماع فعلا وأبدى الحاضرون إستعدادهم التام لمساعدة بطرس الأول فى مشروعه<sup>(٣)</sup> . ثم قفل بطرس راجعاً الى البندقية مارا بالنمسا فوصلها فى ١١ نوفمبر سنة ١٣٦٤ ومنها أرسل إلى حنا — أخيه ونائبه بقبرس — يطلب إليه إعداد السفن والرجال والمؤن وإرسال كل ذلك إلى رودس لانتظاره

---

(1) Machaut ; op. cit pp. 27-29.

(2) Idem ; p. 30

(3) Idem ; pp. 40-42.

هناك<sup>(١)</sup> . ونفذ حنا ما طلب إليه من إستعدادات وأرسل إلى الملك بطرس يخبره بذلك ، فعادر البندقية ووصل جزيرة رودس في أغسطس سنة ١٣٦٥ م<sup>(٢)</sup> .  
نبر أنه يلاحظ أن أحداً من ملوك الغرب أو أمراءه لم يشترك شخصياً في الحملة رغم الوعود العديدة التي حصل عليها بطرس منهم ، وأنه لم يخرج من رحلته هذه سوى بعدد كبير من المغامرين والأنصار<sup>(٣)</sup> .

وفي رودس اجتمعت السفن والرجال ، فبلغ عدد السفن مائة وخمس وستون سفينة<sup>(٤)</sup> ، وأخذ بطرس الأول على قول المعاصرين يفكر في اختيار السكان الذي يتوجه إليه لظعن المسلمين في مقتلهم ، فنصحه أحد خاصته واسمه بارسفل الكولوني ( Percevel de Cologne ) بالتوجه إلى الاسكندرية وأن يهاجمها في يوم جمعة والمسلمون في المساجد<sup>(٥)</sup> .

وتردد الملك في قبول هذه النصيحة وخشى مهاجمة مدينة عظيمة مثل الإسكندرية ، ثم اقتنع أخيراً بوجهة نظر بارسفل ، وعقد النية على أن تكون الإسكندرية هدفه<sup>(٦)</sup> .

هنا يقف محمد بن قاسم النويرى وهو قريب النويرى الكبير صاحب نهاية الأرب — فيذكر الأسباب التي دفعت بطرس إلى اختيار الإسكندرية هدفاً لحملة ويحدد لذلك سبعة أسباب : أولها أن السلطان صالح بن الناصر محمد أنزل بالمسيحيين وأهل الذمة أنواع الظلم سنة ٧٥٥ هـ ( ١٣٥٤ - ١٣٥٥ م ) فرأى بطرس أن ينتقم لأبناء دينه من المالك ولسلطانهم . وثانيها أن بطرس أرسل غداه ارتقاءه العرش

---

(1) Makhiaras ; p. 145.

(2) Idem, p. 149.

(3) Machaut ; p. 25 & p. 58.

(4) Makhiaras ; p. 151.

(5) Machaut ; p. 61.

(6) Idem ; p. 64.

إلى السلطان حسن يستأذنه في التوجه إلى صور ليتوج بها من باب الذكرى لمملكة بيت المقدس الصليبية فرفض السلطان ذلك . وثالثها أن العامة من أهل الإسكندرية تعدوا على الفرنج وتجار البنادقة بالمدينة . أما الأسباب الأربعة الباقية فخلاصتها أن بطرس علم من بعض القبارسة الذين طالما أغاروا على الشواطئ المصرية أن الإسكندرية ورشيد وبقية الموانئ المصرية تكاد تكون خالية من وسائل الدفاع والمقاومة مما جعل بطرس يستخف بأمر المالك ومقدرتهم على الدفاع عن موانئهم<sup>(١)</sup> .

هذه هي الأسباب التي اعتقدها النويرى المعاصر أصلاً لاختيار بطرس ميناء الإسكندرية لحملة . غير أن تفكير الصليبيين في الإسكندرية بوجه خاص وفي مصر بوجه عام ليس بالأمر الجديد ، فنذ أيام الحملة الصليبية الأولى والصليبيون يدركون أهمية مصر لما هم بصدده . هذا إلى أن محاولة الصليبيين الاستيلاء على مصر لا تنف عند حملة لويس التاسع سنة ١٢٤٩ — ١٩٥٠ ، بل إن الفكرة وجدت أيام جودفري دي بويون ( Godfrey de Bouillon ) أول حكام الدولة الصليبية في بيت المقدس سنة ١٠٩٩ ، ثم لم تلبث تلك الفكرة أن اتخذت صبغة عملية في عهد بلدوين الأول سنة ١١١٦ م وهو الذي مات بمصر ، ولا تزال سبيخة بردويل غربي بورسعيد الحالية تعرف باسمه<sup>(٢)</sup> . هذا كله فضلاً عن أن دعاة الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي أمثال بيتوتى ( Pitotti ) عرفوا ما لمصر من أهمية في مشروعاتهم الصليبية ، ونادوا بوجود الاستيلاء على الإسكندرية بالذات ، تلك المدينة ذات المركز التجارى الفريد والموقع الحربى العظيم<sup>(٣)</sup> . والواقع أنه وجد من ملوك قبرس من سبق أن فكروا في ضرورة فتح

---

(١) النويرى : الإعلام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الاسكندرية من س ٢٨٦ إلى س ٢٩٤ .

(٢) محمد مصطفى زيادة : مصر والحروب الصليبية ( من رسائل القنافة الحربية

رقم ٣٩ ) .

(3) Atiya, pp. 349—351.



مصر بصفة عامة كخطوة أولى لاستخلاص الأراضي المقدسة ؛ كما رأينا في المشروع الذى تقدم به هنرى الثانى لوزجنان للبابا كليمنت الخامس<sup>(١)</sup> ؛ والذى يقال إن بطرس تأثر به إلى حد كبير فى حملته على الإسكندرية<sup>(٢)</sup>.

ولم يفت بطرس قبل رحيل الحملة من رودس أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لمنع تسرب أخبارها إلى المسلمين ، لا سيما وأنه لم يثق بالإيطاليين الذين اشتركوا فى الحملة . ولذا أرسل إلى أخيه حنا بقبرس يطلب إليه أن يمنع أية سفينة من مغادرة الجزيرة إلى بلاد الشام حتى يظل أمر الحملة سرا مكتوما<sup>(٣)</sup> . ولم يعلن الملك لجنوده وجهة الحملة إلا بعد أن أبحرت السفن من رودس فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٣٦٥ وأصبحت فى وسط البحر<sup>(٤)</sup> .

ولكن على الرغم من هذه الإحتياطات وصلت أخبار الحملة إلى مسامع المصريين ، فيقول المقرئى إن أهل الإسكندرية بلغهم قبل وصول الحملة بعده أشهر أن الفرنجة عازمون على غزوهم<sup>(٥)</sup> . وذكر النويزى أن أخبار الاستعدادات الحربية بقبرس لغزو الأسكندرية وصلت إلى مصر قبل الحملة نفسها بمدة طويلة<sup>(٦)</sup> . والغالب أن هذه الأخبار إنما وصلت عن طريق التجار الذين ترددوا على الإسكندرية حين بعد آخر ، كما يستفاد من بعض القصص الشعبى المعاصر<sup>(٧)</sup> .

---

(١) أنظر ما تقدم ص ٥٤

(2) Aliya ; op. cit, p 60.

(3) Makhiaras ; p. 151.

(4) Machaut ; op. cit p. ٤4.

(٥) المقرئى : السلوك - ص ٤٦ ب .

(٦) النويزى : الإللام - ص ٢٩٥ .

(٧) بول كالا : منارة الإسكندرية فى خيال الظل المصرى . وهى مجموعة قصص شعبية كانت تمثل فى خيال الظل فى ذلك العصر نشرها وقدم لها المستشرق بول كالا وتناولت طرفا من إغارة بطرس على الإسكندرية .

ولكن يبدو أن الدولة المملوكية استخفت بتلك الأخبار، وعلى حد تعبير المقرئى « لم يكن من الدولة اهتمام<sup>(١)</sup> »؛ ولعل أصحاب الأمر كانوا لا يتصورون أن يجرؤ أحد على الإغارة على الإسكندرية، وهى ذلك الثغر العظيم الذى رجح كل من قصده بالخبيبة والفشل<sup>(٢)</sup>. يضاف إلى ذلك تحقير الممالك من شأن قبرس وملكها، وحسبنا أن النورى أفرد صفحات للكلام فى ضالة ملكها بين ملوك النصرانية وضعف مملكته بين ممالكهم<sup>(٣)</sup>. على أن الأمير زين الدين خالد نائب الإسكندرية كان من الأقلين الذين رأوا ضرورة الإحتياط عندما سمع بخبر استعداد بطرس لغزو الثغر، فاهتم بزيادة تحصين المدينة ورفع سورها القصير من جهة الباب الأخضر، وأرسل إلى القاهرة يطلب من يلبغا الخالصكى مقدم العساكر<sup>(٤)</sup> المساعدة فى تحصين المدينة؛ غير أن يلبغا سخر من تلك الأخبار وقال « إن القبرسى أقل وأذل من أن يأتى إلى الإسكندرية<sup>(٥)</sup> ». وما أشبه هذا

= وقد جاء فيها (ص ٢٣) على لسان الرسول الكتيلى:

يلزمكم تجهزوا لقتال	وحضروا أرواحكم للجهاد
إن الملك جاعده الكتيلى	طالب لأخذ المسلمين والبلاد
وإسكندرية وأراضى مصر	قاصد ليأخذهم كذا فى العناد
فما عليا غير أقول دا فى الكلام	اصفوا لى قولى وهذا الخطاب
أذرسول مرسل من الكتيلى	إن الرسول ما يلزموشى عتاب

(١) المقرئى : السلوكة ٤٠ ص ٤٦ ب .

(٢) النورى : الإللام ج ١ ص ٢ .

(٣) النورى : الإللام ١٠ ص ٨٠ — ٨٨ .

(٤) كان الأمير يلبغا الخالصكى مملوكا للسلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، وتولى نيابة السلطنة فى أيامه وصار صاحب الأمر فى الدولة . ثم قتل السلطان حسن بعد ست سنوات لحكمة ، فأقام يلبغا بعده فى السلطنة الملك صلاح الدين محمد ابن أخى السلطان حسن سنة ١٣٦١ م (٧٦٢ هـ) . ثم خلعة بعد سنتين وأقام بعده شعبان سنة ١٣٦٣ م (٧٦٤ هـ) فى تحت وصاية يلبغا إلى أن تخلف منه بالقتل سنة ١٣٦٧ م (٧٦٨ هـ) [ انظر لويس شيخو : تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ص ٣٤ ] .

(٥) النورى : الإللام ١٠ ص ٥١٥ .

القول بما ذكره الجبرتي بعد ذلك عن كبرياء الممالك واستخفافهم بأمر الفريسيين عندما سمعوا بأن حملة بونايرت في طريقها إلى مصر !

أما عن حال الدولة المملوكية في ذلك الوقت ، فكان السلطان شعبان طفلاً في الحادية عشرة من عمره ، وكان المتحكم في البلاد — وهو يلعباً الخاصكى مقدم العسكر — جائراً عسوفاً ، ولذا امتلأت القاهرة بمظاهر القلق والاضطراب الناشئة عن قيام سلطان قاصر ووصى متعطرس . ولم تكد الإسكندرية أحسن حالا من القاهرة ؛ ففي سنة ١٣٦٥ م ذهب نائبها الأمير خليل صلاح الدين بن عوام لإداء فريضة الحج <sup>(١)</sup> ، فتاب عنه أمير يسمى جنفرا وصفة النويرى بأنه « سىء التدبير عديم المعرفة » <sup>(٢)</sup> ، وأنه حوّل الإسكندرية إلى شبه مسرح للألعاب النارية ، إذ دأب على استعراض الجنود وهم بملابسهم الزاهية وأعلامهم الملونة ليلة بعد ليلة ، ويجلس هو بدار النيابة يتفرج عليهم وهم يطلقون النفط الملتهب في السماء ، على حين تلهى الإسكندريون بهذه المناظر الخلافة ، وقضوا لياليهم في الاختلاف إلى سوق فيه أصناف المأكولات واللوان الطعام <sup>(٣)</sup> . وهكذا كانت الإسكندرية تقضى أيامها ولياليها عندما ظهرت أمامها الحملة الصليبية بقيادة بطرس الأول لوزجبان في ٨ أكتوبر سنة ١٣٦٥ ( ٢٨ من المحرم سنة ٧٦٧ هـ ) .

وعندما لاحت في الأفق السفن الصليبية ظنّها الإسكندريون أولاً سفن البنادقة وقد أتوا على عادتهم للتجارة كل سنة ، ففرحوا لرؤيتها وأخذوا يعدون عدتهم للموسم السنوى . ولكن السفن لم تدخل الميناء على غير العادة ، فأوجس الناس خيفة ، واستولى الرعب عليهم ، وقضوا ليلتهم وهم في خوف وفزع <sup>(٤)</sup> .

(١) النويرى : ١ ص ٣٠٧ .

(٢) النويرى : الإلام : ١ ص ٥١٥ .

(٣) النويرى : الإلام : ١ ص ٣٠٨ .

(٤) نفس المرجع ص ٣١٠ .

وأصبح يوم الخميس (٩٠ أكتوبر) فأقبلت السفن وقد ملأت البحر لكثرتها ورست بظاهر بحر السلسلة<sup>(١)</sup>، وهنا أدركت الإسكندرية حقيقة الموقف، فأغلقت جنبراً أبواب المدينة، وأخذت في شحن القلاع التي من جهة البحر بالرجال والرمات واستدعى عربان البحيرة فأقبلت جموعهم ليلية الجمعة للدفاع عن النهر<sup>(٢)</sup>، وخرجت طائفة من المقاتلين إلى الأسوار حيث باتوا يتحارسون طوال الليل، كل ذلك والعدو ساكن لا يتحرك<sup>(٣)</sup>، مما جعل العامة والدهماء يستهزئون بشأن عدوهم فخرج الباعة والصبيان وصاروا في لهو « وليس لهم اكتراث بالعدو<sup>(٤)</sup> » .

وفي صباح الجمعة ١٠ أكتوبر أنزل بطرس الأول رجاله وخيله إلى الشاطئ وأمرهم بالهجوم، فوجدوا أبواب المدينة محكمة الإغلاق، قوية التحصين بحيث تعذر عليهم اقتحامها. وعندئذ عقد الملك مجلساً للمشورة فنصحه أحد الفرسان بالعدول عن مشروعه لأن الإسكندرية أقوى من أن تؤخذ وفتحها يتطلب مجهوداً طويلاً<sup>(٥)</sup>. ولكن بطرس لم يكن بالرجل الذي يتراجع عن غرضه بمثل هذه السهولة، فلم يستمع لقول ذلك الفارس، وإنما أمر بمعاودة الهجوم ومواصلة القتال<sup>(٦)</sup>. وعندما شدد الصليبيون هجومهم أنزلوا بالمسلمين هزيمة خارج الأبواب،

---

(١) امتازت معظم الموانئ البحرية والتهرية في العصور الوسطى بسلاسل ضخمة من الحديد تغرض الميناء وتحميه من جهة البحر خوفاً من دخول سفن معادية. ويطلق في اللغة على هذه السلاسل لفظه (المأمر). انظر ميخائيل عواد: المأمر في بلاد الروم والإسلام ص ٥٠، ٦٠، ٤٨.

والقصود ببحر السلسلة هنا ميناء الإسكندرية الشرقي وكان في تلك الأزمنة مخصصاً لرسو السفن المسيحية. (انظر Atiya, p. 353).

(٢) القرزي: السلوك ج ٤ ص ٤٧ أ.

(٣) نفس المرجع والصفحة. وكذلك النوري ج ١ ص ٣١١.

(٤) القرزي: السلوك ج ٤ ص ٤٧ أ وكذلك Makhairas; op. Cit. p. 151.

(5) Machaut; op. Cit. p.p. 80-81.

(6) Ibid.

وأمطروا العربان بسهامهم « فطاروا كطيران الحمام »<sup>(١)</sup> ، وانهمزموا إلى ناحية السور . وأثر انهمزاهم على هذه الصورة في نفوس بقية المقاتلين ، فتهقروا عن السور وصار جيش المسلمين بهزيمة العربان مكسوراً على حد تعبير النويرى<sup>(٢)</sup> . ثم أدرك الصليبيون ضعف سور المدينة من جهة الميناء الشرق بعد تراجع الجنود ، ولم يجدوا أحداً يصدم عنه أو يقف في سبيلهم ، فتقدموا حتى باب الديوان (المحرك) وأحرقوه ، ثم عبروا السور على سلام خشبية وأخذوا يدخلون المدينة جماعات<sup>(٣)</sup> .

ومن الواضح أن هزيمة المسلمين إنما ترجع إلى استهزائهم بعدوم واستصغارهم لشأنه ، هذا فضلاً عن أنهم كانوا دون الصليبيين عدة واستعداداً ، فبينما ارتدى الصليبيون الدروع الحديدية وأخذوا اللامعة بأيديهم السيوف القاطعة ، كان المسلمون « لهما على وضم . . . فكيف يقاتل اللحم الحديد وكيف يبرز العارى لمن كسى بالزرد النضيد ؟! »<sup>(٤)</sup> . وأصيب جنرا في تلك المرحلة الأولى من القتال بسهم من سهام الفرنج<sup>(٥)</sup> ، فأتى بيت المال وحل ما كان فيه من ذهب وفضة ، كما قبض على تجار الفرنجة وقناصلهم بالنفر وكانوا نحو خمسين وقادهم إلى جهة دمنهور وهم مقيدون بالسلاسل<sup>(٦)</sup> . ثم أخذ الصليبيون ينتشرون في أرجاء المدينة ، فجفل الناس ، وتركوا « المدينة بما فيها للفرنج » ، حتى ضاقت الأبواب على الفارين

(١) النويرى : الإلام > ١ ص ٢٩٨ .

(٢) النويرى : الإلام > ١ ص ٢٩٨ .

النويرى > ١ ص ٣٢٢ ٨٨-٨٥ p.p. Machaut ; op. Cit. (3)

(٤) النويرى : الإلام > ١ ص ٣١٦ . ويلاحظ أن معظم المؤرخين أرجعوا السبب في هزيمة المسلمين إلى العربان . فالنويرى يتهم عليهم قائلاً إنه لم يكن مع كل منهم سوى « سيفه الأجرى » . وابن أبي حجلة — وهو أحد المعاصرين — يقول في مقامته التي نظمها في تلك المناسبة « وحضر من العربان كل عريان ، أضر من السوس وأشأم من البسوس فكانوا سبب لكسرة وعنده العصرة » (انظر ابن حبيب : درة الأسلاك في دولة الأتراك > ٣ ص ١٣٠) .

(٥) النويرى : الإلام > ١ ص ٣٢١ .

(٦) النويرى : الإلام > ١ ص ٣٢٢ .

لكثرتهم فهلك منهم مئآت من شدة الزحام<sup>(١)</sup> ، واكتظت الحقول والقرى المجاورة بالإسكندريين . وهكذا استطاع بطرس أن « يشقت شملهم أجمعين »<sup>(٢)</sup> . وفي وسط تلك الطامة الكبرى افترس العربان الفرصة للنهب والسلب ، فوقع الإسكندريون بين نارين ، كما ساءت حالتهم بسبب قلة الطعام ، إذ استغل الباعة والتجار اضطراب الأحوال وعمدوا — كما دأبتهم — إلى رفع أسعار المأكولات حتى اضطر كثير من الإسكندرانيين إلى بيع ملابسهم لشراء ما يمكسك به رفق أهله<sup>(٣)</sup> .

هكذا سقطت الإسكندرية العظيمة في يد بطرس الأول ملك قبرس ، « فدخلها باطمئنان »<sup>(٤)</sup> ، وهكذا حل المقدور بأهل الثغر فقتل منهم من قتل وأسر من أسروهم الكثيرون على وجوههم .

ويعجب النويرى كيف تسقط الإسكندرية بهذه السرعة العجيبة ويقول إن العادة جرت بأن المدن تظل تقاوم الحصار عاما وعامين ، فما بال الإسكندرية يحظها العائر تؤخذ من المسلمين في ساعتين ؟ ثم ينحى باللأئمة على أهل الثغر ويتهممهم بالتفريط وعدم الثبات في المقاومة ، إذ لو بقى كل واحد منهم بداره ورعى الفرنج من أعلاه بالطوب والحجارة لسلت للمسلمين ما بالدور على الأهل<sup>(٥)</sup> .

---

(١) المقرئى : الملوك ج ٤ ص ١٤٧ . وكان النويرى من الذين غادروا الإسكندرية عندئذ فرارا بحياته وقد خرج من باب برها ( النويرى ج ١ ص ٣٦٧ ) .

(٢) النويرى : الإللام ج ١ ص ٣٠٨ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) ولا عجب أن يحزن النويرى على الإسكندرية كل هذا الحزن ، فهي المدينة التي شب بها واختصها بمعجته وتزوج بها كما نسخ لأعيانها كتب كثيرة ؛ حتى إذا ما بنيت بحملة بطرس أثر ذلك في نفسه فآلف كتابه الإللام الذي يعتبر بحق مرجعنا الأول عن تلك الحملة ( النويرى : الإللام ج ١ ص ٣٦٦ — ٣٦٨ ) .

دخل بطرس المدينة يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٣٦٥ « فاستلم الناس بالسيف »<sup>(١)</sup>.  
وفعل رجاله بها ما يضيّق المقام عن شرهه ، إذ نهبوا الخوانيت والفنادق وأحرقوا  
القصور والخلانات ، واعتدوا على النساء والبنات ، وخرّبوا الجوامع والمساجد ،  
وقتلوا كل من صادفوه من الناس في الشوارع والمنازل والجوامع والخلانات  
والحمامات<sup>(٢)</sup> . وبلغ من وحشية الفرنج ورغبتهم في التشنّج أنهم كانوا يقتلون  
المرأة ويذبحون إبناها على صدرها . وظل الصليبيون على هذه الحال عدة أيام  
تعتبر من أسود الأوقات في تاريخ الإسكندرية<sup>(٣)</sup> ، ولم يفرّق الصليبيون بين  
مسلم ومسيحي ويهودي ؛ وبين ما هو للمسلمين وما هو لغير المسلمين ، فأحرقوا  
فنادق الكتيلانيين والجنوبيين والمارسلين وغيرهم<sup>(٤)</sup> ، واستعانوا في التعرف  
على أما كن الثروة ودور الأغنياء بسكان النفر من الفرنجة الذين دلّوهم على  
الحيايا والمكنونات فنهبوا<sup>(٥)</sup> . أما البضائع والنفائس والأنهاب فلنهم أرسلوها  
إلى مراكبهم على ظهور الإبل والخيول والبغال والحمير حتى إذا ما انتهت الدواب  
من إداء مهمتها طعنوها بالرماح وتركوها ملقاة بالميناء حتى عاد المسلمون إلى  
النفر فأحرقوا جثثها المتعفنة<sup>(٦)</sup> ، وبذلك يكون الفرنج قد أتوا على كل ما بالمدينة  
من « صامت وناطق »<sup>(٧)</sup> .

(١) المقرئزي : السلوك ج ٤ ص ٤٧ .

(٢) النويري : الإللام ج ١ ص ٣٢٦ — ٣٣٥ .

(٣) ابن حبيب : درة الأسلاك ج ٣ ص ١٣ ب .

(٤) النويري : الإللام ج ١ ص ٣٣١ .

(٥) المقرئزي : السلوك ج ٤ ص ٤٧ ب .

(٦) النويري : الإللام ج ١ ص ٣٣٣ .

(٧) المقرئزي : السلوك ج ٤ ص ٤٧ ا وقد ذكر النويري كثيراً من الحكايات والأمثلة

الطويلة التي تشهد بوحشية الصليبيين وعظم ما أتوه من منكر مع أهل المدينة ونسائها ( انظر  
الإللام ج ١ ص ٧٤٣ — ٧٤٧ ، ص ٨٠٠ — ٨٣١ ) .

ويقول ماشو إن المسلمين حاولوا اقتحام المدينة مساء الجمعة ، ولكن الملك بطرس اضطرهم صباح السبت ( ١١ أكتوبر ) إلى مغادرتها وطاردهم في الحقول المجاورة<sup>(١)</sup> . ولما كانت جموع الممالك بقيادة يلبغا الخالصكي لم تصل الإسكندرية حتى ذلك الوقت ، فإنه يصعب تفسير رواية ماشو إلا على أساس ما ذكره النويري من أن جموع العربان كانت تمير على المدينة أثناء الليل ، لا لقتال الإفرنج وإنما لنهب ما يتركونه . ذلك أن الإسكندرية اتسعت على الصليبيين فكانوا يحملون إلى سفنهم ما هو جليل القدر ، وما دون ذلك كانوا يتركونه مبثرا في الطرقات فكان العربان يدخلون المدينة أثناء الليل لنهب تلك المتروكات<sup>(٢)</sup> .

وفي صباح السبت ١١ أكتوبر عقد الملك بطرس اجتماعا من كبار فرسانه وأعوانه لأخذ رأيهم في الخطوة التالية ، فنصحه أحد رجاله وهو الكونت دى توران بمغادرة المدينة فوراً قبل أن تأتي الجيوش الإسلامية ويتعذر على الصليبيين الخلاص ، وأيد رأى الكونت دى توران معظم الصليبيين الأوربيين<sup>(٣)</sup> . ولكن الملك رفض ذلك الرأي وأشار بالتمسك بالإسكندرية والإحتفاظ بها حتى تأتي النجدة من أوربا ، وكان بطرس توماس وفيلب دى ميزير يؤيدان الملك بشدة ويربان عدم تحلى الصليبيين عن الإسكندرية بأى حال من الأحوال<sup>(٤)</sup> . وأصر الصليبيون الأوربيون على رأى دى توران وأجمعوا على العودة بسرعة وهبوا في وجه الملك قائلين « لقد مكثنا هنا أكثر من اللازم ، وهذا ليس في صالحنا بئناً إذ يجب أن نعود مباشرة إلى قبرص »<sup>(٥)</sup> ، وفلا ترك عدد كبير من الصليبيين أماكنهم وذهبوا إلى السفن ( ١١ أكتوبر ) ، بل إن جماعة من

(1) Machant ; p. 96—98.

(٢) النويري : الإلام ١ ص ٤٠٥ — ٤٠٦ .

(3) Machaut ; pp 101—102.

(4) Idem ; pp. 103—106.

(5) Makhiaras ; p. 155.



الصليبيين الإنجليز أبوا قضاء الليل في المدينة وأبحروا سراً إلى قبرس<sup>(١)</sup>، فاضطر الملك في النهاية إلى التفكير في الجلاء لا سيما بعد أن ظهرت طلائع الجيوش الملوكية التي أقبلت بقيادة يلبغا الخالصكي — بعد فوات الأوان — لتخليص الإسكندرية<sup>(٢)</sup>.

ذلك أن خبر استيلاء بطرس على الإسكندرية وصل إلى القاهرة يوم السبت ١١ أكتوبر، فتوهم الأمير يلبغا وظن أن الأمر لا يعدو أن يكون مكيدة دبرها له خصومه. ثم تحقق الخبر بعد أن شاهد بعينه بعض اللاجئين الذين وصلوا القاهرة<sup>(٣)</sup>، فنادى بالإسراع لانتفاذ الاسكندرية وخرج الجند «من غير ترتيب ولا تعبيه»<sup>(٤)</sup>. ولما كان النيل في فيضانه والمياه تغمر الأراضي اضطرب الجند إلى اتباع الطريق الصحراوي الطويل مما أخر وصولهم الاسكندرية إلى يوم الخميس ١٦ أكتوبر سنة ١٣٦٥<sup>(٥)</sup>؛ والصليبيون في مرحلة الاقلاع بسفنهم نحو قبرس، بعد أن أخذوا معهم نحو من خمسة آلاف أسير منهم «المسلم والمسلمة واليهودى واليهودية والنصراني والنصرانية»<sup>(٦)</sup>. هذا عدا ما شحنت به المراكب من البضائع المنهوبة والنقائس المسلوكة حتى ضاقت السفن بما فيها وثقلت بما عليها فترك الصليبيون على الساحل فضلات البهار التي لم يجدوا لها موضعاً بسفنهم، كما

---

(1) Stubbs, op. cit. p. 223.

(٢) ابن حبيب : درة الأسلاك في دولة الأتراك ٣ ص ١٣ ب، Machaut ; op. Cit. p.p. 107—108.

(٣) المقرئى : السلوك ٤ ص ٤٦ ب.

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٩٥ .

(٥) النويرى : الإلام ١ ص ٣٠٩ . هنا وإن كان من الصعب اتباع ما يقوله النويرى من أن بطرس إنما قصد أن يختار لهجومه وقت الفيضان حتى يعوق ذلك مجىء النجدة من القاهرة. والغالب أن ذلك جاء من باب المصادفة وتوافق الحوادث .

(٦) النويرى : الإلام ١ ص ٣٦٦ ، المقرئى ٤ ص ٤٧ ب .

أخذوا يلقون ببعض حمولة السفن في البحر لتخفف من كثرة الوسق<sup>(١)</sup>. والحاصل أن يلبغا وصل الاسكندرية في جند كثيف « كالجراد المنتشر » عقب إخلاء الفرنجة لها، فشهد ما حل بها من دمار وخراب ، ورأى جثث القتلى وقد انتفخت وجافت ، فأمر بدفن من استشهد من المسلمين وترميم ما خرب وأحرق ، كما أمر بحمل تجار الفرنجة الذين بقوا بالإسكندرية فسيقوا إلى القاهرة مشاة حفاة<sup>(٢)</sup>. ثم قبض يلبغا على كثير من النصارى بمصر والشام وألزمهم بتقديم أموالهم لفداء أسرى المسلمين<sup>(٣)</sup>.

على أن ذلك كله لم يسمح عار الاستيلاء على الإسكندرية في ساعتين ؛ حتى حق للمؤرخ أن يقول « يالها من رزيه عظم أمرها وبليه شوى القلوب جرها وحارت فيها أحلام الأقباط واختلفت فيها الأقوال ... »<sup>(٤)</sup> فلا عجب إذا تركت هذه الحادثة أثراً يلبغا في نفوس المسلمين كافة والمصريين خاصة ، ويكفي لكي نقف على مبلغ ذلك أن نلقى نظره على المراثيات العديدة التي رثى بها المعاصرون النفر ومنها مراثية للنويرى نفسه<sup>(٥)</sup>.

أما بطرس الأول لوزجنان فساد إلى قبرس حيث أقيمت له الإحتفالات العظيمة ، بينما أخذ هو في كتابة الرسائل إلى البابا وملوك الغرب يخبرهم بما أحرزه الصليبيون من نجاح على يده ، ويوضح لهم أنه اضطر إلى الجلاء عن الإسكندرية لقلة ماله من الوسائل الحربية ، ويؤكد لهم عزمه على معاودة الكرة إذا وجد

---

(١) النويرى : الإلام > ١ ص ٣٣٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٦٣ .

(٣) المقرئى : السلوك > ٤ ص ٤٧ ب .

(٤) ابن حبيب : درة الأسلاك في دولة الأتراك > ٣ ض ١٣ ب .

(٥) النويرى : الإلام > ١ ص ٣٦٠ — ٣٦٦ وهناك مراثيات أخرى ذكرها النويرى منها مراثية القنزاوى (> ١ ص ٧٣٨) ومراثيتين للشاطي (٨٥٧ — ٨٩٥) . كذلك ذكر ابن حبيب ( درة الأسلاك > ٣ ص ١٣ ب ) مقامه طويله لابن أبي حجلة رثى فيها الإسكندرية .

معيناً<sup>(١)</sup>. ويبدو أن الإستيلاء على الإسكندرية أحدث دويّاً شديداً في الغرب ، فلم يسكد البابا يسمع الخبر حتى أرسل إلى بطرس مهنثاً كما أرسل إلى ملوك أوروبا وأمرائها يناشدهم أن يسرعوا في تقديم المساعدة إلى ملك قبرس « الأسد الشجاع » على حد التعبير البابوي<sup>(٢)</sup>. ودبت الحماسة في نفس شارل الخامس ملك فرنسا ، فأرسل إلى بطرس يخبره بأنه سوف يبعث إليه بجيش كبير يحطم به قوة المسلمين<sup>(٣)</sup>؛ كما سمع كثير من اللغامين من فرسان أوروبا بكثرة الفنائم التي غنمها الصليبيون من الإسكندرية فترحوا إلى قبرس للدخول في خدمة ملكها ، وقالوا غداة وصولهم أنهم لا يستطيعون صبراً أو انتظاراً لوصول إمدادات جديدة من الغرب وأنهم يريدون العمل فوراً لخدمة الدين<sup>(٤)</sup>. غير أن الأمر وقف عند ذلك الحد أو كاد ، لأنه فيما عدا زمرة هؤلاء اللغامين لم يلب أحد من أصحاب التيجان نداء البابا تلبية جدية ، بل إنهم لا موا بطرس على إخلائه الإسكندرية وتحليه عنها ، وقالوا إنه من الصعب تعويض تلك الفرصة بعد أن تنبه المسلمون وأخذوا حيطتهم ، وكان الواجب على بطرس الاحتفاظ بالمدينة حتى تأتية النجدة . والواقع أنه على الرغم من كثرة الفنائم التي غنمها الصليبيون من الإسكندرية وعظم الخسارة التي ألحقوها بالمسلمين ، فإن حملة بطرس لوزجان تعتبر فاشلة حيث أنها لم تستطع الاحتفاظ بالثغر . ويبدو أن القبارصة أنفسهم اعترفوا بذلك فندم بطرس على إخلائه الإسكندرية ندماً أثار الكد في قلبه بقية حياته<sup>(٥)</sup>. ولا عجب فإن النويري قال بأن الصليبيين لو تمسكوا بالإسكندرية وأقاموا بها لتعب المسلمون في اخراجهم منها لحصانه أسوارها<sup>(٦)</sup> ، ولكن بطرس « دخلها لصاً وخرج منها لصاً »<sup>(٧)</sup>.

(١) Makhiaras ; p. 155.

(٢) Mas Latrie ; L'île de Chypre , p. 280.

(٣) Makhiaras ; p. 157.

(٤) Mas Latrie ; op. cit p. 280.

(٥) Stubbs ; op. cit. p. 244.

(٦) النويري : الإللام ، ص ١٠٠ .

(٧) نفس المرجع ص ١١٦ .

هذا ما كان من أمر المساعدات المنتظرة من بعض ملوك أوروبا ، أما البندقية وغيرها من الجمهوريات الإيطالية ذات العلاقات التجارية الكبيرة مع مصر والسلطنة المملوكية ، فقد وقع عليها نأباً ما فعله بطرس بالإسكندرية وقع الصاعقة ، وخشيت ما سوف يقع على تجارها وغيرهم من التجار الأوربيين في أعظم موارد ثروتهم . ولذا أرسلت البندقية ( إبريل سنة ١٣٦٦ ) رسلاً إلى السلطان شعبان تؤكد له أن السفن التي أغارت على الإسكندرية لا تمت إلى البندقية بصله وأن البنادقة لم يساعدوا بطرس ولم يشتركوا معه <sup>(١)</sup> ، ولا بد أن الرسل طلبوا إلى السلطان إطلاق سراح التجار البنادقة على الأقل . فرد السلطان بأنه لن يسمح للبنادقة أو غيرهم بالتجارة في بلاده إلا إذا صفى حسابه أولاً مع ملك قبرس . ولذا غادر الرسل مصر إلى فاما جوستا حيث طلبوا من الملك بطرس إيقاف الأعمال العدائية ضد السلطان كما طلبوا إليه مفاوضته في الصلح <sup>(٢)</sup> .

وكان الملك بطرس ووقتذاك بعد العدة للقيام بحملة ضد بيروت فألح البنادقة عليه إلحاحاً شديداً بالكف عن كل عمل عدائي ضد السلطان ، وتمهدوا بدفع الأموال التي أفقها الملك في الاستعداد لحملة بيروت <sup>(٣)</sup> . وتذكر بطرس مساعدة البنادقة إبان إعداداته حملة الاسكندرية ، فأمر بالمدول عن مهاجمة بيروت والتحول إلى شواطئ آسيا الصغرى للاغارة على الأتراك السلاجقة <sup>(٤)</sup> . ثم تبادل السلطان شعبان والملك بطرس الهدايا تمهيداً للصلح <sup>(٥)</sup> . وفي هذه المرحلة — وقبل أن يجتمع الطرفان للمفاوضة — طير البنادقة نبأ الصلح بين ملك قبرس والسلطان بأنحاء الغرب ، فكان ذلك نخبياً لآمال الملوك والأمراء الذين كان بعضهم — فيما يقال — يستعد للذهاب إلى الشرق لحرب المسلمين؛ فقررت همهم وعدلوا

(1) Makhias ; p. 157 & Machaut ; p. 115.

(2) Machaut ; p. 118 & Makhias , p. 157.

(3) Makhias , pp. 157—159.

(4) Makhias ; op. cit. pp. 159—161 & Machaut ; pp. 119—120.

(5) Makhias ; 161—163.

عن رأيهم<sup>(١)</sup> . وهكذا قضى البنادقة على مشروع الحملة الصليبية الجديدة التي نادى بها بطرس والبابا .

لكن مفاوضات الصلح طالت بين الملك والسلطان دون الوصول إلى نتيجة ما ، إذا تمسك السلطان برد أسرى الإسكندرية أولاً<sup>(٢)</sup> ، وظل متمسكا بذلك الشرط حتى وافق الملك بطرس ، وتم تبادل الأسرى وسمح لأسارى الإسكندرية بالعودة إلى بلادهم فعم الفرح المصريين لوصولهم<sup>(٣)</sup> . ثم لم تلبث المفاوضات أن توقفت بعد ذلك لأنه وصل إلى علم السلطان أن هم ملوك الغرب قد فترت عن مساعدة بطرس في المستقبل ، ولأن الأسرى الذين اهتم لهم عادوا سالمين ، ولم تعد هناك ضرورة للصلح<sup>(٤)</sup> . وأدرك بطرس أنه خدع فأخذ يسيء الظن بالسلطان وبالبنادقة الذين صرفوه عن القتال ، وأرسل إلى فاما جوستا يأمر جميع سفنه بالاستعداد لاستئناف الحرب<sup>(٥)</sup> . وما زال الملك يجمع السفن حتى اكتملت لديه مائة وستون سفينة أمده فرسان رودس ببعضها<sup>(٦)</sup> . وبلغت أخبار هذه الاستعدادات الإسكندرية ، فظن أهلها أن بطرس سيقصد الإسكندرية مرة أخرى ، فاستعدوا وأقامو المتاريس ونصبوا المدافع<sup>(٧)</sup> . غير أن بطرس قصد طرابلس هذه المرة وخرج إليها على رأس أسطوله في ٧ يناير سنة ١٣٦٧ . ولم يكد بطرس يبرح قبرس حتى هبت عاصفة عنيفة مزقت سفنه فعاد هو إلى الجزيرة طلباً للسلامة ، على حين وجدت خمس عشرة سفينة من سفنه نفسها أمام طرابلس ، فهاجمت الميناء ، وظلت منتظرة مجيء بقية الأسطول اثني عشر يوماً ، فلما لم يأت وطال إنتظارها عادت أدراجها<sup>(٨)</sup> . ويبدو أن تلك الحملة الفاشلة لم تخل من

(1) Idem ; p. 163.

(٢) التويرى : الإلام > ٢ ص ١٢٥ ب .

(٣) وقد وصف ماشو فرح المصريين بعودة الأسرى وصفاً رائعاً بليغاً . Machaut, p. 189 .

(4) Mahkias ; op. cit. p. 165.

(5) Ibid.

(6) Idem ; p. 169.

(٧) التويرى : الإلام > ١ ص ٥٢٤ .

(8) Mahkias ; p. 171 ب . & ٢٧ ص ٢٧ ب .

فائدة إذ أدت على الأقل إلى موافقة السلطان شعبان على فتح باب المفاوضات من جديد . ولم يكذب بطرس الأول عندئذ أقل رغبة في الصلح بعد أن ذهبت حملة طرابلس سدى وبدأ القبارصة يسخطون عليه لما جرته عليهم سياسته الصليبية العنيفة من مصائب وخسائر في المال والبنين<sup>(١)</sup> . هذا إلى أن بطرس أنفق الكثير من الأموال في حروبه مع المسلمين حتى اضطر إلى الاستدانة واقتراض الأموال من الكنائس والأديرة بعد أن وعد رجال الدين بأنه سيرد تلك الأموال من غنيمة من المسلمين<sup>(٢)</sup> . غير أن السلطان ظل مترددا حتى أنه وافق أكثر من مرة على بعض شروط الصلح ثم عدل عنها<sup>(٣)</sup> . وكيفما كانت الظروف والأسباب فالهم هو أن المفاوضات أخفقت وأن بطرس أخذ يفكر في حملة أخرى على طرابلس . ولم يلبث بطرس أن غادر قبرس في ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٦٧ م على رأس أسطول أختلقت المراجع في تقدير عدد سفنه<sup>(٤)</sup> ، فوصل طرابلس في اليوم التالي<sup>(٥)</sup> . ولم يلبث القبارصة أن دخلوا المدينة ونهبوا أسواقها وحملوا منها ما قدروا عليه من البضائع والأموال ، وذلك بعد أن أخلى الطرابلسيون البلد واعتصموا بجبل قريب<sup>(٦)</sup> .

ثم أنت النجدة من الجهات المجاورة إلى المسلمين فحملوا على القبارصة وهم لا همون بالأسلاب والأنهاب ، واشتدوا في قتالهم حتى هزمهم وأخرجهم من

---

(١) النورى : الإمام ج ٢ ص ٢٧ ب .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

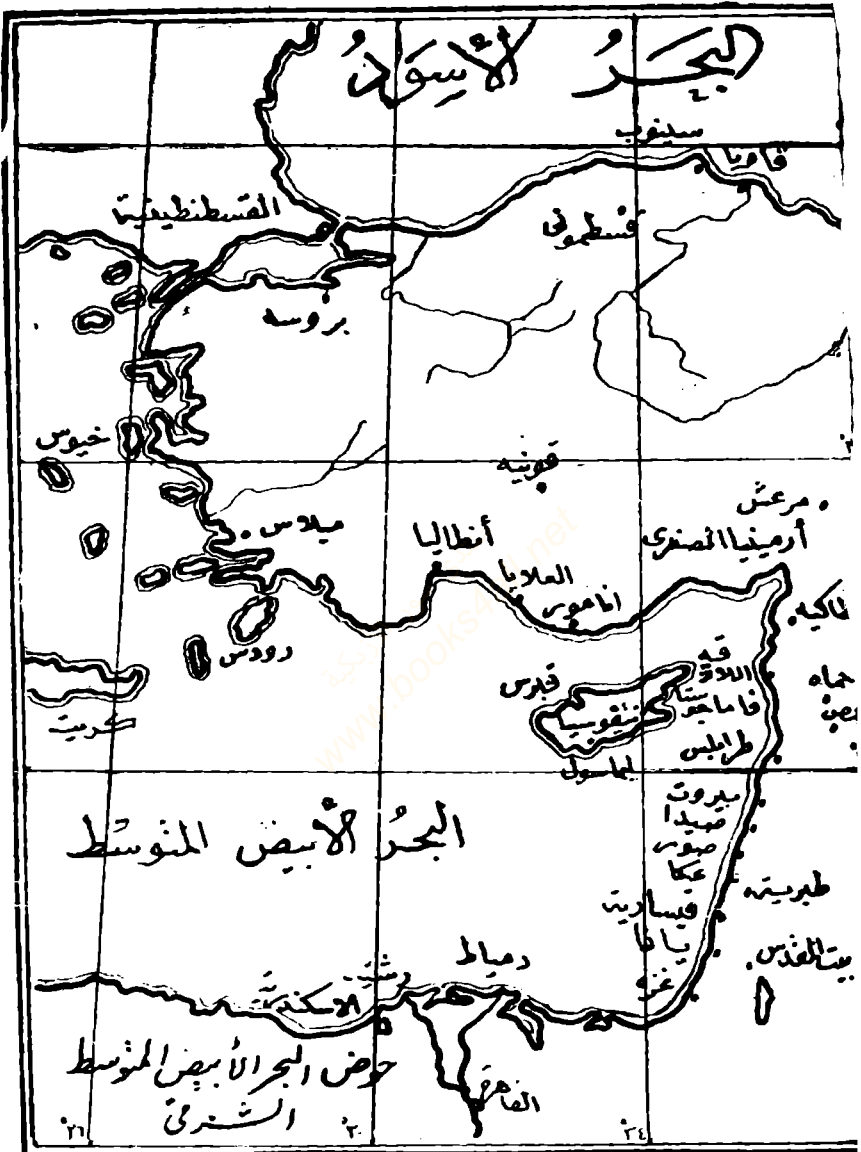
(3) Makhiaras, p 163, 165, 169, 173.

(٤) حدد المقرئى ( السلوك ج ٤ ص ١٦٠ ) عدد سفن ملك قبرس في تلك الحملة بمائة وثلاثين سفينة وكذلك أبو الحسن ( النجوم ج ٥ ص ٢١٢ ) . أما النورى ( ج ٢ ص ٣٠ ) فقال إنها مائة وواحد وسبعين سفينة وأن أغلبها مهاكب صيادين أتى بها بطرس لتخفيف بكترتها المسلمين .

(٥) هذا وفقا لمخائراس ( p. 191 ) أما ماشو فقد حدد ذلك التاريخ بالتاسع والعشرين من سبتمبر ( p. 206 ) .

(٦) المقرئى ج ٤ ص ٦٠ ب ، النورى ج ٢ ص ٣٠ ب .









من طرابلس، بعد أن قتلوا منهم نحواً من ألف نفس، عدا فته من الجرحى بينهم بطرس نفسه، على حين استشهد من المسلمين أربعون رجلاً. <sup>(١)</sup>

وهكذا خرج القبارسه من طرابلس على وجوههم يبتغون سفنهم في جماعات صغيرة <sup>(٢)</sup>، فاستغل المسلمون بعد المدينة عن الميناء، وقعدوا لهم كل مرصد حتى فتكوا بعدد عظيم منهم <sup>(٣)</sup>. وقد استطاع بعض القبارسه عند خروجهم أن يحملوا معهم باب مدينة طرابلس، وهو الباب الذى جعله بطرس لقلعه جورهيجنوس على شاطئ أرمينيا الصغرى. <sup>(٤)</sup>

غير أنه عز على بطرس أن يعود إلى بلاده فاشلاً بعد أن خسر عدداً كبيراً من رجاله، ولم يحصل من طرابلس على شيء، مما طمع فيه من غنائم يسد منها بعض ديونه للقسيسين ورجال الدين في قبرس؛ لذلك عزم على أن يقوم بإغارات أخرى على ساحل الشام وأرمينيا الصغرى ليعوض بها ما فاته <sup>(٥)</sup>. فأغار على جبله حيث هبت على سفنه ريح عاصفة اضطرتة إلى الخروج إلى البحر سريعاً، فزح إلى اللاذقية حيث ارتطمت بعض سفنه بسلسلة الميناء فكسرت اثنتان وأسر المسلمون سفينة ثالثة <sup>(٦)</sup>، وكان ذلك كافياً لخروج بطرس من ميناء اللاذقية بغير نتيجة، فأقلع إلى بانياس فوجد أن أهلها أخلوها خوفاً منه وفروا في الجبال. وعندئذ نزل القبارسه إلى البر ونهبوا البلد وأحرقوها، كما أحرقوا ما وجدوه من السفن الإسلامية

(١) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٦٠ ب ، أبو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ٢١٢ .

(2) Makhīaras ; p. 191.

(٣) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٦٠ ب ، Makhīaras ; p. 191.

(٤) وكان بطرس قد استولى على هذه القلعة في أوائل حكمه ويظهر أنها كانت بلا بوابه  
Grande, puissant, ferme, fortes (p. 20) كما وصفها ما شو  
Mais il n'i ot ne mur ne porte.

(٥) التويرى : الإللام ج ٢٠ ص ٥٣ ب ، ٥٤ .

(٦) التويرى : الإللام ج ٢ ص ٥٦ ب .

بالميناء وثمانية آلاف مجدف من مجاديف السفن .<sup>(١)</sup> وقصد بطرس بعد ذلك إياس على شاطئ أرمينيا الصغرى وكانت قد أصبحت مأهولة بعدد كبير من الأتراك والماليك فضلا عن أهلها من الأرمن المسيحيين<sup>(٢)</sup> ، فهاجم الملك قلعتها الخارجية واستولى عليها وأخذ يتجهز لمهاجمة قلعتها الداخلية . غير أنه اضطر إلى الجلاء عن تلك المدينة كذلك خوفا من الإشتباك مع الحملة التي أرسلها نائب حلب لنجدتها من المالك والعربان والتركمان<sup>(٣)</sup> .

وأخيرا عاد بطرس الى فاما جوستا في ٥ أكتوبر سنة ١٣٦٧ حيث أصدر بيانا دالاً على شعور عميق بخيبة آماله وباستحالة القيام بعمل صليبي كبير بغير معونه عظيمه من أوربا ؛ إذ أعلن أنه سوف لا يقوم بمحاولة جديدة على شواطئ المالك، ولكنه مستعد لمساعدة الراغبين من رعاياه في الإغارة على بلاد السلطان . وهكذا تطورت الحروب الصليبية إلى نوع من القرصنة ، فخرج أحد القبارسة المغامرين وإسمه حنا الصوري إلى سواحل الشام حيث أغار على بلدة الصرند فقتل من أهلها ثلاثين وأسر ثلاثة عشر . وقد اختار حنا الصوري تلك البلدة بالذات لكثرة تردده عليها أيام أن كان تاجراً وإحاطته بموارد ثروتها<sup>(٤)</sup> كذلك أغار اخوان جنويان على صيدا ثم قصدا الاسكندرية حيث وجدا سفينة إسلاميه موسوقة بالبضائع ومستعدة للسفر إلى طرابلس الغرب ، فأسراها وعادا بها الى فاما جوستا ( أول ابريل سنة ١٣٦٨ )<sup>(٥)</sup> وقد استاء السلطان شعبان من

(١) النويرى : الإلام : ٢ ص ٥٦ ب ، ، Makhias, p. 193.

(٢) النويرى : الإلام : ٢ من ٥٩ ب إلى ٦١ ا ، ، Makhias, p. 193.

(٣) النويرى : الإلام : ٢ ص ١٦٢ ب ، ، القرزى : السلوك : ٤ ص ٦٠ ب .

(٤) النويرى : الإلام : ١ ص ٩٩ ب ، ، Makhias, p. 201.

(٥) النويرى : الإلام : ١ ص ٩٨ ا ، ٩٨ ب ، ، Makhias ; pp. 195—201.

وملاحظ أن مخاريس يخالف النويرى في تقطين : الأولى أن السفينة التي أسرها القبارسة كانت آتية من طرابلس لانهب إليها . والثانية أن الأخوين الجنوبيين هما اللذان أغارا على الاسكندرية لاحنا الصوري التي يسميه النويرى إبراهيم ابن الحبازة وينسب إليه الإغارة على صرند والاسكندرية .

تلك الأعمال ورأى أن يرد عليها بالمثل ، فأرسل أحد رجاله واسمه الرايس ابراهيم التازى للرد على أعمال القبارسة بعد أن جهزه بسفينتين كبيرتين بهما مائة وخمسون مقاتل . وغادر التازى الإسكندرية في مارس سنة ١٣٦٨ م ( رجب سنة ٨٧٦٩ )<sup>(١)</sup> ، فاستطاع أن يأسر سفينة بندقية أرسلها إلى الاسكندرية بعد أن حجز معه رجالها من الفرنجة ، كما حاول الإغارة على فاما جوستا ولكن السفن القبرسية تكاثرت عليه فركن إلى الفرار<sup>(٢)</sup> . وبعد غيبة ثلاثة وعشرين يوما عاد ابراهيم التازى إلى الإسكندرية ومعه خمسة وثلاثون أسيراً من الفرنجة بينهم راهب طاعن في السن وكميات كبيرة من الغنائم ، فاستقبل بالاسكندرية استقبالا حافلا<sup>(٣)</sup> .

ويبدو أن بطرس الأول لم يقنع بذلك النوع من الحرب ، بل ظل متمسكا بفكرة الحملة الصليبية الكبرى ضد المسلمين ، فأبحر إلى إيطاليا ليطلب إلى البابا أن يستنهض ملوك أوروبا وأمرائها للقيام بالحملة المرجوة . لكن بطرس لم يجد من البابا إربان الخامس ماتوقه من تأييد إذ أحاطت بالبابويه وقتذاك ظروف اضطرتها إلى عدم مشاركة الملك بطرس رأيه ، وأهم هذه الظروف انشغالها بالأوضاع السياسية المعقدة في إيطاليا ، فضلا عن تقريرها النزول على رغبة جمهورتي البندقية وجنوا في وقف الأعمال العدائية ضد المسلمين<sup>(٤)</sup> . وكان البنادقة والجنوية على حق فإن مافعله بطرس بدولة الممالك لم يؤثر في تجارتهم مع الدولة المملوكية فحسب ، بل وفي علاقتهم مع بقية الأقطار الإسلامية . ومن أمثلة ذلك أن بعض الجنوية والبنادقة قصدوا بلاد العراق براً بعد واقعة الإسكندرية للتجارة كما ذكروا . فتمهم السلطان أويس من دخول بغداد والتجارة بها وقال لهم « ارجعوا أولاً إلى سلطان مصر واستدركوا ما أفسدتم في الإسكندرية ، وأتوني

(١) النويرى : الإلام ١ ص ٩٧ ب ، الفريزى : السلوك ٤ ص ٦٣ ب .

(2) Makhias ; op. cit. p. 203.

(٣) النويرى : الإلام ١ ص ١٠٠ ب — ١١٠٣ .

(4) Machaut ; op. cit pp. 219-220. & Makhias ; op. cit. pp. 199-201.

يخط ملك مصر بدخولكم تحت طاعته وحينئذ تبيعون ببلدى وتبتاعون منه»<sup>(١)</sup>  
ولهذا كله رجع بطرس من عند البابا بغير نتيجة ، ماعدا أنه وعد بفتح باب  
المفاوضات مع السلطان من جديد<sup>(٢)</sup> ، ورضى أن تقوم البندقية وجنوا بذلك  
نيابة عنه . وقامت من أجل ذلك جماعة من البنادقة والجنوية فاصدة مصر بعد  
أن زودها الملك بطرس بتعليماته ( ٢٤ يونية سنة ١٣٦٨ )<sup>(٣)</sup> . ودل بطرس  
على حسن نيته واستعداده للصلح بإطلاق سراح الأسرى المسلمين بقبرس وتسليمهم  
للبنادقة والجنوية عند حضورهم إلى الجزيرة<sup>(٤)</sup> .

على أن الصلح لم يتم أيضا تلك المرة ؛ إذ طال الأخذ والرد بين الفريقين  
وعاد السلطان شعبان إلى سياسة التسوية والمأطلة ، لاسيما بعد أن علم أن بطرس  
رجع من إيطاليا بغير نتيجة . وهنا ضاق بطرس ذرعاً ، فأرسل إلى السلطان خطابا  
هدده فيه وجرحه وعرض بأصله المملوكى وتوعده بالنار العاجل<sup>(٥)</sup> . ولكن الأجل  
عاجل بطرس قبل أن ينفذ وعيده ، إذ أثار سحق فرسانه ورجال دولته بأعمال  
مزرية تتنافى مع الأخلاق ، لم يكن من المنتظر منه ارتكابها وهو الصليبي النقي  
القديم ، فدبرت مؤامرة لقتله ، وقتل يوم الأربعاء ١٧ يناير سنة ١٣٦٩<sup>(٦)</sup> .

---

(١) النويرى : الإلام ٢ ص ١٨٢ .

(2) Makhiaras ; p. 201. & Machaut ; p. 220.

(3) Machaut ; p. 221.

(4) Makhiaras ; p. 205.

(5) Idem ; p. 213.

(6) Machaut ; pp. 246—274 & Makhiaras ; pp. 215—269.

وقد رثى ماشو الملك بطرس رثاءً بليفا يعبر عما يكنه له المعاصرون من تقدير ؛ جاء فيه :

Mors est li bons roys, c'est damages,

Plourez honneurs & vasselages,

Plourez enfans, plourez pucelles,

Plourez dames & damoiselles,

Plourez aussi toutes gens d'armes,

Plourez sa mort à chaudes larmes.

وهكذا مات بطرس لوزجنان ، فانتهد بموته حياه بطل صليبي ظل يثبت في الأوربيين في القرن الرابع عشر الميلادي روح أسلافهم في القرن الحادي عشر دون جدوى ، فشن الحرب عواناً على المسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلا دون أن تزوده الدول الأوربية بشيء سوى كلمات من التشجيع الأجوف ، وبموت بطرس الأول انقضت أيام آل لوزجنان الذهبية ، وانتهى عصر الرخاء الذي عم قبرس في ظل تلك الأسرة ، وبدأ دور جديد هو دور الضعف والإنحلال الذي غدت فيه الجزيرة فريسة لمنافسات الجنوبية والبنادقة<sup>(١)</sup> .

وخلف بطرس الأول ابنه بطرس الثاني ( سنة ١٣٦٩ — ١٣٨٢ ) قبل أن يبلغ سن الرشد ، فتوصى عليه عمه حنا الذي طالما حكم قبرس نائباً عن أخيه أثناء غيابه الكثيرة ، وربما كان ذلك بعض السر في نشاط أعمال القرصنة القبرسية على الشواطئ المصرية والشامية ولما يمض على وفاة بطرس الأول سوى بضعة أشهر . والواقع أن حنا اتبع خطة أخيه في هذه الناحية ، علما منه أن قبرس لن تستطيع أن تقوم بما هو أكثر من ذلك ما دامت الدول الأوربية غير راغبة في حرب صليبية على الطراز القديم . ولذا دأب حنا على تشجيع القبارسة على مهاجمة الشواطئ الملوكية والسفن الإسلامية في عرض البحر . على أن حنا لم يقنع بأعمال القراصنة الفردية أمثال ما قام به بعض القبارسة من اعتراض الكثير من السفن الإسلامية وإقتيادها إلى فاما جوستا<sup>(٢)</sup> ؛ بل رأى أن تشارك للملكة في تلك الأعمال ، فأنفذ بعض السفن الحربية للإغارة على صيدا ( يونية سنة ١٣٦٩ ) حيث دارت معركة بحرية عنيفة بين القبارسة والمسلمين ، انسحبت السفن القبرسية عقبها شمالا ، فأغار على بعض المدن والقرى حتى وصلت

(1) Cambridge Mediaeval History, Vol. 4, pp 468-470 & Lucas, p.52.

(2) Makhiaras ; p. 273.

إلى إياس فأنطالية ومنها إلى قبرس<sup>(١)</sup>. ثم عادت السفن القبرسية في يولية سنة ١٣٦٩ فأغارت على السواحل المصرية ، وهاجمت سفينة مراكشية كبيرة في ميناء الإسكندرية ، واتجهت بعد ذلك نحو رشيد فيبروت ومنها إلى قبرس<sup>(٢)</sup>.

أما البنادقة والجنوية فظلوا على أملهم في الصلح بين السلطان وملك قبرس ، ووسطوا البابا من جديد لحل الوصى على السعى في الصلح ، فقبل وأرسل بعثة لذلك الغرض إلى السلطان ، فوصلت الإسكندرية في أغسطس سنة ١٣٧٠ م . ويقول النويرى أن البنادقة والجنوية ألحوا على السلطان في الصلح وقالوا له إن بطرس الذى كان السبب فيما حل بالإسكندرية قد قتل وانتهى أمره ولا يصح إثارة الماضى وأن الوصى مستعد لترضية السلطان<sup>(٣)</sup>. وإنتهى الأمر بعقد معاهدة بين الطرفين ( ديسمبر سنة ١٣٧٠ ) ، فبدأت التجارة تعود إلى ما كانت عليه بين قبرس والبندقية وجنوا من ناحية ومصر والشام من ناحية أخرى ، وأخذت سفن الفرنجة تفتد إلى الإسكندرية بكثرة « واطمأنت الناس وما فات فات<sup>(٤)</sup> » .

على أن الصلح مع مصر لم يكن المشكلة التى واجهت قبرس في أواخر القرن الرابع الميلادى ، وإنما ظهرت تلك المشكلة في سياسة البنادقة والجنوية الذين لم يكتفوا بالإمتهادات التجارية العديدة التى حصلوا عليها تدريجيا في قبرس ، وإنما طمعوا فيها هو أكثر — أى في إمتلاك قواعد ثابتة في الجزيرة لتكون مراكز لنشاطهم التجارى في ذلك الجزء الهام من حوض البحر المتوسط . واتخذ التنافس التجارى بين جنوا والبندقية طريقة إلى السياسة الداخلية في قبرس ، حين تبين للجنوية ميل الوصى إلى جانب البنادقة ، فرد الجنوية على ذلك الموقف

(1) Idem ; p. 275.

(2) Idem ; p. 277.

يارسال حملة استطاعت أن تستولى على فاما جوستا ، وأن تأخذ بطرس الثانى وعمه حنا أسيرين . ثم أطلقت جنوة سراح الملك والوصى نظير الإعتراف باحتلالها فاما جوستا فضلا عن فدية كبيرة (أكتوبر سنة ١٣٧٤<sup>(١)</sup>) . غير أن تلك الحال لم تؤد إلى شىء سوى إزدياد المنافسة بين جنوا والبندقية<sup>(٢)</sup> .

وهكذا أصبحت الجزيرة مسرحا للفتن والمنازعات والمنافسات ، وبدأت الحوادث تدل على أن العصر الذى كانت فيه قبرس قاعدة للهجوم قد مضى واندثر وجاء عصر آخر أصبحت فيه الجزيرة فريسة للطامعين وهدفا للمفرضين .

---

(1) Makhias ; pp. 309—511.

(2) Idem ; pp. 581—585.



## الباب الرابع

### قبرس ودولة المماليك الثانية

( ١٣٨٢ - ١٥١٧ م )

عودة القبارسة إلى تهديد التجارة المملوكية ومحاولتهم استعاضة الموانئ  
بآسيا الصغرى عن الموانئ المملوكية — هتك المماليك في غزو قبرس —  
اشتداد غارات القبارسة على السواحل المملوكية أوائل القرن الخامس  
عشر — السلطان برسباى وجزيرة قبرس — حملته الأولى على قبرس سنة  
١٤٢٤ — حملته الثانية سنة ١٤٢٥ — حملته الثالثة سنة ١٤٢٦ —  
فتح قبرس وأسر ملكها جانوس — تبعية قبرس للدولة المملوكية الثانية —  
وفاة جانوس وولاء حنا الثانى للسلطان المملوكى — النزاع بين أبناء حنا  
الثانى على عرش قبرس — تحكيم السلطان وإعلان جيمس الثانى ملكاً —  
طرد الجنوة من فاما جوستا سنة ١٤٦٤ — إزدياد نفوذ البندقية في جزيرة  
قبرس — حكم البنادقة للجزيرة — استمرار دفع الجزية لسلطان المماليك .

لم يكتف ملوك قبرس بمهاجمة أراضى الدولة المملوكية وشن حرب سافرة  
عليها بين حين وآخر ، وإنما لجأوا أيضاً إلى مهاجمة تلك الدولة فى أعظم مصادر  
غناها وقوتها ، وهى التجارة ، استناداً إلى القراوات والمراسيم البابوية التى تمنع  
التجارة مع المسلمين منعاً باتاً . وعلى الرغم من أن بعض التجار الأوربيين أطاعوا  
تلك الأوامر مكرهين ، خوفاً من البابوية أو بدافع شعورهم الدينى ، إلا أن غالبية  
التجار الأوربيين — وهم من قوميات وأجناس مختلفة — اعتبروا التجارة  
مع الدولة المملوكية مسألة حياة أو موت نظراً لما أدرته عليهم من أرباح طائلة .  
وهنا نجد ملوك قبرس يستغلون موقع جزيرتهم فى شن حرب شعواء دائبة على  
ذلك النفر الذين ظلوا يتاجرون مع بلاد السلطان المملوكى ، فكانت السفن

القبرسية تتربص طريق ذهابهم أو عودتهم وتفتك بهم أشد فتك<sup>(١)</sup> . وزيادة على ذلك عمد ملوك قبرس إلى تشجيع التجارة بين جزيرتهم وموانى آسيا الصغرى منذ أوائل القرن الثالث عشر ، وذلك بنية تحويل أنظار التجار الأوربيين عن موانى مصر والشام واجتذابهم إلى الموانى القبرسية للحصول على ما يريدونه من توابل وحاصلات أسيوية . وكان ما هنالك من صلة بين أرمينيا الصغرى وموانى آسيا الصغرى كفيلاً بأن بضمن لقبرس وصول البضائع الأسيوية إلى موانئها في سهولة ليحملها التجار الأوربيون إلى بلادهم<sup>(٢)</sup> . وطبيعى أن هذه المحاولة كانت أمراً لا يمكن أن يسكت عنه أو يغفره سلاطين الممالك للملوك قبرس . وكفى أنه يصيب الدولة المملوكية في أول موارد ثروتها وغناها . وقد فطن السلطان الظاهر بيبرس إلى ذلك الخطر وغزا قبرس لاستدراك الخطر قبل أن يستفحل<sup>(٣)</sup> ، ولكن عدم قيام بيبرس بغزو الجزيرة مرة أخرى بعد إخفاقه الأول ، وانصراف خلفائه من سلاطين دولة الممالك الأولى عن قبرس لم يكن معناه زوال ذلك الخطر ، بل يرجع إلى عوامل خارجة عن إرادتهم . ذلك أن بيبرس غزا قبرس وهى في أوج مجدها وذروة قوتها والممالك في شغل ببقايا الصليبيين بالشام ، ولذا لم يستطع أن يحاول غزوها مرة أخرى . ويقال مثل ذلك بصدد السلطان قلاوون وابنه خليل ، كما يقال أيضاً بصدد السلطان الناصر محمد وبقايا الخطر المغولى . ثم طفت الأحوال الداخلية والتنافس والشجار المستمر بين الأمراء من أجل الفوز بكرسى السلطنة مما صرف الدولة المملوكية الأولى عن التفكير في القبارصة أو غيرهم ممن يهددون متاجرها في البحر الأبيض المتوسط بل جعلها عرضة لهجوم صليبي قبرسى خطير<sup>(٤)</sup> .

(1) Heyd : Hist. du Commrce du Levant au Moyen Age ; Vol. II, p. 29.

(2) Mas Latrie : L'île de Chypre ; Ps. 232, 235, 237.

(٣) أنظر ما سبق ص ٤٧ — ٤٩ .

(٤) أنظر ما سبق ص ٦١ — ٦٨ .

لكن الباحث في أحوال قبرس أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر، يلمس في وضوح أن تلك الأحوال اختلفت كثيراً عما كانت عليه من قبل . ففي تلك الحقبة وضحت آثار السياسة الصليبية العنيفة التي اتبعتها ملوك لوزجنان واستنزفوا في سبيل تنفيذها معظم جهد مملكتهم ، وعندئذ بدت الجزيرة ضعيفة منهكة . ثم أخطأ بطرس الأول خطيئة ثانية بإثارة الحرب بينه وبين جنوه ، مما زاد الجزيرة ضعفاً على ضعف وإنها كما فوق إنهاك . بل إن الطبيعة أبت إلا أن تتحالف مع تلك العوامل لتزيد الطين بله ، فابتليت قبرس بالوباء والجراد عدة مرّات في سنوات متقاربة ، أولها أوائل سنة ١٣٩٢ حين انتشر الوباء بأجزاء الجزيرة وظل يعمل فيها حتى نهاية العام التالي ومات بسببه أناس كثيرون<sup>(١)</sup> . وفي سنة ١٤٠٩ عاد الوباء فانتشر بشكل فظيع ، كما أغار الجراد على الجزيرة فأتى على اليابس والأخضر واستمرت قبرس في تلك المنه حتى سنة ١٤١٢<sup>(٢)</sup> . ثم عاد الوباء إلى الظهور مرة أخرى سنة ١٤١٩ — ١٤٢٠ فهلك بسببه كثير من السكان<sup>(٣)</sup> ؛ وهكذا أخذت المصائب تنزل تترى على جزيرة قبرس .

وفي سنة ١٤٢٢ اعتلى عرش الدولة المملوكية الثانية السلطان برسباى الذى كان من أقوى السلاطين وأكثرهم طموحاً ورغبة في ذبوع إسمه ، فرأى في الجهاد ضد قبرس وسيلة لتحقيق مآربه وصرف منافسيه من الأمراء عن خلق المشاكل والفتن الداخلية<sup>(٤)</sup> . على أنه ليس من التاريخ الواقعى أن نرجع بدء تصميم الدول المملوكية على غزو قبرس إلى السلطان برسباى بالذات ، إذ المعروف أن التصميم به الاستعداد

(1) Makhiaras ; op. cit. p. 611.

(2) Idem ; p. 623.

(3) Idem ; p. 627.

(4) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century ; Part I, p. 29.

لغزو قبرس قديم يرجع على الأقل إلى سنة ١٣٦٥ م وهي السنة التي قام فيها بطرس لوزجنان بحملته الشهيرة على الإسكندرية . فالمصريون لم يغفروا للقبارصة ما فعلوه بالإسكندرية تلك السنة ، ولم ينسوا ما حل بشعرهم وأهله على أيدي الغيرين الذين دمروا مدينة من أعظم مدن الإسلام<sup>(١)</sup>. ومن الأدلة على ذلك أن بطرس لوزجنان لم يكذب بلجول عن الإسكندرية سنة ١٣٦٥ حتى أمر يلبيغا الخالصكي - وهو صاحب الكلمة النافذة في شئون الدولة وقتذاك - ببناء المراكب والسفن لغزو قبرس ، فجمع البحارة والتجارين والمقاتلين ، كما أرسل إلى سائر البلاد الشاميه يأمر بتسخير كل من يعرف بمسك منشأراً في قطع الأخشاب وبناء السفن « برسم غزو قبرس »<sup>(٢)</sup>. وظل الأمير يلبيغا يجد في بناء السفن والمراكب الحربية في موانئ مصر والشام حتى تم له إعداد مائة وخمسين سفينة « منها طرائد للخيول وشوانى للغزو »<sup>(٣)</sup>.

وجد السلطان شعبان ( ١٣٦٣ - ١٣٧٧ ) في التفكير في غزو قبرس حتى أنه عندما استدعى الرايس ابراهيم التازي الإسكندري - وهو من المعروفين بالشجاعة والدراية بفنون القتال ضد الفرنج في البحر - سأل « تقدر تفتح جزيرة قبرس ؟ » قال « نعم » . فقال له السلطان « بكم من غراب » قال « بمائة غراب » فأخبره السلطان أن الغرابان جاهزه وأمره أن يسافر بها لغزو قبرس . لكن ابراهيم التازي رأى أن يخرج أولاً بسفینتين لكشف أحوال الجزيرة ، فخرج على النحو السابق شرحه<sup>(٤)</sup>. وبذا شنّى التازي قلوب المسلمين ونجح في « بعض أخذ الثأر من الفرنج »<sup>(٥)</sup> هذا مايقوله النويرى المتوفى سنة ١٣٧٣ ، أى خمسين سنة تقريباً قبل مشروع برسباى في غزو قبرس ، وهو بلا شك يعبر بقوله

(1) Aliya : The Crusade in the Later Middle Ages ; p.-471.

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٣٠ ، الميى > ٢٤ ق ١ ص ١٣٩ .

(٣) النويرى : الإللام > ١ ص ٥٩٦ .

(٤) أنظر ما سبق ص ٧٦ .

(٥) النويرى : الإللام > ٢ ص ١٦٠٣ - ١٠٣ ب .

هذا عن رغبة جامحة تمتلج بها قلوب معاصريه من المسلمين . فغزوه التازى إذاً كانت بعضاً فقط من أخذ النار ، لأن النار لا يتم إلا بالاستيلاء على قبرس وتخريب ميناء من موانئها على الأقل كما فعل القبارسه بالإسكندرية .

ومما أجمع تلك الرغبة الجامحة في أخذ النار أن أعمال القراصنة في شواطئ الدولة المملوكية وضد سفنها استمرت على مقياس مزعج . ولم تكن تلك القرصنة كلها من عمل القبارسه ، لكن القراصنة من مختلف القوميات استخدموا خليجان جزيرة قبرس وتعارى بها أوكاراً لهم .<sup>(١)</sup> ومن أمثلة ذلك ما حدث من إعتداء بعض القراصنة من البسقاوية سنة ١٤٢٣ على مركب لأحد تجار دمياط ، إذ أسروه وساقوه إلى قبرس<sup>(٢)</sup> . حقيقة إن تلك الغارات على سواحل الدولة المملوكية لم تكن بالشئ الجديد ، لكنها اتخذت في القرن الخامس عشر شكلاً خطيراً أقلق سلاطين الممالك أشد القلق .<sup>(٣)</sup>

وهكذا بقي أهل قبرس « يفسدون في البحر » ويقطعون الطريق على المراكب الآتية إلى دمياط والإسكندرية<sup>(٤)</sup> . وكل ذلك بعلم وتشجيع جانوس لوزجنان ملك الجزيرة ( ١٣٩٨ — ١٤٣٢ م )<sup>(٥)</sup> ولم تجدد محاولات السلطان برسباى في عقد معاهدة تضمن عدم التعدي على متاجر المسامين بتجديد معاهدة قائمة بين الفريقين منذ سنة ١٤١٤ ؛ بل اعتقد القبارسه أن حرص الدولة المملوكية على تجديد تلك المعاهدة ليس معناه سوى ضعف السلطان وخوفه . ولذا سخر القبارسه من محاولات برسباى ، واستمروا يعيشون في البحر فساداً وعز عليهم

(1) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus ; Part I, pp. 90-91.

(٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢١٩ — ٢٢٠ ويريد بالبسقاوية أهل إقليم الباسك ( Basques ) بالبحال الغربي من أسبانيا ( أنظر تعليق لويس شيخو في نفس الصفحة ) .

(3) Atiya ; p. 471.

(٤) العيني : عقد الجمان ٢٥٠ ق ٣ ص ٥٧٢ .

(5) Mekharias ; p. 523.

أن يتركوا القصره بعد أن اغتنى منها كثير منهم وعلى رأسهم بعض الحكام<sup>(١)</sup>.  
ففى ربيع سنة ١٤٢٢ هـ هجم غرابان قبرسيان على ميناء الاسكندرية حيث  
اعتدوا على مركب للتجار قيمة حمولته مائه ألف دينار ، ثم انجمه القراصنة إلى برقه ؛  
وبعد أن نهبوا ما قدروا عليه عادوا إلى بلادهم وسروا بالأسكندرية ؛ فغضب الملك  
الأشرف برسباى لذلك أشد الغضب .<sup>(٢)</sup> وحوالى ذلك الوقت من العام التالى  
وردت الأخبار إلى مصر بقرب حركة الفرنج على بلاد المسلمين ، فاتخذ السلطان  
الإحتياطات اللازمة وأرسل الأجناد إلى دمياط والاسكندرية وغيرها من الموانئ  
ولكن القراصنة لم يقوموا بهجومهم المزعوم<sup>(٣)</sup> . وطبيعى أن كل ذلك من شأنه  
أن يثير حقد السلطان وغضبه ، فضلا عما فيه من نقض صريح للصالح المعقود مع  
القبارسة منذ سنة ١٤١٤ . وهكذا ظل السلطان يتميز غضبا حتى إذا ما كانت  
سنة ١٤٢٣ هـ ورد إليه الخبر بان الفرنج أخذوا مركبين من مراكب المسلمين قرب  
نهر دمياط فيهما بضائع كثيرة وعدة من الناس يزيدون على مائه رجل ، وبأن  
ملك قبرس جانوس استولى على سفينة محملة بالهدايا مرسله من برسباى إلى السلطان  
مراد العثماني<sup>(٤)</sup> . وعند ذلك ثارت ثائرة السلطان ، فأمر بالإستيلاء على أموال  
التجار الفرنج المقيمين بالنغور الملوكية ومنعهم من السفر إلى بلادهم<sup>(٥)</sup> ، كما  
أخذ يجهز السفن لغزو قبرس .<sup>(٦)</sup> وبذلك بدأت حملات برسباى لغزو الجزيرة ،  
وهى حملات ثلاث تعتبر من أهم الأحداث التى شهدتها الشرق الأدنى فى القرن  
الخامس عشر .

---

(١) Makbieras ; pp. 623-629.

(٢) المقرئى : السلوك > : ص ٣٥٢ ، أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٥٦١ .

(٣) السيوطى : غزوات قبرس ورووس ص ٢ .

(٤) خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك ص ١٣٨ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة > ٦ ص ٥٧٨ .

(٦) نفس المرجع ص ٥٧٩ .

أما الحملة الأولى من تلك الحملات التي كانت سنة ١٤٢٤ م فلم تبلغ مبلغاً كبيراً في السفن والرجال ، وألّاقب إلى الصواب إنها لم تعد حملة اكتشافية غرضها الوقوف على أمر ذلك النفر من الفرنج « الذي كان يتحرم من البحر »<sup>(١)</sup> .  
وتفصيل تلك الحملة الصغيرة أنه في السابع من أغسطس سنة ١٤٢٤ م غادرت بولاق سفينتان كبيرتان بهما ثمانون مملوكاً ، ثم لحقت بهما عند دمياط سفينة أخرى صغيرة فارّت السفن الثلاث إلى بيروت حيث انضمت إليها سفينة رابعة ، ثم إلى طرابلس حيث أصبح المجموع خمس سفن ، منها ثلاث كبار بكل واحدة مائة وثمانين مجداً ، واثنان صغيرتان بكل منهما دون المائة ؛ ومن ثم اتجهت تلك الحملة إلى قبرس<sup>(٢)</sup> . واشتدت الرياح قرب شواطئ الجزيرة ، ففترقت السفن ولكنها عادت واجتمعت<sup>(٣)</sup> فأتجهت إلى رأس الياق جنوبي ليماسول<sup>(٤)</sup> ، حيث أرسى مركب فرنجي مشحون بالبضائع . فلما رأى بحارته السفن الإسلامية فروا تاركين المركب بما فيه للمسلمين فنهبوه وأشعلوا فيه النيران<sup>(٥)</sup> . بعد ذلك أتجهت السفن المصرية إلى ليماسول ، فلما علم أهلها بدوم المسلمين أخرجوا النساء والأطفال من المدينة لئلا يتعرضوا لتكبيرهم<sup>(٦)</sup> . وعند ليماسول وجد المسلمون ثلاث سفن معدة للإغارة على بلاد المسلمين فأخذوا ما بها وأشعلوا فيها النار<sup>(٧)</sup> . ثم لم تلبث أن ظهرت طلائع القوات القبرسية التي أتت لقتال المسلمين ، وهي مؤلفة من سبعين فارساً وثلثمائة راجل بقيادة حاكم ليماسول ، ولكن الهزيمة حلت بهم ففروا بعد

(١) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٣٦٢ ب ، أبو المحاسن ج ٦ ص ٥٨٠ .

(٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٠ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) خليل شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٣٨ . ويلاحظ أن هذا يختلف عما رواه

المقرئى ( ج ٤ ص ٣٦٣ ب ) وأبو المحاسن ( ج ٦ ص ٥٨٢ ) من أن المسلمين قصدوا أولاً فاما جوستا حيث أضافهم صاحبها .

(٥) خليل بن شاهين ص ١٣٨ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم ج ٦ ص ٥٨٢ ، المقرئى ج ٤ ص ٣٦٣ ب .

(٧) خليل بن شاهين : ص ١٣٨ .

أن قتل منهم فارس وعدة رجال<sup>(١)</sup>. وبعد ذلك هاجم المسلمون ليماسول ، فاستطاعوا الاستيلاء على جانب واحد منها ، وعندما اتضح لهم أن الجانب الآخر شديد المناعة يطول حصاره<sup>(٢)</sup> ، اكتفوا بنهب كل ما وصلت إليه أيديهم من ظروف العسل والسمن وأعدال الجوخ والصوف وأثاث البيوت وغير ذلك<sup>(٣)</sup>. ثم أشعل المماليك النار في عدة جهات من ليماسول ، وغادروها إلى منطقة كوكليا حيث التقوا بسفينتين قادمتين من جورهيغوس على ساحل أرمنية الصغرى ، فأشعلوا النار في إحداها وأسروا الأخرى<sup>(٤)</sup>. وفي أواخر سبتمبر سنة ١٤٢٤ م أقلعت السفن المصرية من السواحل القبرسية فوصلت إلى مصر في أكتوبر من نفس العام وفيها ما استطاع المماليك حمله من الفنائم فضلا عن عدد من الأسرى اختلفت المراجع في تقديره<sup>(٥)</sup>. ولما عاد المجاهدون إلى مصر قدموا ما غنموه إلى السلطان فتصرف فيه طبقاً لأصول الشريعة ، ولو أنه آثر نفسه بمائة وثلاثين قطعة من الجوخ باعها للتجار ولم يعط المجاهدين من ثمنها شيئاً<sup>(٦)</sup>.

هذه هي غزوة قبرس الأولى ، أو « الغزوة الصغرى » على قول العيني<sup>(٧)</sup> ؛ على أن هذه الغزوة كانت على جانب عظيم من الأهمية بالقياس إلى نتائجها .

---

(١) القرينى : > ٤ ص ٣٦٣ ب ، أبو المحاسن : > ٦ ص ٨٢ .

(٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٠ ، خليل بن شاهين ص ١٣٨ .

(٣) القرينى : السلوك : > ٤ ص ٣٦٣ ب ، أبو المحاسن : النجوم : > ٦ ص ٥٨٢ ، العيني : عقد الجمان : > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٢ ، صالح بن يحيى تاريخ بيروت ص ٢٢٠ .

(4) Makhiaras ; op. cit. p. 633.

(٥) حدد القرينى ( > ٤ ص ٣٦٣ ب ) وأبو المحاسن ( > ٦ ص ٥٨٠ ) عدد الأسرى بثلاثة وعشرين أسيراً . أما ابن حجر ( > ٢ ص ١١٠٦ ) فقد حددهم بألف والسيوطى ( ص ٢ ) بألف وسبعمائة ولا شك أن التقديرين الأخيرين مبالغ فيهما لأن كل سفن الغزاه كانت خمسة .

(٦) القرينى : السلوك : > ٤ ص ٣٦٣ ب .

(٧) العيني : عقد الجمان : > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٢ .



فالسُلطان تحقق من مدى مسؤولية قبرس وملوكها عن أعمال القرصنة بعد أن أخبره رجاله بأنهم شهدوا سفن القرصان بالجزيرة معدة للإغارة على شواطئ المسلمين ، كما شهدوا بموانئ قبرس كثيراً من البضائع الإسلامية المنهوبة<sup>(١)</sup> . ثم إن هذه الحلة دلت على مبلغ ضعف قبرس وانحلال أمورها وعجزها عن مقاومة المسلمين مما حدا بالسُلطان إلى التفكير جدياً في فتح قبرس . وصفوة القول في هذه الغزوة ما قاله العيني وهو أنها السبب الذي أنتج « الغزوتين اللتين حصلتا بعدها »<sup>(٢)</sup> .

ولم يشأ برسبای أن يضيع الوقت فيعطى خصمه فرصة للاستعداد ، فأصدر الأمر بعد رجوع الحلة الأولى لبناء سفن جديدة<sup>(٣)</sup> ، واستمر العمل يجرى فيها تحت إشراف السُلطان الذي أخذ على نفسه زيارة دار الصناعة ببولاك كل يوم تقريباً ليتفقد سير العمل<sup>(٤)</sup> . ويبدو أن برسبای أراد أن يجعل الحرب مع قبرس جهاداً تشترك فيه القوى الإسلامية المجاورة على الأقل ، فأمدّه حاكم تونس بعدد من السفن<sup>(٥)</sup> . وما زاد من حماسة السُلطان وتصميمه ، أن أعمال القرصنة لم تنقطع بل استمرت على ما هي عليه ، فهاجمت أربع سفن قبرسية قرب اللاذقية مركباً مشحوناً بالمجاديف المرسلة إلى مصر ، واستولت على المجاديف التي أسرها السُلطان بصنعها من أجل السفن التي تصنع في بولاك ، ثم قتلت بحارتها وأشعلت النار فيها<sup>(٦)</sup> .

ولما اكتملت عمارة السفن ، أخذ السُلطان يعد الجند والغزاة فدعا الناس

---

(1) Makhiaras, p. 631.

(٢) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٢ .

(٣) القرزى : السلوك > ٤ ص ١٣٦٥ ، أبو الحسن : النجوم > ٦ ص ٥٨٢ .

(٤) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٢ .

(5) Wiel : Histoire de la Nation Egyptienne ; Tome IV, p. 555.

(٦) القرزى : السلوك > ٤ ص ١٣٦٧ ، Makhiaras, p. 633 .

للجهاد وعندئذ تنطوع كثيرون<sup>(١)</sup>، هذا عدا ستمائة محارب جبهزم السلطان وأنفق عليهم، وثلثمائة رجل جبهزم الأسراء على نفقتهم<sup>(٢)</sup>. وسارت الخيول — وعدتها نحو ثلاثمائة فرس — برأ إلى طرابلس ليحملها الفزاة معهم من هناك (٧ يونيو)<sup>(٣)</sup>. وبعد أن عين السلطان على الفزاة الأمير جرباش الكريمي، بدأت السفن في الرحيل يوماً بعد يوم، فنزل السلطان إلى ساحل بولاق وشاهدها وقد شحنت بالرجال والمقاتلين<sup>(٤)</sup>.

وكثرت الإشاعات وقتذاك بحركة الفرنج وتأهبهم، فأرسل برسبای الممالك والأسراء لحراسة النفور<sup>(٥)</sup>. كما أرسل إلى طرابلس وبيروت والإسكندرية ودمياط يأمر بتركيز الجند بالسواحل حفظاً لها من الفرنج<sup>(٦)</sup>. والواقع أن تلك الإشاعات لم تخل من الحقيقة، وكان برسبای محققاً في اتخاذ الأهبة والاحتياطات اللازمة للدفاع، لأن أخبار الاستعدادات التي قام بها السلطان بلغت مسامع الملك جانوس<sup>(٧)</sup>، فرأى أن يقف على حقيقة الأمر ويقصد على برسبای خطته، فأرسل سفينتين للإغارة على شواطئ سوريا « وإفساد ما يقدرون عليه »<sup>(٨)</sup>، كما أرسل عدة سفن أخرى لمراقبة الشواطئ المصرية ومنع خروج الحملة إلى البحر<sup>(٩)</sup>. أما السفينتان اللتان قصدتا بلاد الشام فأخذتا في التنقل من جهة إلى أخرى دون أن تستطيع إحداها أو كلاهما تحقيق شيء بسبب يقظة الحراسة

(١) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٥٨٨ ، ابن حجر : إنباء الفهر > ٢ ص ١٠٦ ب .

(٢) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٥٨٨ .

(٣) المقرئى : السلوك > ٤ ص ١٣٦٧ ، أبو المحاسن > ٦ ص ٥٨٨ .

(٤) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٣ ، أبو المحاسن > ٦ ص ٥٨٨ .

(٥) المقرئى : السلوك > ٤ ص ١٣٦٦ .

(٦) ابن حجر : إنباء الفهر > ٢ ص ١٠٦ ب .

(٧) Makhiaras, p. 633.

(٨) ابن حجر : إنباء الفهر > ٢ ص ١٠٦ ب .

(٩) Makhiaras ; op. cit. pp. 633-635.

الملوكية في كل الجهات<sup>(١)</sup>. ثم نفذ ما بالسفينتين من ماء فقصدتا نهر الكلب وهناك رآهما جند المسلمين فكنوا لهم وأطلق القبارسة مدفعاً ليتأكدوا من عدم وجود عدو<sup>(٢)</sup>، فلما لم يخرج إليهم أحد اطمأنوا ودخلت إحدى السفينتين النهر حيث أطبق عليها المسلمون وأحرقوها بعد أن أسروا رجالها على حين لاذت السفينة الأخرى بالفرار<sup>(٣)</sup>. وأما السفن القبرسية التي قصدت شواطئ مصر فقد وقفت عند مصب دمياط لمنع سفن المسلمين من دخول البحر المتوسط، ولكنها ولت الأدبار وفرت بلا قتال حين شهدت السفن المصرية مقبلة من الإسكندرية<sup>(٤)</sup>.

ثم غادرت الحملة الشواطئ المصرية ( ٢١ يولية ١٤٣٥ م ) فالتجّمت إلى بيروت حيث انضمت إليها السفن التي أمر السلطان بصنعها في بلاد الشام، وكان صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت مقدماً على إحدى هذه السفن<sup>(٥)</sup>. وقبل أن تبحر السفن الإسلامية ببيروت رأى الأمير جرباش مقدم الحملة أن يعطى جانوس فرصة أخيرة للصلح، فأرسل إليه رسولا يطلب منه الإذعان والدخول في طاعة السلطان وأمر ذلك الرسول بأن يعود بالرد على طرابلس؛ ولهذا الغرض غادر الرسول بيروت إلى قبرس على حين قصدت الحملة طرابلس؛ حيث مكثت ثمانية أيام في الاستعداد النهائي للحرب إذا لم يأت الرسول بنبا الصلح<sup>(٦)</sup>. وأبطأ الرسول في العودة فاستقر الرأي على الانحار إلى قبرس بالحملة كلها بعد أن أصبحت مكونة

(١) ابن حجر : إنباء الفمر > ٢ ص ١٠٦ ب ، خليل بن شاهين : زبدة كشف المالك

ص ( ١٣٩ )

(٢) خليل بن شاهين : زبدة كشف المالك ص ١٣٩ .

(٣) ابن حجر : إنباء الفمر ص ١٠٦ ب .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) صالح بن يحيى تاريخ بيروت ص ٢٢١ .

(٦) نفس المرجع والصفحة ، ابن حجر : إنباء الفمر > ٢ ص ١٠٦ ب ، العيني :

عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٣ .

من نحو أربعين سفينة . ولم تسكد السفن تفادى طرابلس ( ٣٠ يوليو ) حتى لحق بها الرسول قادما من قبرس معلنا رفض الملك جانوس للصالح<sup>(١)</sup> .

ثم وصلت السفن الإسلامية ميناء قر باص ( Korbass ) على ساحل قبرس الشمالى الشرقى<sup>(٢)</sup> ، ومنه تحركت جنوبا حتى رست بالقرب من فاما جوستا حيث نزل المشاة وأكثر الفرسان إلى البر . ولما علم حاكم فاما جوستا الجنوى بوصول المسلمين أسرع بإرسال رسول من عنده يطلب منهم الأمان ويخبرهم بدخوله فى طاعتهم ويقول إنه مملوك للسلطان وأن المدينة مدينته ، فأعطاه المسلمون أمانا بعد أن رفع الراية السلطانية على قلعة المدينة<sup>(٣)</sup> ، ودلهم حاكم فاما جوستا الجنوى بعد ذلك على عورات الجزيرة وأرشدهم إلى نواحى الضعف فيها ومبلغ استعداد ملك قبرس للقائهم<sup>(٤)</sup> . وخلال الأيام الأربعة التى مكثها المسلمون فى منطقة فاما جوستا شنوا الغارات على الضياع القريبة وأوسعوها نهباً وأسراً وتحريقاً<sup>(٥)</sup> ، وقبل أن يبرحوا المكان التقى بعض كشافاتهم بجيش قبرسى على رأسه أخو الملك فهاجمه المسلمون وقتلوا منه خمسة عشر فارساً وجرحوا أكثر من خمسين على حين لم يقتل من المسلمين سوى مملوكين<sup>(٦)</sup> .

بعد ذلك أقلعت السفن إلى الملاحة تاركة نحواً من أربعائة من الجنود المشاة يسىرون فى البر بجذاء السفن لمراقبة العدو ، فقتلوا وأسروا وأحرقوا ثم لحقوا

---

(١) صالح بن يحيى : ص ٢٢٢ ، خليل بن شاهين ص ١٤٠ ، المقرئى ص ٣٦٨ ب .

(٢) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٣ .

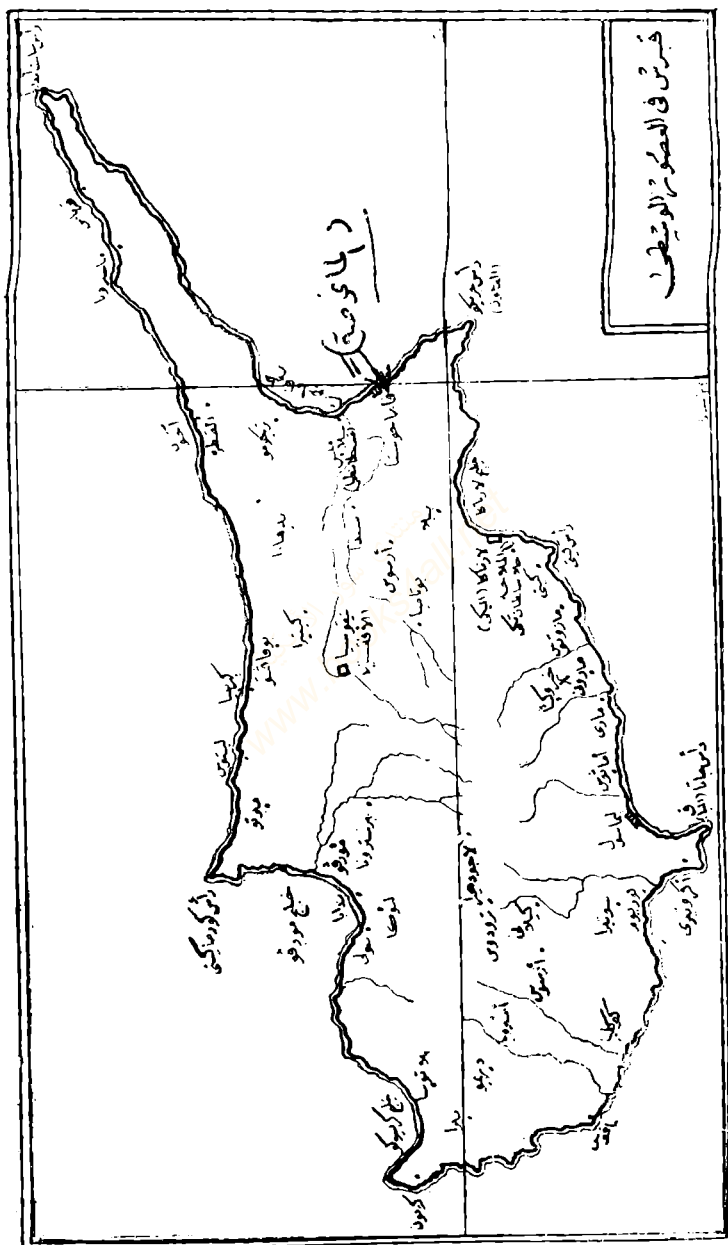
(٣) ابن حجر : إنباء الفهر > ٢ ص ١٠٦ ب ، خليل بن شاهين ص ١٤٠ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٥٩١ .

(٥) ابن حجر : إنباء الفهر ص ١٠٦ ب ، صالح بن يحيى ص ٢٢٢ ، المقرئى : السلوك > ٤ ص ٣٦٨ ب .

(٦) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٣ — ٥٧٤ .







بالسفن صباح اليوم التالى عند مكان يسمى رأس العجوز ومعهم ثلاثون أسيراً<sup>(١)</sup>.  
على أن السفن الإسلامية سرعان ما فوجئت بأسطول قبرسى مكون من ثلاثة  
عشرة سفينة<sup>(٢)</sup>، فتظاهرت السفن القبرسية بالفرار والهزيمة من غير حرب  
لتستدرج السفن الإسلامية إلى عرض البحر، ولكن المسلمين لم تجز عليهم تلك  
الخدعة فأرسوا سفنهم على ساحل الملاحة<sup>(٣)</sup>.

وكانت خطة جانوس ملك قبرس ترمى إلى توزيع قوى المسلمين بين البر  
والبحر، فبينما أرسل أسطوله ليهاجم السفن الإسلامية، بعث أخاه على رأس  
جيش عدته ثلثائة فارس المناوشة للمسلمين وليخول دون نزولهم إلى البر<sup>(٤)</sup>. فلما  
وجد المسلمون أنفسهم أمام أعدائهم برا وبحراً استعجلوا أمرهم وكان الأمر  
«أعجل من ذلك» على قول صالح ابن يحيى<sup>(٥)</sup>، فبادروا بإنزال ما يقرب من ألف  
رجل إلى البر كلهم مشاة لصعوبة إنزال الخيل فى سرعة. وأسرع هؤلاء إلى قتال  
خيالة الفرنج فقتلوا منهم كثيرين وقطعوا رؤوسهم وعلقوها فى أسنة الرماح حتى  
يراها زملأؤهم بالسفن فيطمئنون وتقوى همهم. وبذلك استطاع مشاة المسلمين  
أن ينزلوا الهزيمة بفرسان الفرنج<sup>(٦)</sup>، ثم تقدمت السفن نحو مراكب القبارصة التى  
عادت إلى الظهور من جديد بعد أن فشلت فى استدراج السفن الإسلامية إلى  
عرض البحر، وتبادل الفريقان إطلاق المدافع حتى اضطرت القبارصة إلى الفرار،

(١) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٢ ، القرىزى : السلوك > ٤ ص ٣٦٨ ب .  
العيني ص ٥٧٤ .

(٢) هذا حسب قول صالح بن يحيى الذى كان شاهد عيان ( ص ٢٢٢ ) . أما العيني  
( ص ٥٧٤ ) فقال إنها إحدى عشرة سفينة .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة > ٦ ص ٥٩١ .

(٤) ابن حجر : إنباء الغمر > ٢ ص ١٠٦ ب .

(٥) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٣ .

(٦) نفس المرجع والصفحة .



على حين كان المسلمون أحرص من أن يفرهم النصر فيطاردهم في عرض البحر تاركين بقية الجند في البر<sup>(١)</sup>.

وبعد هذه الانتصارات السريعة الموقعة ، أمر الأمير جرباش بإزالة الخيل إلى البر ، فشن المسلمون الغارات على الضياع ، وأخذوا يحرقون القرى ويقتلون ويأسرون أهلها حتى ضاقت مراكبهم عن حمل الأسرى وامتلات أيديهم بالإنائم<sup>(٢)</sup> . واستطاع المسلمون أن يقبضوا على أمير الملاحه واسمه «عين الغزال» فقتلوه إنتقاماً لما أنزله بالكثيرين من أسرى المسلمين<sup>(٣)</sup> ؛ ثم إستولوا على مخزن كبير للذخيرة<sup>(٤)</sup>.

وبعد ذلك توجه المسلمون إلى لياسول فوصلوها في ١٥ أغسطس سنة ١٤٢٥ م الموافق آخر رمضان سنة ٨٢٨ هـ ، وهناك نزل إلى البر ما يقرب من مائة وخمسين من المقاتلين ومعهم بعض المالك السلطانية . فلما أصبح الصباح وصلوا صلاة العيد ، بذلوا كل ما أوتوا من جهد في الإستيلاء على حصن المدينة ، وهو ذلك الحصن الذي لم يوجد له نظير في الجزيرة كلها من حيث قوة المناعة ومتانة التحصين<sup>(٥)</sup> . واستطاع المسلمون بعد جهد عنيف الإستيلاء عليه في نفس اليوم « وهو الأمر الذي لم يكدر في حسابهم<sup>(٦)</sup> » ، فأسروا وقتلوا كثيرين ثم رفعوا الراية السلطانية عليه بعد أن هدموا وأحرقوا جزءاً كبيراً منه<sup>(٧)</sup> . وفي تلك الأثناء وصل إلى معسكر المسلمين خمسة من الأسرى إستطاعوا الفرار من يد

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٣٦٨ ب ، أبو المحاسن : النجوم ج ٦ ص ٥٩٢ .

(٣) ابن حجر : إنباء الفهر ج ٢ ص ١٠٦ ب ، خليل بن شاهين ص ١٤١ .

(٤) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٤ ، ابن حجر ص ١٠٦ ب ، العيني ج ٢٥ .

ق ٣ ص ٥٧٥ .

(٥) العيني : عقد الجماند ج ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٥ ، خليل بن شاهين ص ١٤١ .

(٦) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٤ .

(٧) العيني ج ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٥ ، خليل بن شاهين ص ١٤١ .

العدو فأخبروا الأمير جرباش بأن صاحب البندقية أرسل نجدة إلى جانوس كما أرسل إليه ثلاثة وأربعين صندوقاً بها سيوف وخوذ ... عدا سبعمائة رمح وكمية كبيرة من القلاع والسروج وغير ذلك<sup>(١)</sup>. فلما سمع المسلمون ذلك بدأوا يفكرون في العودة ورأى الأمير جرباش أن « الأمر قد أخذ حده »<sup>(٢)</sup>. لا سيما بعد أن بلغه الشيء الكثير عن إستعدادات جانوس<sup>(٣)</sup>. كذلك خشى جرباش ضجر المساكر الإسلامية لطول إقامتهم<sup>(٤)</sup>، فجمع رجاله وسفنه وترك ليماسول، ولكن لا إلى مصر مباشرة بل إلى جهة الباف بغية الإغارة عليها؛ غير أن الرياح لم تساعد على تحقيق ذلك الغرض، فأبحرت السفن إلى مصر<sup>(٥)</sup>.

وظل السلطان طوال تلك المدة يتقرب الحملة، وفي يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٤٢٥ وصلته رسالة كتبها الأمير جرباش إلى نائب طرابلس ليبلغها إلى السلطان مبشراً بإياه بالفتح. ففرح برسبأى أشد الفرح ودقت البشائر بالقلعة وقرئ الكتاب الوارد بالنصر في جامع عمرو وزينت القاهرة وأرسلت البشائر إلى الاسكندرية والبحيرة والوجه القبلي<sup>(٦)</sup>.

وبينا الناس مستبشرون، وقد عمهم الفرح وشملهم السرور، إذا بالأخبار تأتي بعد أربعة أيام من ورود البشارة بقدوم المسلمين إلى الطينة<sup>(٧)</sup>؛ فوقع الخبر على الجميع وقع الدهشة وكثرت الإشاعات والأقاويل وأخذ الجميع يتساءلون عن السبب

(١) العيني : عقد الجمان > ٢٥٠ ق ٣ ص ٥٧٦ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة > ٦ ص ٥٩٢ .

(٣) المقرئى : السلوك > ٤ ص ٣٦٨ ب ، النجوم > ٦ ص ٥٩٢ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة > ٦ ص ٥٩٢ .

(٥) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٥٢٤ . والباف تعريب بانوس في جنوب غرب قبرس .

(٦) المقرئى : السلوك > ٤ ص ٣٦٨ ب .

(٧) الطينة بلدة بين تنيس والفرما بالوجه البحرى .

فى رجوع الفزاة بهذه السرعة وبدون سابق تنبيه<sup>(١)</sup>، ولكن سرعان ما وضحت الحقيقة وعلم الجميع أن الفزاة رجعوا رجوع الظافر المنتصر . ودخلت الجيوش الظافرة القاهرة ( ٩ سبتمبر ) وباتوا ليلتهم بساحل بولاق حتى أصبح الصباح فتوجهوا إلى القلعة وبصحبتهما ما يزيد عن الألف أسير<sup>(٢)</sup> ، على حين حملت الفنائم على مائة وسبعين حملاً وأربعين بغلاً وعشرة جمال ما بين خرج وصناديق وحديد وآلات حربية وأواني<sup>(٣)</sup> . وكان ذلك يوماً من أبهج الأيام التى مرت بالقاهرة ، إذ خرج جميع الناس لمشاهدة الموكب الرائع الذى لم يسبق لهم أن شهدوا مثله ، فازدحمت الحوانيت والمغازل بالمتفرجين ، وأكتظت الطرقات والشوارع بالمشاهدين<sup>(٤)</sup> .

ثم أمر السلطان ببيع الأسرى على أن يراعى عقد البيع عدم التفرقة بين الأولاد وآبائهم ولا بين القريب وقريبه ، فتولى بيعهم الأمير إينال الششمانى ، وأقبل الناس على اختلاف طبقاتهم من أمراء وتجّار وعوام على شرائهم<sup>(٥)</sup> ، وقومت بقية الأصناف من جوخ وصوف وقاش<sup>(٦)</sup> ، وأنفق السلطان ثمنها على المجاهدين فأعطى لطائفة منهم سبعة دنانير ونصف لكل جندى ولطائفة أخرى ثلاثة دنانير ونصف<sup>(٧)</sup> .

وهنا يستطيع الباحث أن يقارن بين الحملة القبرسية على الاسكندرية والحملة الملكية الثانية على قبرس زمن برسباى ، إذ الواضح أن المالك انتقموا لما حل

- (١) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٥٩٠ .
- (٢) القرزى : السلوك > ٤ ص ١٣٦٩ ، أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٥٩٣ ، العيني عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٦ .
- (٣) القرزى : السلوك > ٤ ص ١٣٦٩ ، أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٥٩٣ .
- (٤) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٥٩٣ .
- (٥) نفس المرجع والصفحة .
- (٦) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٧ .
- (٧) القرزى : السلوك > ٤ ص ١٣٦٩ ، أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٥٩٤ .

بالاسكندرية على يد بطرس لوزجنان . فإذا كان القبارسة أعملوا السيف في كل من صادفهم بالاسكندرية حتى تركوا المدينة مفروشة بجثث الضحايا على قول النويرى ، فإن جملة من قتلهم المالك من القبارسة في غزوتهم الثانية هذه بلغت خمسة آلاف <sup>(١)</sup> ، وإذا كان بطرس أسر عدداً عظيماً من أهل الاسكندرية <sup>(٢)</sup> . فإن المالك أسروا في هذه الغزوة أكثر من ألف قبرسى <sup>(٣)</sup> ، وإذا قرر النويرى أن سفن بطرس لوزجنان امتلأت بالغنائم من الاسكندرية حتى أخذ الصليبيون يلقون ببعض ما تحمله السفن تسهيلاً لإبحارها <sup>(٤)</sup> ، فإن أبا المحاسن قرر كذلك أن كثيراً من المسلمين في غزوة قبرس الثانية ألقي ما بأيديهم إلى الأرض لكثرة الغنائم <sup>(٥)</sup> . وهكذا لم يكدم يمشى على حملة الاسكندرية ستون عاماً حتى انقلبت الأوضاع ودارت الدوائر فانتقم المسلمون لأنفسهم أشد انتقام .

ولكن برسباى لم يكن يقنع بذلك ، لأنه لم يصب إلى إرسال حملة لجرد السلب والنهب والعودة ببيض مئآت من الأسرى وبعض أكوام من الغنائم . ولو كان برسباى يبنى مجرد الاغارة للسلب والنهب ثم الفرار لا تطبق عليه ماقاله النويرى عن بطرس من «أنه فعل فعل اللصوص لا الملوك ، لأن الملوك إذا ملكوا بلداً صمدوا فيه ودافعوا عنه» <sup>(٦)</sup> . والحقيقة أن برسباى لم يكن يود أن تعود جيوشه من قبرس قبل أن تخضع الجزيرة نهائياً <sup>(٧)</sup> . ولذا لم يكن عجباً أن يبدو السلطان على الرغم من عودة رجاله ظافرين غير قانع بتلك النتيجة ، وأن يقرر إرسال حملة ثالثة إلى قبرس في العام التالى .

(١) ابن حجر : إنباء الفهر - ٢ ص ١٠٦ ب .

(٢) النويرى : الإلمام بالأعلام - ١ ص ٣٦٦ .

(٣) المقرئى : السلوك - ٤ ص ٣٦٩ .

(٤) النويرى : الإلمام - ١ ص ٣٤٣ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم - ٦ ص ٥٩٢ .

(٦) النويرى . الإلمام بالإعلام - ١ ص ٥١٦ .

على أنه توجد أسباب أخرى دفعت برسباى إلى إرسال حملته الثالثة ، إذ عكف الجنويہ على تحريرى السلطان ضد قبرس وملكها لأنهم لم ينفروا لجانوس مهاجمة فاما جوستا ومحاولة استردادها منهم أوائل حكمه سنة ١٤٠٣<sup>(١)</sup> ، بل ظلوا يضررون له الشر رغم صلحه معهم سنة ١٤٠٩ لخوفهم من سوء نياته إذا أصبح على شىء من القوة فى يوم ما<sup>(٢)</sup> . ويقال مثل ذلك بصدد أمير العالبا بالشاطىء الجنوى لآسيا الصغرى إذ ألنى الأمير نفسه هدفاً لأطماع آل لوزجان وآل قرمان ورأى فى مهاجمة السلطان قبرس تخفيفاً لبعض الضغط الواقع على إمارته من ناحيتين<sup>(٣)</sup> . يضاف إلى ذلك ما وصل إلى سمع السلطان من أن جانوس راسل ملوك الفرنج يستنصر بهم على المسلمين وأن ملك الكيتلان أرسل ابن أخيه على رأس عدة سفن لمساعدة ملك قبرس فيما عسى يقوم به من حرب دفاعية أو هجومية على دولة المماليك<sup>(٤)</sup> . والواقع إن جانوس استنجد بملوك أوربا ودولها ولكنه لم يفر بمعونة تذكر . ذلك أن أوان الحماسة الصليبية كان قد مضى وتولى وأخذت الدول الأوربية تتفرغ لمشاكلها العديدة ، بل ذهبت البندقية إلى أبعد من ذلك حين تنحنت عن مساعدة جانوس ومنعت رجالها من التطوع فى صفوف القبارسة<sup>(٥)</sup> . ولم يستطع الإمبراطور حنا الثامن باليولوجس تقديم معانة مالية إلى ملك قبرس بل اكتفى بالتوسط فى الصلح وأرسل رسولا إلى السلطان برسباى بهديه « ليشفع فى أهل قبرس » فلم يلتفت السلطان لشفاعته وأخذ الهدية<sup>(٦)</sup> . وبذلك لم يحصل جانوس على مساعدة تذكر اللهم سوى من فرسان رودس الذين

---

(1) Makhiaras ; p. 621.

(2) Idem ; p. 653.

(3) Ibid.

(٤) ابن حجر : إنباء الفهر > ٢ ص ١١١ .

(5) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus ; p. 99.

(٦) القريرى : السلوك > ٤ ص ١٣٧٤ ، أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٥٩٩ .

أمدوه ببعض سفن ورجال وذخيرة كما أمدّه على بك قرمان ببعض رجال حاربوا في صفوفه<sup>(١)</sup> .

وعندما سمع برسباى باستنحاد جانوس بالدول الأوربية وبأنه يجد في بناء المراكب والسفن بحزيرة قبرس ، خشى أن تكون نيته متجهة إلى محاكاة سبله بطرس الأول لوزجنان وتكرار مأساة الإسكندرية . ولم يكن برسباى مبالفاً في ظنه هذا ، إذ من غرائب الأمور أن هذه الفكرة طرأت فعلاً لجانوس في ذلك الوقت<sup>(٢)</sup> . وأسرع السلطان من جهته في بناء السفن وجد في ذلك وبذل الأموال الطائلة<sup>(٣)</sup> ، كما أرسل إلى البلاد الشامية بأمر بعمارة السفن فأنشئت في بيروت سفينتان كبيرتان ؛ وكانت الأوامر تصل إلى بيروت تطلب الإسراع في إنجازهما وإحضارهما إلى نهر دسباط<sup>(٤)</sup> .

وفي بولاق اجتمعت جموع المجاهدين فعرضهم السلطان ووزع عليهم الأموال في يوم حافل تجلت فيه الحماسة الدينية ، واشتدت رغبة الناس في الجهاد حتى اضطر السلطان إلى الاعتذار إلى كثيرين بأن السفن لم يعد فيها متسع لهم<sup>(٥)</sup> . وعين السلطان عدداً كبيراً من الأفراد للذهاب مع الحملة ، وعهد بقيادة الجيوش البرية إلى الأمير تغرى بردى المحمودى وقيادة القوات البحرية إلى الأمير اينال الجيكى ، وحدد اختصاصات كل منهما « حتى لا يعارض أحدهما الآخر<sup>(٦)</sup> » .

(١) أبو المحاسن : النجوم > ٦٠٦ — ٦٠٧ .

(2) Makhiaras ; p. 639.

(٣) ابن حجر : إنباء العمر > ٢ ص ١١١ .

(٤) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٦ . ويلاحظ في هذه الحملة أن السفن التي صنعت بالشام أحضرت إلى مصر ، ومن الشواهد المصرية توجهت الحملة إلى قبرس مباشرة ، بخلاف ما حدث في الحملتين السابقتين من مرور السفن المصرية على بلاد الشام لتأخذ معها السفن الشامية .

(٥) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٦٠٠ .

(٦) السيوطى : غزوات قبرس وروودس ص ٦ .

ولم تكن القوات التي أسهمت في تلك الحملة مصرية فحسب ، بل اشترك فيها غزاة جاءوا من دمشق وصفد وغزة وطرابلس وغيرها من بلاد الشام<sup>(١)</sup> .

ثم أخذ الجميع يتوجهون إلى جهة الإسكندرية على دفعات<sup>(٢)</sup> ، فكان يوم خروجهم من ساحل بولاق يوما مشهوداً تجتمع فيه الناس من مختلف النواحي والجهات لمشاهدتهم ، وازدحت البيوت بالمتفرجين حتى أنه « لم يقدر على بيت فيها إلا من يكون له جاه عريض أو مال كبير<sup>(٣)</sup> » .

ولما وصل جميع الغزاة إلى الإسكندرية ، وتم إعداد السفن وتزويدها بالياه العذبة وغيرها من الضروريات ، أقلت الحملة من الإسكندرية في أول يونيو وعدتها أكثر من مائة سفينة تحمل نحواً من خمسة آلاف ، منهم ألف من ممالك السلطان ، ومن ممالك الأمراء المصرية نحو ألف آخر والباقي من الجند والمتطوعين<sup>(٤)</sup> . واتجهت الحملة أولاً نحو رشيد لتضم إليها خمس سفن راسية هناك ، ولكن لم تكد الحملة تبرح الإسكندرية حتى فوجئت برياح قوية جعلت السفن تصطدم بعضها ببعض ، فانكسر منها أربع وغرق عشرة أنفس ومائة فارس<sup>(٥)</sup> . وعندما بلغ ذلك الخبر مسامع السلطان استولى عليه القلق « بحيث أن القلعة ضاقت عليه<sup>(٦)</sup> » ، وبلغ من مخوفه وقلقه أنه كاد يؤجل الحملة للعام التالي ، ولكنه عاد وأرسل أحد أمرائه ليقف على حقيقة الأمر يأخذ رأى أمراء الحملة في السفر ، ويخبر أصحاب المراكب التي كسرت أنهم مغيرون بين

(١) العيني : عقد الجان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٨ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٦٠١ .

(٣) نفس المرجع ص ٦٠١ — ٦٠٢ .

(٤) العيني : عقد الجان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٨ .

(٥) ابن حجر : إنباء الفهر > ٢ ص ١١١١ ، صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٧ ،

المقرئى > ٤ ص ٣٧٤ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٦٠٢ .

الرحيل إلى قبرس أو العودة إلى مصر . وعاد ذلك الأمير إلى السلطان وأخبره أن ما حدث بالمرأكب يسهل ترميمه ، وأن الأمراء مجمعون على السفر والغزو وعندئذ هدأ السلطان واطمأن<sup>(١)</sup> . ولكن حدث بعد أن أصلحت السفن المعطوبة وبدأت الحملة سيرها أن هاجمتها خارج الإسكندرية بعض السفن القبرسية التي أرسلها جانوس لتقطع الطريق على المسلمين ، فترامى الفريقان في عرض البحر بالنشاب ، حتى ركن القبارسة إلى الفرار بعد أن قتل من المسلمين عشرة رجال<sup>(٢)</sup> .

ثم بلغت الحملة قبرس فرست السفن عند لنديا على بعد عدة أميال من ليماسول<sup>(٣)</sup> . وفي الحال نزلت القوات البرية إلى البر حيث ضربت خيامها ، على حين بقيت القوات البحرية في السفن على أتم استعداد لمواجهة أى هجوم بحرى<sup>(٤)</sup> . واختار المسلمون ألا يضيعوا الوقت فأسرعت فصيله منهم إلى مهاجمة ليماسول حيث وجدوا حصن المدينة المنيع الذى دمروه وأحرقوه في العام السابق قد حصن من جديد وشحن بالرجال وحفر حوله خندق عميق<sup>(٥)</sup> . على أن ذلك لم يزد المسلمين إلا إصراراً وعناداً فأحاطوا به من كل جهة ، ونصبوا السلاالم واستطاعوا تسلق جدار البرج بفضل شجاعة يشبك قراقوش « وهو من الفرسان المعدادين » . وعندئذ دب الفزع في قلوب القبارسة ففروا تاركين خلفهم قدور القار الذى غلوه ليصبوه على المسلمين<sup>(٦)</sup> ؛ فاستولى المسلمون على القلعة ورفعوا عليها الراية

(١) أبو المحاسن : النجوم ٦ ص ٦٠٢ — ٦٠٣ ، العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٨ — ٥٧٩ .

(٢) ابن حجر : إنباء الفهر ٢ ص ١١١ ، القرىزى : السلوك > ٤ ص ٣٧٤ ب

(3) Makhias ; op. cit. p 653.

(٤) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٩ .

(٥) ابن حجر : إنباء الفهر > ٢ ص ١١١ ، العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٩ .

(٦) ابن حجر : إنباء الفهر > ٢ ص ١١١ .



السلطانية<sup>(١)</sup> ، ثم أوسعوا مدينة ليماسول نهبا وهدما وإحراقا<sup>(٢)</sup> . وكان لنبا جانوس خاصة<sup>(٣)</sup> . وفي تلك الأثناء دخلت ميناء ليماسول سفينة قبرسية مستعدة للقتال ، فأسرع الأمير تغرى بردى على رأس سفينتين لمطاردتها فولت السفينة القبرسية الأدبار والمسلمون يراقبونها ويتبعونها عن كثب حتى رأوها ترسو وتنزل بعض رجالها عند موضع قريب ، فانطلق فرسان المسلمين إليهم ، وقتلوا منهم خمسة علقوا رؤوسهم على جدار قلعة ليماسول<sup>(٤)</sup> .

وبعد أن قضى المسلمون في ليماسول ستة أيام « قتلوا فيها كثيراً من الإفرنج »<sup>(٥)</sup> ، أخذوا يستعدون للزحف براً لمنازلة ملك قبرس في الميدان ، إذ سمعوا من بعض البنادقة أنه على أهبة للقائهم في خمسة آلاف فارس وسبعة آلاف راجل<sup>(٦)</sup> . والواقع إن جانوس جمع ما استطاع جمعه من القوة ورباط الخيل وخرج قاصداً خيروكيتا ( Kherokita ) الواقعة في الشمال الشرقى من ليماسول ، وعسكر في سهل متسع استعداداً للقاء المغيرين<sup>(٧)</sup> . ورأى المسلمون قبل أن يبرحوا ليماسول أن يعطوا جانوس فرصة نهائية للصلح ، فأرسلوا إليه يقترحون المفاوضة ويعرضون عليه أن يأتى إليهم بنفسه حتى يتعهد أمامهم جميعاً بالتخلي عن مساعدة القراصنة وتشجيعهم على الإغارة على بلاد السلطان في المستقبل ، على أن يتعهدوا له من جانبهم بمغادرة الجزيرة فوراً<sup>(٨)</sup> . لكن جانوس « أخذته حية الجاهلية » ، فقتل

(١) العيني : عقد الحمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٠ .

(٢) القرينى : السلوك > ٤ ص ٣٧٤ ب .

(3) Makhias ; op. cit. p. 655.

(٤) العيني : عقد الحمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٠ .

(٥) القرينى : السلوك > ٤ ص ٣٧٤ ب .

(٦) ابن حجر : إنباء الفهر > ٢ ص ١١١ .

(7) Makhias ; op. cit. p. 655.

(8) Idem ; pp. 655—657.

الرسول الذى حمل إليه تلك المقترحات ، وأخذ يعرض قواته ويعد نفسه للقتال<sup>(١)</sup> .

لم يبق أمام المسلمين بعد ذلك سوى القتال ، فأخذوا يتأهبون للمعركة الفاصلة المنتظرة . ويظهر أن النية اتجهت أول الأمر إلى سير القوات البرية صوب الملاحه على حين تظل السفن راسية في ميناء لياسول ؛ لكن الأمير تغرى بردى الحمودى لم يوافق على الفصل بين القوات البرية والبحرية على تلك الصوره ، إذ رأى أن بقاء السفن الإسلامية في لياسول يعرضها لهجوم الأسطول القبرسى في غيبة الجيش ، وأنه إذا انكسرت السفن الإسلامية يصبح الجيش الإسلامى محصوراً في الجزيرة<sup>(٢)</sup> . ثم استقر رأى أخيراً على أن يسير الأمير تغرى بردى الحمودى بالجيش براً وأن يسير الأمير إينال الحكى بالسفن بحراً على أن يكون اجتماع الفريقين بميناء الملاحه<sup>(٣)</sup> ولا شك في أن هذه الخطة التى ضمنت دوام القرب والإتصال بين الجيش والأسطول « كانت من أكبر المصالح » ، على قول أبى المحاسن<sup>(٤)</sup> .

أما القوات البرية فسارت نحو الملاحه في غير نظام أو أهبة للقتال ظناً أن القوات القبرسية بعيدة تفصلها عنهم مسيرة أيام<sup>(٥)</sup> . وكان الوقت صيفاً والحرارة شديدة ، والشهر رمضان والمسلمون صيام ، فعانى الجند ألوان المشقات في سيرهم وامتلات معداتهم الخاوية بالنقمة على القبارسة ، حتى غدوا يتمنون لقاءهم في

---

(١) ابن حجر : إنباء الفجر > ٢ ص ١١١ ب ، خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٢٢ .

(٢) أبو المحاسن النجوم > ٦ ص ٦٠٥ ، المعينى : عقد الجان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(٣) المعينى : عقد الجان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٦٠٥ .

(٥) نفس المرجع والصفحة .

سرعة<sup>(١)</sup>. ثم لم يطل بهم السير حتى تحققت تمنياتهم إذ التقوا بطلائع الجيش القبرسي وعدتها نحو ثلثمائة فارس وجمع كبير من المشاة ، فلم يستطع القبارصة الثبات وولوا على أعقابهم مدبرين<sup>(٢)</sup>. ووصلت الأخبار إلى جانوس بأن المسلمين أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من معسكره في خيروكتيا ، فقسم جيشه إلى وحدات بعضها مائة جندي والبعض الآخر خمسون جندي لتنظيم الإشتباك مع العدو<sup>(٣)</sup>. ولكن جيش جانوس كان مؤلفاً من جند حديثي عهد بشئون الحرب والنظام<sup>(٤)</sup> ، فرفض بعضهم إطاعة أوامر رؤسائهم جهلاً بنظم الحرب وأعلنوا أنهم لا يسمعون إلا أوامر الملك وحده<sup>(٥)</sup>.

أما المماليك فلجأوا في خطتهم إلى محاصرة الجيش القبرسي ، فاتجه جزء منهم إلى الناحية الشرقية لإتمام الحصار ، على حين ظهرت بقية المسلمين فوق التلال التي تشرف على السهل الواسع حيث معسكر جانوس<sup>(٦)</sup>. ثم تقدم المماليك في سرعة نحو خصمهم ، الذي جمع إليه فضلاء عن القبارصة عدداً كبيراً من الكتيلان والروادسة والتركمان الذين أرسلهم على بك قرمان نجده لجانوس<sup>(٧)</sup> ، حتى قدر بعض المؤرخين ذلك العدد بمشرة آلاف نفس<sup>(٨)</sup>. ولكن الكثرة لم تفت في عضد المسلمين الصائمين ، فحملوا على عدوهم حملة ولّوا أمامها الأدبار<sup>(٩)</sup>. ودهش المماليك عندما رأوا ذلك الجمع على كثرتة يتراجع في سرعة ، وظنوا أن

(١) ابن حجر : إنباء الفهر - ٢ ص ١١١ ب .

(٢) المي : عقد الجمان - ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(3) Makhiaras ; op. cit. p. 661.

(4) Idem ; p. 663.

(5) Idem ; p. 661.

(6) Makhiaras ; op. cit. p. 661.

(٧) المقرئى : سلوك - ٤ ص ٣٧٤ ب ، أبو الحسن - ٦ ص ٦٠٧ .

(٨) المي : عقد الجمان - ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(٩) ابن حجر : إنباء الفهر - ٢ ص ١١١ ب .

الأمر خدعة وتطبيق لخطة مرسومة ، فأخذوا يتقدمون في حذر شديد<sup>(١)</sup>؛ حتى إذا تأكدوا أن القبارسة ينهزمون حقيقة لا خدعة اشتدوا في القتال فحى وطيس المعركة حتى نهاية اليوم ، وظل السيف يعمل في صفوف القبارسة « وأسنة الرماح تطعن في أعضائهم فصارت كثرتهم قلة وقوتهم ضعفا<sup>(٢)</sup> » .

ورأى جانوس ما حل بجيشه ، وأن رجاله في إدبار ، فحاول الهروب فلم يتمكن<sup>(٣)</sup> لأنه جرح في ثلاثة مواضع<sup>(٤)</sup> ، فارتبك وسقط عن فرسه وأركبه أصحابه فكبوا به الفرس ثانيا . ورآه بعض الممالك ، فهجموا عليه يريدون قتله دون أن يعلموا من هو فصاح جانوس بالعربية « أنا الملك<sup>(٥)</sup> » فأسره المسلمون ووضعوه في حراسة الأمير تغرى بردى الحمودى<sup>(٦)</sup> .

أما القتلى من القبارسة في هذه الموقعة « فيستحي من ذكرهم لكثرتهم » وقدّر بعض الثقات الذين شهدوا الموقعة من أولها إلى آخرها عدد القتلى بأكثر من ألفي قتيل من الفرنج<sup>(٧)</sup> ، على حين قدر آخرون ذلك العدد بستة آلاف<sup>(٨)</sup> . ومن وقع في يد المسلمين في تلك الواقعة شقيق جانوس فقتلوه<sup>(٩)</sup> . ثم وجد الجند

(1) Makhias ; p. 663

(٢) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(٣) ابن حجر : لبناء الفهر > ٢ ص ١١١ ب .

(٤) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(5) Makhias ; p. 665.

وهذه الرواية العربية التي يرويها غياراس — هو شاهد عيان — ذكرها أيضاً ابن حجر ( لبناء الفهر > ٢ ص ١١١ ب ) ووصفها وصفاً ينطق على وصف غياراس بدقة . كذلك ذكرها السيوطي ( غزوات ص ٩ ) الذي يبدو أنه أخذها عن ابن حجر .

(٦) المقرئى : السلوك ص ٣٧٤ ب ، أبو المحاسن : النجوم ص ٦٠٧ . ويقول خليل ابن شاهين ( ص ١٤٣ ) أن المسلمين أودعوا جانوس بعد ذلك بمراكبهم .

(٧) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٦٠٧ .

(٨) ابن حجر : لبناء الفهر > ٢ ص ١١١ ب ، خليل بن شاهين : زبدة ص ١٤٣ .

(٩) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

جثة الرسول المصرى الذى ذهب من عند الأمير تغرى بردى لمفاوضة جانوس فى الصلح معلقة على باب خيروكيتا فأنزلوها ودفنوها<sup>(١)</sup> .

وعندما جن الليل بات المسلمون على أهبة<sup>(٢)</sup>، فلما أصبح الصباح شنوا الغارات على الجبهات المجاورة فأوسعوها نهبا وسلبا وقتلا، وصعد بمض الجند على جبل الصليب حيث أشعلوا النار فى الكنيسة<sup>(٣)</sup> . وأخيرا إتجه الجند نحو الملاحه للإتصال بالسفن حسب الاتفاق ، فرقوا إلى زملائهم بشرى الظفر المبين<sup>(٤)</sup> .

غير أن الأخبار ظلت ترد على المسلمين وهم بالملاحه بأن الملك قبرس أخابر الأخ المقتول ، وأن ذلك الأخ الآخر — وهو أسقف نيقوسيا — حصن نيقوسيا — عاصمة الجزيرة — وجمع أشتات الجند للأخذ بالثأر . لذلك إعتزم المسلمون القضاء على ذلك الخطر الجديد فى أوائله ، فسار الأمير تغرى برى المحمودى على رأس جنده إلى نيقوسيا على حين ظل الأمير إينال الحكى على رأس السفن بالملاحه « لحفظ جانب البحر »<sup>(٥)</sup> . ولم تكد القوات البرية تسير نحو نيقوسيا حتى ظهرت طلائع الأسطول القبرسى على مقربة من الملاحه<sup>(٦)</sup> . وكانت الخطة التى رسمها الملك جانوس منذ رفض المفاوضة فى الصلح هى أن يهاجم الأسطول القبرسى السفن الإسلامية فى الوقت الذى يشتبك هو مع الجيوش المملوكية برأ حتى يقع المسلمون بين نارين . ولكن الأسطول القبرسى تأخر عن الظهور فى الوقت المناسب وإلى ذلك التأخر يعزو مخايراس هزيمة جانوس فى خيروكيتا<sup>(٧)</sup> .

(1) Makhiaras ; op. cit. p. 663.

(٢) ابن حجر : إنباء النعم > ٢ ص ١١١ ب .

(٣) خليل بن شاهين : زبدة ص ١٢٣ ، العيني : > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(٤) ابن حجر : إنباء النعم > ٢ ص ١١١ ب .

(٥) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٢ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٦٠٧ .

(7) Makhiaras ; p. 767 .

وكان الأسطول القبرسي مكوناً من نحو خمس عشرة سفينة<sup>(١)</sup> ، فأرسل الأمير إينال الجسكى إلى الأمير تفرى بردى الحمودى يخبره بظهور الطلائع القبرسية حتى يعود لمساعدته ، وعندئذ بعث تفرى بردى معظم من معه من المشاه والأمرء وهو آمن من ناحية القبارسة ، لإنهيار مقاومتهم بعد أسر الملك واكتفى هو بستين فارساً زحف بهم على نيقوسيا<sup>(٢)</sup> . وكانت المعركة البحرية التى نشبت أخيراً بين الفريقين عنيفة وطويلة ، إذ يظهر أن السفن القبرسية لم تعلم بما حل بالقوات البرية من هزيمة ولم يصلها خبر وقوع الملك جانوس فى أسر المسلمين فثبتت فى القتال وحاربت فى عزم وإصرار<sup>(٣)</sup> إلى صباح اليوم التالى ( ١١ يوليو سنة ١٤٢٦ ) . أما المسلمون فقد أبلوا فى تلك المعركة بلاءاً حسناً إذ أمطروا سفن القبارسة وابلاً من سهامهم حتى انتهى الأمر بأسر إحدى السفن القبرسية وقتل جميع رجالها على حين فرت بقية السفن إلى عرض البحر بعد أن قتل من رجالها ما يزيد على مائة وسبعين نفساً<sup>(٤)</sup> . ويقول مخارياس إن سبب تراجع السفن القبرسية هو أن المسلمين حملوا جانوس على كتابه خطاب إلى قائد الأسطول يأمره بالرجوع فرجع<sup>(٥)</sup> .

أما الأمير تفرى بردى الحمودى فسار على رأس فرسانه إلى نيقوسيا ومصر الفرسان فى طريقهم على بوتاميا فأحرقوها<sup>(٦)</sup> ، كما ظلوا طوال سيرهم يقتلون

(١) هذا ما ذكره العربى ( عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٢ ) ؛ أما أبو المحاسن ( النجوم > ٦ ص ٦٠٧ ) ولفريزى ( السلوك > ٤ ص ٣٧٤ ب ) فقد قدرا السفن القبرسية بأربع وعشرين سفينة .

(٢) الذى : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٢ .

(٣) ابن سحجر : إنباء الفرس > ٢ ص ١١٢ .

(٤) الشيبى : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٢ — ٥٨٣ ، أبو المحاسن : النجوم > ٦

ص ٦٠٧ — ٦٠٨ .

(5) Makhias ; p. 667.

(6) Idem ; p. 669.

ويأسرون وينهبون<sup>(١)</sup>. وسمع شقيق الملك بتقدم المسلمين نحو العاصمة، ففر إلى كيرينا، بعد أن أخذ معه حنا ابن الملك جانوس وابنته وما استطاع حمله من الأموال والتحف الملكية<sup>(٢)</sup>. كذلك فر كثير من سكان العاصمة إلى كيرينا، على حين حل من بقي نساءهم وأطفالهم واحتتموا بفندق البنادقة بالعاصمة علما منهم بأن البندقية في حالة سلم مع المالك وأنها سوف تمنعهم من دخول المدينة<sup>(٣)</sup>. ولكن للأسف «علق الرداء الجميل بالشوك» على قول مخايراس، لأن البنادقة كانوا أول من شجع المالك على دخول العاصمة القبرسية<sup>(٤)</sup>.

ودخل المسلمون عاصمة قبرس دخول الفاتح الظافر، فنهبوا جانباً منها كما بهبوا قصر الملك<sup>(٥)</sup>. وفي يوم الجمعة صلى المسلمون صلاة الجمعة في كنيسة المدينة بعد أن أذنوا للصلاة في أبراجها<sup>(٦)</sup>. ونزل الأمير تغرى بردى الحمودى بقصر الملك حيث تقدم إليه أكابر المدينة وأساقفتها ورهبانها وقسيسوها ومعهم الإنجيل طالبين الأمان، فأمّنهم وأمر بأن ينادى في أنحاء البلاد بالأمان وبأن الجزيرة «صارت من جملة بلاد السلطان الملك الأشرف برسباي»<sup>(٧)</sup>. وشدد الأمير تغرى بردى الحمودى في طلب الأموال، فاستدعى إليه موظفى الدواوين وسألهم عن أحوال الجزيرة ومالياتها<sup>(٨)</sup>، واتفق أعيان نيقوسيا وتجارها على أن يجمعوا

(١) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٣٧٤ ب.

(2) Makhias ; p. 667.

(3) Idem ; p. 671.

(4) Ibid ويظهر أن المسلمين ترددوا أول الأمر قبل دخول نيقوسيا، ويرجع مخايراس (4) Ibid ذلك ليردد إلى أن عظمة المدينة قد أخذتهم فوقوا أمامها مذهبوا. أما ابن حجر (ج ٢ ص ١١٢) فيقول أن سبب ترددهم هو قلة عددهم. ويبدو أن هذا الرأى الأخير أقرب إلى الصواب لأن كل المالك الذين دخلوا نيقوسيا لم يتجاوز الستين كما ذكرنا.

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر ج ٢ ص ١١٢.

(٦) نفس المرجع والصفحة.

(٧) العيني : عقد الجان ج ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٣.

(8) Makhias ; p. 671.

مالا للسلطان نظير الأمان الذى منحوه ، فقدموا إلى الأمير تغرى بردى بعض الأموال والتزموا بدفع الباقي ؛ هذا فضلا عما استولى عليه من خزانة الدولة فيما يبدو<sup>(١)</sup> . وصادف بعد قليل أن وصل الأمير تغرى بردى برمش ومعه بعض بماليك السلطان وكانوا لم يسمعوا بالأمان الذى سبق أن أعطاه الأمير تغرى بردى المحمودى للأهالى، فشرعوا فى النهب والأسر والقتل ، وأشعلوا النار فى قصر الملك حتى أن تغرى بردى المحمودى لم ينج إلا بصعوبة شديدة<sup>(٢)</sup> . واعتبر المعاصرون من المسلمين ذلك العمل غلظة كبرى ، لأن التصرف على ذلك الوجه « بعد الأمان غير جائز وليس شرطاً من شرائط الغزاة » على قول العيني<sup>(٣)</sup> .

لم يبق بعد ذلك كله سوى العودة إلى مصر فأخلى المسلمون نيقوسيا بعد أن مكثوا فيها يومين وليلة واحدة<sup>(٤)</sup> ، وشرعوا فى العودة إلى الملاحة حيث كانت بقية الحملة . وهناك أحصيت أعداد الأسرى فبلغت ثلاثة آلاف وسبعائة نفس<sup>(٥)</sup> . غير أن الآراء اختلفت فى موضوع العودة إلى مصر ، فرأى البعض إرسال رسول إلى السلطان يخبره بالفتح ويستشيريه فى أمر العودة على أن يظل المسلمون بقبرس حتى وصول رد السلطان ، ورأى البعض الآخر أن المقام بالجزيرة طال وأن العودة مباشرة أمر ضرورى ، وإذا رغب السلطان فى إرسال حملة رابعة لإستئصال بقية الفرنج فلا مانع من العودة من جديد<sup>(٦)</sup> . وتغلب رأى الثانى فتجهز المسلمون للرحيل بعد أن مكثوا بالملاحة سبعة أيام « أراحوا فيها أبدانهم وأقاموا شعائر

(١) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٣ .

(٢) نفس المرجع والصفحة وكذلك Makhias ; p. 671 .

(٣) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٣ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٦٠٨ .

(٥) ابن حجر : إنباء الفهر > ٢ ص ١١٢ .

(٦) نفس المرجع والصفحة .



الإسلام من الصلاة والآذان...»<sup>(١)</sup>، وفي تلك الأثناء أرسل أهل فاما جوستا يطلبون الأمان من المسلمين فأمّنهم<sup>(٢)</sup>.

وسبقت أخبار الفتح سفن الغزاة إلى المياه المصرية ، إذ أرسل المسلمون أحد الأمراء ليشير السلطان بالفتح ويعلمه أن الغزاة في طريقهم إلى مصر وبصحبهم سلك قبرس مأسورا<sup>(٣)</sup>. وكاد برسباي يطير من عظم السرور حتى رآه المؤرخ أبو الحسن وهو يبكي من شدة الفرح فبكى الناس فرحا كذلك<sup>(٤)</sup>. وفي الحال دقت البشائر بقلعة الجبل ونودي بزينة القاهرة وأسواقها ومنازلها فزينت ، واستمرت الزينة حتى وقت دخول الغزاة<sup>(٥)</sup>. أما أهل القاهرة فأصبحوا كأنهم في يوم عيد ، ونظم الشعراء القصائد العديدة في التهنئة بظفر المسلمين<sup>(٦)</sup>. ثم وصل الغزاة إلى الشواطئ المصرية أوائل أغسطس بعضهم إلى ثغر الإسكندرية وبعضهم إلى ثغر دمياط<sup>(٧)</sup>، وأمر السلطان بخروج أربعمائة مملوك وأربعة من أمراء الطبلخانات للقاء القادمين والترحيب بهم واستقبالهم وتوفير أسباب الراحة لهم وتشديد الحراسة على سفنهم بعد ترحيلهم مخافة أن تدمرها سفن الفرنجة<sup>(٨)</sup>.

وفي أول أيام عيد الفطر، وصل الغزاة إلى ساحل بولاق ( ١٣ أغسطس ) حتى إذا ما اكتمل عددهم ساروا إلى القلعة في موكب حافل ، وأقبل الناس

(١) أبو المحاسن : النجوم ج ٦ ص ٦٠٨ .

(٢) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ١٣٧٥ .

(٣) العيني : عقد الجمان ج ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٣ — ٥٨٤ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم ج ٦ ص ٦٠٩ ،

(٥) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ١٣٧٥ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم ج ٦ ص ٦٠٩ — ٦١٠ . ومنها القصيدة التي نظمها

ابن الحراط وأنتشدها بين يدي السلطان بحضره الأمراء ورجال الدولة وهي من ثلاثة وسبعين بيتاً مطلعها :

بشراك يا ملك الملوك الأشرف بفتوح قبرس بالحسام المشرف

(٧) أبو المحاسن : النجوم ج ٦ ص ٦١١ .

(٨) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ١٣٧٥ ، أبو المحاسن : النجوم ص ٦١١ ..

من ناحية لمشاهدة ذلك اليوم الموعود ، فلم يبق بالقاهرة وضواحيها شخص غائب عن طريق الموكب حتى سد الناس الشوارع والحدارات<sup>(١)</sup> . ووافق ذلك اليوم وفاة النيل ستة عشر ذراعاً فزاد سرور الناس وفرحهم<sup>(٢)</sup> . وشق موكب الغزاة وسط القاهرة في نظام باهر « يذهل العقل »<sup>(٣)</sup> . فسار فرسان الغزاة في المقدمة وتبعهم المشاة ووراء هؤلاء أحمال الغنائم على رؤوس الحمالين وظهور البغال والخير وبينها تاج الملك جانوس وأعلامه منكسة . ومن بعد هؤلاء سار الرجال من الأسرى ثم السبي من النساء والصفار ، وفي ذيل الأسرى سار الملك جانوس ممطياً « بغلا أعرجاً » وهو مقيد بالقيود الحديدية ومعه اثنان من خواصه وحوله كبار أمراء الحملة ، الأمير إينال الحكيم عن يمينه والأمير تغرى بردى المحمودى عن يساره والأمير قرا مراد خجا الشيبانى أمامه<sup>(٤)</sup> . وعند باب القلعة أنزل جانوس عن مطيته فكشف رأسه وخر على الأرض قبلها ، ثم سار في قيوده حيث جلس السلطان في مجمع حافل شمل شريف مكة وأكابر الأمراء والسفراء ومنهم رسل ابن عثمان ورسول صاحب تونس ورسول أمير التركان ومماليك نواب البلاد الشامية ، وكان اتفاق حضور هذا الجمع من الرسل « من المستغرب »<sup>(٥)</sup> .

ووصل جانوس إلى حضرة السلطان ، فأمر بتقبيل الأرض ، قبلها ثم سقط مغشياً عليه ، حتى إذا ما أفاق قبل الأرض مرة أخرى . ثم تنحى جانوس جانباً ليستعرض السلطان الغنائم والأسرى<sup>(٦)</sup> . وحضر المؤرخ العيني ذلك المشهد فرأى

(١) ابن حجر : إنباء الغمر - ٢ ص ١١٢ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم - ٦ ص ٦١٢ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) العيني : عقد الجمان - ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٤ ، المقرئى : السلوك - ٤ ص ١٣٧٥ ،

٣٧٥ ب ، أبو المحاسن : النجوم - ٦ ص ٦١٢ — ٦١٤ .

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر - ٢ ص ١١٢ ، المقرئى : السلوك - ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٦) أبو المحاسن : النجوم - ٦ ص ٦١٤ .

الأسرى وهم يسرون أمام السلطان طائفة بعد طائفة فضلا عن الغنائم من سائر الأصناف<sup>(١)</sup>، وبعد أن فرغ السلطان من ذلك كله أمر بإحضار جانوس إليه ثانيًا فأتى وانحنى وقبل الأرض وغشى عليه مرة ثانية<sup>(٢)</sup>. ثم أفاق جانوس فأمر السلطان بإيقافه أمامه بعض ساعة حتى يتحقق من شكله، وبعد ذلك أمر بإيداعه أحد أبراج القلعة<sup>(٣)</sup>.

ثم خلع برسباي الخلع السنية على الأمراء الذين اشتركوا في الحملة، كما أمر في اليوم التالي ببيع الأسرى والغنائم وتوزيع أثمانها على الغزاة ففرق بعض السبي على الأمراء، وجمع التجار لشراء الثياب والأقمشة والأثاث والأواني وسائر الأمتعة وفي ذلك اليوم بطلت الأسواق حتى يتم بيع الغنائم<sup>(٤)</sup>.

أما جانوس فقد ظل في برج القلعة حتى أرسل إليه السلطان في طلب الفدية فأجاب قائلاً «مالى إلا روحى وهى بيدكم، وأنا رجل أسير لا أملك الدرهم الفرد، من أين تصل يدى إلى مال أعطيه لكم؟»<sup>(٥)</sup>. فغضب السلطان لذلك الجواب وأرسل إليه يهدده بالقتل إذا لم يبادر إلى دفع الفداء<sup>(٦)</sup>، وهو يجيب بمثل ما أجاب به أولاً؛ فاستدعاه السلطان إلى حضرته أثناء توزيع بعض الأسرى فلما شهد الأسرى ملكهم على تلك الحال صرخوا بأجمعهم ووضعوا التراب على رؤوسهم<sup>(٧)</sup>. وأخذ السلطان يفاوض جانوس في أمر فديته، وهدده بالقتل من

(١) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٤ . ويلاحظ أن هذا يختلف عما ذكره أبو المحاسن ( > ٦ ص ٦١٤ ) من أن الغنائم عرضت على السلطان أولاً ثم الأسرى بعد ذلك .

(٢) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٦١٤ .

(٣) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٤ ، المقرئى : السلوك > ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٤) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٥ ، المقرئى > ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٥) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٦١٦ .

(٦) المقرئى : السلوك > ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٧) أبو المحاسن : النجوم > ٦ ص ٦١٦ ، المقرئى > ٤ ص ٣٧٥ ب .

جديد ، ولكن جانوس لم يجب بأكثر مما أجاب به أولاً<sup>(١)</sup>.

وحضر خصيصاً وقتذاك من الأسكندرية جماعة من قناصل الفرنج فالتزموا عن الملك بدفع الفدية للسلطان ولكن دون أن يحددوا مبلغاً معيناً<sup>(٢)</sup>. وقبل السلطان وساطة القناصل فأمر بإعادة ملك قبرس إلى محبسه وأرسل إليه بدلتين ، كما أمر بتعيين مقدار من اللحم والطيور كل يوم لطعامه ، هذا عدا خمسمائة درهم ينفق منها على بقية حوائجه<sup>(٣)</sup>. وسمح له السلطان بالإجتماع بمن يختاره من الفرنج وبأن يقوم على خدمته جماعة من القبارسه<sup>(٤)</sup>. وظلت الرسل تتردد بينه وبين السلطان للإتفاق على تحديد مبلغ الفدية ، إذ صمم السلطان على خمسمائة ألف دينار<sup>(٥)</sup> فلم تزل الرسل والتراجم تتردد بين الفريقين حتى قنع السلطان أخيراً بمبلغ مائتي ألف دينار يدفع منها جانوس مائة ألف عاجلاً على أن يرسل النصف الباقي بعد عودته إلى بلاده<sup>(٦)</sup>. وشرط السلطان أن يكون

---

(١) أبو المحاسن : النجوم ٦ ص ٦١٦ . وقد تواتر في بعض المراجع العربية أن جانوس حين مثل بين يدي السلطان ولمس تشددة معه في أمر الفدية ، أنشد أمامه الأبيات الآتية : —

يا ملكاً ملك الورى بحمامة      أظفر إلى برحمة . ونعطف  
وأرحم عزيزاً ذل وأمت بالذى      أعضاك هذا الملك والنصر الولى  
إن لم تؤمنونى وترحموا غريبى      فبمن ألود ومن سواكم لى يقى  
فانه ينصركم ويخذل ملككم      ويديم نصركم ليوم الموقف

ويقول خليل بن شاهين ( زبدة ص ١٤٤ ) أن جانوس قال هذه الأبيات بنفسه . ولما كان أبو المحاسن جالس جانوس وقال أنه لا يعرف العربية ( النجوم ٦ ص ٦٢٠ ) فإنه من الصعب تصديق خليل بن شاهين . والغالب — كما يقول ابن حجر ( ٢ ص ١١١٢ ) — أن جانوس كان ينظم الشعر بلفته ويعربه الترجمان . ويقول السيوطى ( ص ١٢ ) إن الذى وضع الأبيات السابقة لجانوس هو الشيخ شهاب الدين بن حجر .

(٢) المقرئى : السلوك ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٣) أبو المحاسن : النجوم ٦ ص ٦١٧ .

(٤) المقرئى : السلوك ٤ ص ٣٧٥ ب ، أبو المحاسن : ٦ ص ٦١٧ .

(٥) المقرئى : السلوك ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٦) ابن حجر : إنباء الفهرست ١١٢ ، أبو المحاسن : النجوم ٦ ص ٦١٧ .

جانوس نائباً عنه في قبرس ، وأن يتعهد بدفع جزية سنوية مقدارها عشرون ألف دينار <sup>(١)</sup> . ولكي يستطيع جانوس تأدية المبلغ المتفق عليه عاجلاً من الفدية وافق السلطان على إرسال موسى سوارز إلى قبرس لجمع المال اللازم ، وهو قائد من قشاله دخل خدمه جانوس وأمر معه . فذهب موسى إلى قبرس وقابل أسقف نيقوسيا شقيق الملك في ذلك الصدد ، وقرر الأسقف أن يرسل رسلاً من القبارسه إلى ملوك الغرب يطلب المساهمة في مبلغ الفدية المطلوبة . وعاد أولئك الرسل بما استطاعوا جمعه من المال ، فرجع موسى سوارز إلى مصر ومعه ثلثمائة ألف دوكان وصحبه بعض رجال الممساكة القبرسية <sup>(٢)</sup> . وعندما تسلم السلطان برسبای المبلغ المتفق عليه أفرج عن جانوس ، وخلع عليه وأركبه فرساً بسرجه ذهب . فنزل جانوس من سجنه بالقلعة إلى القاهرة حيث أعدت له دار يقيم بها <sup>(٣)</sup> . وعكف جانوس منذئذ على الخروج من داره صحبه الأمير تاج متولى القاهرة لزيارة المتنزهات والكنائس والمعابد <sup>(٤)</sup> ، على حين ترددت لزيارته جموع النصارى والفرنجية والقناصل <sup>(٥)</sup> . ثم استأذن جانوس السلطان في الرحيل فأذن له وخلع عليه خلعه السفر ، فسافر إلى الأسكندرية صحبه مندوبى السلطان . وبالأسكندرية جمع جانوس تجار الفرنجة ، وطلب منهم قرضاً ليوزع منه على حاشية السلطان فأقرضوه مبلغاً كبيراً من المال <sup>(٦)</sup> . ورأى أمير الاسكندرية وهو آقبا التمرأى أن يعطى جانوس درساً أخيراً قبل سفره إلى قبرس ، فعرض أمامه جند الاسكندرية

(١) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٣٧٥ ب . ويبدو أن الاتفاق كان على أن تلك الجزية السنوية تدفع عيناً لا نقداً ، إذ أن ابن حجر ( ج ٢ ص ١١٢ ب ) يقول أنه تقرر على جانوس « ألفاً ثوب صوب ملوثة قيمتها قريب من عشرين ألف دينار » .

(2) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus, part II, pp. 39-40.

(٣) أبو المحاسن : النجوم ج ٦ ص ٦٢٠ .  
 (٤) العيني : عقد الجمان ج ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٥ .  
 (٥) أبو المحاسن : النجوم ج ٦ ص ٦٢٠ .  
 (٦) ابن حجر : إنباء الفهر ج ٢ ص ١١٢ ب .

وهم نحو ألفين وخمسمائة جندي ، مما ترك أكبر الأثر في نفسه <sup>(١)</sup> . وأخيراً غادر جانوس الاسكندرية وصحبته سفراء رودس وبعض القبارسه الذين حضروا خصيصاً لمرافقته <sup>(٢)</sup> ، فوصل قبرس في مارس سنة ١٤٢٧ ليجد الجزيرة في أشد ألوان الفوضى والاضطراب نتيجة لما انتابها من فتن وثورات <sup>(٣)</sup> .

هكذا انتهت صفحة من صفحات الحروب الصليبية الضدية ( Counter Crusades ) وهي التي شنّها المسلمون أواخر العصور الوسطى للثأر لأنفسهم مما حل بهم من قبل على يد الصليبيين ، وهكذا تمّ للمسلمين القيام بعمل وصفه المؤرخون بأنه عمل من أعمال الجهاد ، وهو في الواقع خليط من الجهاد والحرب التوسعية إبتغاء حماية المصالح الاقتصادية البحتة .

ولم يطل عمر جانوس بعد عودته إلى بلاده مكسور الجناح ، إذ مات في يونيه سنة ١٤٣٢ بعد مرض شديد ألزمه الفراش ما يقرب من عام ، حتى قال مواطنوه إن المسلمين دسوا له السم في مصر <sup>(٤)</sup> .

وظل جانوس حتى وفاته محافظاً على عهده لبرسباي ، كما استمرت قبرس « من جله بلاد السلطان » <sup>(٥)</sup> . وتطلبت تلك التسمية من ملوك قبرس واجبات تعهد جانوس بأدائها وحافظ على كنيسته ، فأرسل إلى السلطان بعد أشهر من وصوله إلى قبرس ، يحذره أن القطلان ينوون الإغارة على الاسكندرية فاتخذ برسباي أهبتها وفشلت إغارة القطلان <sup>(٦)</sup> . ثم إنه حرص على دفع الجزية السنوية

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٩ .

(٣) Makhias ; op. cit. p. 673.

(٤) Idem, p. 679.

(٥) وهنا نشير إلى العبارة الآتية وقد ذكرها المقرئى أكثر من مرة « أحلت هذه السنة وسلطان مصر والشام والحجاز وقبرس الملك الأشرف أبو الفرج برسباي » ( السلوك ٤ ص ١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٤ )

(٦) المقرئى : السلوك ٤ ص ١٤٤ .

وتوابعها للسلطان ، فأرسل إلى القاهرة ذهباً قيمته خمسون ألف دينار فضربت دنانير أشرفيه بالقلعة تحت إشراف السلطان <sup>(١)</sup> . وفي سنة ١٤٣٧ أرسل جانوس الجزية وهي عبارة عن ثمانية عشر ألف ثوب من الأقمشة منها ثمانمائة ثوب صوف حملت إلى دمشق حيث بيعت . <sup>(٢)</sup> وهكذا ظل جانوس على ولائه للسلطان إلى أن خلفه ابنه حنا الثانى ( ١٤٣٢ — ١٤٥٨ ) فأرسل برسباى إلى قبرس بعثه عدتها ستون مملوكاً على رأسهم بعض الأمراء ، ومعهم خلع الولاية للملك الجديد وتعليمات للمطالبة بالتأخر على أبيه من الجزية وهو أربعة وعشرون ألف دينار <sup>(٣)</sup> . فاستقبلهم الملك الجديد استقبالا طيباً ، وأغدق عليهم الهدايا ، وحلف لهم أمام القواسم على الطاعة للسلطان ، كما أعطاهم سبعمائة ثوب صوف قيمتها عشرة آلاف دينار مما تأخر على أبيه <sup>(٤)</sup> . وسر برسباى سروراً عظيماً بعوده البعثة بتلك الأخبار والهدايا إذ انقطع دابر الإشاعات التى ملأت القاهرة بأن ملك قبرس الجديد خرج عن طاعة السلطان ومنع الجزية <sup>(٥)</sup> .

وظل حنا الثانى يدفع الجزية للسلطان رغم إختلال أحوال بلاده وإختلال أمرها وضعف مواردها . ففضلاً عن إغارات الجراد على قبرس صيف سنة ١٤٣٨ انتشر الوباء بالجزيرة ومات بسببه أناس كثيرون . <sup>(٦)</sup> وقبل ذلك بثلاثة أعوام تزوج الملك حنا من الأميرة البيزنطية هلينا بالبيولوجس وهي أرثوذكسية المذهب ، فعز عليها ما رأته بالجزيرة من قوة الكنيسة اللاتينية وغناها بالمقارنة إلى ضعف الكنيسة الأرثوذكسية وقهرها ، مع أن أغلبية الشعب القبرى على المذهب الأرثوذكسى . ودفع ذلك هلينا إلى تحريض زوجها على اتباع سياسته دينية ترمى

(١) أبو المحاسن : النجوم ٦ ص ٨٢٦ .

(٢) المقرئى : البلوك ٤ ص ١٣٩٠ .

(٣) المقرئى : البلوك ٤ ص ١٣١٠ ، أبو المحاسن : النجوم ٦ ص ٦٧٩ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم ٦ ص ٦٨٠ ، المقرئى : ٤ ص ١٤١١ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم ٦ ص ٦٨٢ .

إلى عدم الإعتراف بسيطرة البابا على الكنيسة القبرسية ، مما جعل الجزيرة ميداناً لكثير من المشاكل والمنازعات ، فأضيف بذلك عامل جديد إلى عوامل الضعف التي كانت تنخر في عظام الدولة <sup>(١)</sup> .

ولكن رغم كل تلك المصاعب والمشاكل ظل حنا على ولائه للسلطان . فعندما أرسل السلطان جقمق حمله ضد رودس سنة ١٤٤٠ مرت الغزاه بقبرس فأكرم حنا وفادتهم وزودهم بما احتاجوا إليه <sup>(٢)</sup> . وأرسل السلطان جقمق حمله ثانية ضد رودس سنة ١٤٤٣ ومرت الحملة على قبرس فأسرع حنا بتقديم الضيافة إلى رجالها ، على الرغم مما ارتكبه بالجزيرة من نهب وسلب وإفساد « بغير تدبير ولا تفكير » <sup>(٣)</sup> . وربما كان أوضح الأدلة على ولاء حنا للسلطان أنه أرسل الجزيرة سنة ١٤٤٣ وهي جملة أثواب صوف أرسلت إلى بيروت ومنها حملت على الدواب إلى القاهرة وذلك في نفس السنة التي وقعت فيها حوادث النهب والسلب على يد المماليك القاصرين إلى رودس <sup>(٤)</sup> .

وعندما مات حنا الثاني سنة ١٤٥٨ خلفته على عرش قبرس إبنته شارلوت ، فلم يعترف لها أخوها جيمس بالملك وأخذ يناوئها وعندئذ لم يتردد في الاستعانة بالقوة الكبرى التي أصبحت تهيمن على جزيرة قبرس وهي السلطنة المملوكية <sup>(٥)</sup> . وجاء جيمس إلى مصر لذلك الغرض سنة ١٤٥٩ والسلطان وقتئذ إينال ، فأكرم إينال وفادته وخلع عليه الخلع وأرسل أحد أمرائه وهو الأمير تغرى بردى الطيارى إلى قبرس ليؤم أهلها على تفضيل أخت جيمس عليه ويخبرهم أن السلطان يريد ولاية جيمس وعزل أخته <sup>(٦)</sup> . ثم عاد الأمير تغرى بردى صحبة فريق كبير

(1) Cambridge Mediaeval History. Vol. 4 ; p. 471 & Stubbs, p. 232.

(٢) العيني عقد الجمان > ٣٥ ق ٤ ص ٨٤٤ .

(٣) السخاوى : التبر المسوك ص ٦٣ .

(٤) نفس المرجع ص ٦٧ .

(5) Stubbs ; p. 233.

(٦) أبو الحسن : النجوم > ٧ ص ٥٢١ .



من القبارسة يمثل بعضهم حزب شارلوت والبعض الآخر حزب جيمس ، فغير السلطان رأيه ومال إلى تأييد شارلوت <sup>(١)</sup> ، وخلع الخلع على رجالها على الرغم من بكاء جيمس وإحتجاجه بأنه احتفى بالسلطان ولجأ إليه . <sup>(٢)</sup> وظاهر جيمس في ذلك معظم الممالك الأجانب ، الذين استمالهم جيمس إليه قبلا عن طريق أحمد بن السلطان وبعض الوزراء <sup>(٣)</sup> ، فلم يرضوا عما فعل السلطان واعتدوا على رجال شارلوت ومزقوا خلعهم وطالبوا بتولية جيمس <sup>(٤)</sup> . ولم يسع أينال سوى الإذعان لخلع على جيمس ، وأرسله إلى قبرس صحبة تجر يده كبيرة تزيد عن الخمسمائة مقاتل وعلى رأسها الأمير يونس الأقبائي (أغسطس سنة ١٤٦٠) . ووصل جيمس إلى قبرس ومعه تلك القوة الملوكية ، فنشبت بينه وبين أخته شارلوت حرب داخلية لم تزل ، إذ استطاع جيمس بفضل مساعده الممالك أن يستولى على معظم الجزيرة حتى اضطرت شارلوت إلى الاحتماء بقلعه كيرينيا ( Kerynia ) حيث ظلت محاصره لمدة أربع سنوات ( حتى سنة ١٤٦٤ ) <sup>(٥)</sup> .

ثم رحل الأمير يونس عن قبرس ، وترك في الجزيرة جانبك الأبلق ومعه جزء من القوة الملوكية ليشد أزر جيمس <sup>(٦)</sup> . ويبدو أن السبب في عودة معظم الممالك تلك المرة في سرعة أن جيمس استطاع أن يكف أيدي الممالك عن السلب والنهب فلم يروا فائدة لبقائهم <sup>(٧)</sup> ؛ هذا فضلا عن سوء الحالة الجوية « وشده الوخم » الذي توفي بسببه كثير من الممالك <sup>(٨)</sup> . وظل جانبك الأبلق يهاجم

(١) أبو المحاسن : النجوم : ٧ ص ٥٤٣ . ويظهر أن ذلك التأييد كان بفعل الرشاوى الطائلة التي بذلها رجال شارلوت لحاشية السلطان . أنظر ( Ziada : Part II , p. 49 )

(٢) أبو المحاسن : النجوم : ٧ ص ٥٤٣ — ٥٤٤ .

(3) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus ; Part II , p. 48.

(٤) أبو المحاسن : النجوم : ٧ ص ٥٤٤ .

(٥) نفس المرجع والجزء ص - ص . ٥٤٧ — ٥٤٩ .

(6) Stubbs ; p. 233.

(٧) أبو المحاسن : النجوم : ٧ ص ٥٥٢ .

(8) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus , Part II , p. 51.

(٩) أبو المحاسن : النجوم : ٧ ص ٥٥٢ .

حصن كيرينيا حتى اضطرت شارلوت إلى الهرب إلى رودس لطلب النجدة ، وعندئذ أرسل جانبك إلى السلطان يطالب المساعدة قبل أن تأتي شارلوت بنجده . تفوق عليه بها <sup>(١)</sup> . غير أن السلطان إينال توفي فبراير سنة ١٤٦١ ، وخلفه ابنه أحمد الذي لم يطل بقاءه في الحكم سوى بضعة أشهر ، فلم تخرج قوة مملوكية لنجدة جانبك إلا في عهد السلطان خشقدم ( ١٤٦١ — ١٤٦٧ ) ، وأساء تأخيرها على ذلك للنحو إلى مركز المصريين في قبرس <sup>(٢)</sup> . وتألفت تلك النجدة من نحو خمسمائة مملوك ، ولكنها لم تلبث أن عادت إلى مصر في العام التالي ، على حين بقيت القوة الأولى بقيادة جانبك الأبلق في الجزيرة لسبب لم تؤمنه المراجع نصا أو تلميحا <sup>(٣)</sup>

وفي تلك الأثناء لجأ جيمس ملك قبرس إلى سياسة قومية حاول أن يشغل بها أذهان مواطنيه عن اغتصابه العرش ، فاسترد فاما جوستا من الجنوية بمساعدة الممالك سنة ١٤٦٤ <sup>(٤)</sup> . ثم عمل على التخلص من أولئك الممالك الذين ساعدوه على تحقيق أطماعه ، فقتل جانبك الأبلق ومعظم رجاله ، وأرسل إلى السلطان خشقدم سفيراً يدعى يعقوب يخبره أنه إستولى على فاما جوستا من الجنوية وسلمها إلى جانبك ، ولكن جانبك ارتكب بها أعمالاً أخلاقية شائنة أثارت الأهالي ضده ، وأنه حاول نصحه فلم ينتصح بل أهانه وأحرق به فلم يتحمل القبارسة ذلك وقتلوه مع خمسة وعشرين مملوكاً <sup>(٥)</sup> . ورد السلطان خشقدم على ذلك بإرسال أحد رجاله وهو سودون المنصوري إلى قبرس محبة يعقوب رسول جيمس ليهقق الأمر ، فقتل جيمس الأمير المملوكي أحسن لقاء وأعان ولأه وحرصه على دفع الجزية للسلطان فاكتفى خشقدم بذلك <sup>(٦)</sup> .

(١) نفس المرجع والجزء ص ٦٥٠ — ٦٥١ .

(2) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus, Part II; p. 52.

(٣) أبو المحاسن : النجوم > ٧ ص ٧١٥ .

(4) Cambridge Mediaeval History ; Vol. 4, p. 471.

(٥) أبو المحاسن : النجوم > ٧ ص ٧٢٩ .

(٦) نفس المرجع والجزء ص ٧٣٠ .

ولكن إذا استطاع جيمس الثانى أن يخلص فاما جوستا من يد الجنوية ، فإنه كان السبب فى نشر نفوذ جمهورية تجارية أخرى وهى البندقية على قبرس بأجمعها . ذلك أنه تزوج سنة ١٤٧١ من كاترينا كورنارو البندقية ، ثم لم يلبث أن قتل بعد زواجه سنة ١٤٧٣ ، ومات ابنه الصغير بعد ذلك بقليل ، مما ترك كاترينا سيدة الجزيرة . وحكم البنادقة الجزيرة باسمها مدة خمسة عشرة سنة ، إلى أن حصلوا منها سنة ١٤٨٩ على تنازل عن حقوقها للجمهورية ، وذهبت كاترينا إلى البندقية حيث عاشت إلى أن ماتت سنة ١٥١٠ (١) .

على أن نشر النفوذ البندقى على قبرس لم يؤد إلى انقطاع صلتها بالسلطان المملوكى . ذلك أن البندقية أرسلت سنة ١٤٨٩ سفيرها بييرو دويدو إلى مصر لعقد إتفاقية مع السلطان الأشرف قايتباى بشأن قبرس (٢) . ويبدو أن البندقية اختارت الإحتفاظ بصدقة السلطان فخرصت على عدم قطع الجزيرة واستمرت على إرسالها إلى القاهرة حتى سنة ١٥١٧ ، أى حتى استيلاء العثمانيين على مصر ، وعندئذ حولت البندقية الجزيرة إلى السلطان العثمانى الذى ظل يتسلمها حتى فتح السلطان سليم الثانى قبرس سنة ١٥٧٠ - ١٥٧١ (٣) .

غير أن سعادة الجزيرة أخذت تتلاشى حتى قبل أن تصبح مستعمرة بندقية . ذلك أن عدد سكانها أخذ فى التناقص السريع ؛ وحاول البنادقة علاج ذلك النقص الخطير فى السكان ، ولكن مجهوداتهم ذهبت هباء بسبب جشع السياسة البندقية فى جمع الأموال من القبارسة بمختلف الطرق . لهذا لا نعجب إذا رحب سكان قبرس بالأتراك العثمانيين عند فتحهم الجزيرة ، إذ استقبلوهم استقبالا لخالص المنقذ ، ولكن سرعان ما صدمتهم الحقيقة المرة ، وهى أن الأتراك العثمانيين ليسوا أقل قسوة وجشعا من البنادقة (٤) .

(1) Stubbs ; op. cit. p. 233.

(٢) نشر هذه الإتفاقية وشرحها مع مقدمة وترجمة دقيقة لمبالغة العربية الأستاذ توفيق اسكندر (القاهرة ١٩٥٦) .

(3) Cambridge Medieval History ; Vol. 4 ; p. 472.

(4) Idem ; pp. 741-742.

## الباب الخامس

### قبرس والترك في آسيا الصغرى

توغل الأتراك في آسيا الصغرى — موقفهم من جيرانهم المسيحيين —  
العوامل التي أملت روح العداء بين القبارسة والأتراك — العلاقات التجارية  
بين قبرس وآسيا الصغرى — موقف ملوك لوزجنان الأوائل من الأتراك —  
الأحوال السياسية في آسيا الصغرى أوائل القرن الرابع عشر الميلادي —  
ازدياد خطر الأتراك وتهديم التجارة المسيحية — المشروعات المسيحية  
للقضاء على الخطر التركي — حملات بطرس لوزجنان على سواحل آسيا  
الصغرى — استيلاؤه على جورهيغوس وأنطايا — إغارات الأتراك  
على قبرس — مقتل بطرس وأثره في العلاقات التركية القبرسية — استرداد  
الأتراك أنطايا — العلاقات بين الأتراك والقبارسة في القرن الخامس عشر  
الميلادي — إضعاف أحوال قبرس — أثر فتح المماليك قبرس سنة  
١٤٢٦ — استيلاء البندقية على الجزيرة سنة ١٤٨٩ — الفتح العثماني  
لقبرس سنة ١٥٧٠ م .

في الوقت الذي قام بيت لوزجنان بقبرس ، وبدأت الجزيرة تظهر على شيء  
من القوة التي تجلت في تأييدها للصليبيين ، كان الأتراك ينشئون لأنفسهم دولا  
صغيرة وكبيرة في آسيا الصغرى . فإذا يكون موقف آل لوزجنان — وهم المسيحيون  
المتعصبون الذين كرسوا جهودهم ونشاطهم لشد أزر الصليبيين — من أولئك  
الجيران المسلمين ؟ الجواب واضح وهو أنه إذا كان ملوك قبرس قد نصبوا أنفسهم  
حماة المسيحية بالشرق الأدنى ، وشنوا الحرب عوانا على الأيوبيين ثم المماليك  
بمصر والشام في سبيل نصرته الفرض الصليبي ، فإنه ليس من المنتظر منهم أن يتجاهلوا  
أمر الأتراك بآسيا الصغرى ، وهم مسلمون كذلك لا يقولون عن الأيوبيين  
أو المماليك خطراً على الصليبيين والدول المسيحية القريبة ..

ومن جهة أخرى ، لم يكن الأتراك أنفسهم أقل عداء للمسيحيين من الأيوبيين أو المماليك . ذلك أن معظم أمراء الأتراك<sup>(١)</sup> نظروا إلى جيرانهم المسيحيين بآسيا الصغرى نظرة عدائية صريحة ، وشنوا عليهم الحرب براً وبحراً وقطعوا الطريق على سفنهم ومتاجرهم حتى « أصبح دينهم جهاد من جاورهم من الكفار »<sup>(٢)</sup> . ولما كانت قبرس من أقرب البلاد المسيحية إلى الأتراك فلا بد وأن أصابها منهم بعض ما أصاب بقية البلاد المسيحية المجاورة لهم ، كما أصابهم منها بعض ما أصاب الدولة الإسلامية المجاورة لها مما أضرم نار العداوة والبغضاء بين الجانبين .

وثمت منبع آخر للعداوة والبغضاء بين أتراك آسيا الصغرى المسلمين وحكام قبرس المسيحيين . ويتمثل هذا المنبع في موقف ملوك قبرس من دولة المماليك ومهاجمتها براً وبحراً ، في الوقت الذي قامت العلاقات بين دولة المماليك ومعظم الإمارات التركية بآسيا الصغرى على شيء من التفاهم والتحالف حتى اتجه كثير منهم إلى سلاطين المماليك بالقاهرة « فاتخذوهم ظهراً وعدوهم للحوادث ذخراً » . وكانت مكاتبتهم ورسلمهم وهداياهم ترد إلى القاهرة باستمرار<sup>(٣)</sup> . وحالف بعض أولئك الأمراء سلاطين المماليك بحالفة صريحة واضحة ضد جميع الفرنجة الذين قطعوا البحر على سفنهم ومتاجرهم<sup>(٤)</sup> . لهذا لم يكن منتظرا من ملوك قبرس إلا أن يفتقوا موقفا عدائياً من حلفاء أعدائهم الألداء .

ويضاف إلى ذلك كله ميل كثير من دعاة الحروب الصليبية في العصور الوسطى المتأخرة إلى غزو آسيا الصغرى ، لإعتقادهم إنها طريق يوصل الصليبيين

(١) يطلق شهاب الدين العمري ( مسالك الأبصار ٢ : ٢ ق ٣ ص ٣٣٠ — ٣٦٠ ) على الوحدات السياسية التي انقسمت إليها إمبراطورية الروم السلاجقة اسم ممالك . أما ابن بطوطة ( ٢ : ٢٥٥ — ٣٢٢ ) فيلقب صاحب كل وحدة بقلب ملك أو أمير أو سلطان .

(٢) العمري : مسالك الأبصار ٢ : ٢ ق ٢ ص ٣٥٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء ص ٣٥٦ — ٣٥٧ .

(٤) نفس المرجع والجزء ص ٣٤٩ .

إلى الأراضى المقدسة ، ولإحساسهم بإزدیاد الخطر التركى ورجبتهم فى القضاء عليه قبل فوات الأوان . وشارك ملوك قبرس فى مشروعات أولئك الدعاة مشاركة فعالة بل أنهم كثيراً ماتحمسوا لسرعة تنفيذها<sup>(١)</sup> .

ولكن ليس معنى ذلك أن العلاقات بين ملوك لوزجنان وأمراء آسيا الصغرى من الأتراك المسلمين اقتصرت على ما هنالك من عدااء سياسى دينى ، بل إن ذلك العدااء لم يقف حائلا دون تبادل التجارة بين قبرس وآسيا الصغرى . وأفادت قبرس من تلك الحركة التجارية فائدة عظيمة ، إذ قصدها التجار الأوربيون للحصول على الحاصلات الآسيوية التى يتعذر عليهم الحصول عليها من بيروت أو الإسكندرية بسبب الحروب الصليبية والأوامر البابوية<sup>(٢)</sup> . ومما شجع الأوربيين على تفضيل الغلات الواردة عن طريق آسيا الصغرى على تلك الواردة عن طريق دولة المماليك ، أن الأتراك لم يطلبوا مكوساً باهظة على البضائع المارة ببلادهم ، على حين بلغت مكوس المماليك على بضائع الشرق وغيرها أضعاف ثمن البضاعة نفسها<sup>(٣)</sup> ، وبلغ من إنخفاض الاسعار « ببلاد الروم » أن أقصى سعر للبضائع بها فى حالة الغلاء عادل أرخص سعر لها فى بلاد الشام فى حالة الرخاء<sup>(٤)</sup> . وعندما أدرك البنادقة أهمية التجارة مع الأتراك ، عقدوا معاهدة تجارية سنة ١٢٢٩ م مع دولة السلاجقة الروم ، وحذا حذوهم الجنوبيه وغيرهم من تجار الغرب الذين توغلوا فى آسيا الصغرى عن طريق أرمينيا الصغرى من جهة وعن طريق الساحل الجنوبي لسلطنة قونية الساجقية من جهة أخرى<sup>(٥)</sup> . وفطن ملوك قبرس الأوائل إلى ماسوف يفيدونه من التجارة مع إمارات آسيا

(1) Atiya : The Crusade, Ps. 41, 108, 123, 147, 164, 19 ... etc.

(2) Heyd : Histoire du Commerce ; Tome II, pp. 3-4.

(٣) . العبرى : ممالك الأوبار > ٢ ق ٢ ص ٣٣٠ .

(٤) نفس المرجع والقسم ص ٣٣١ .

(5) Heyd ; Tome II, p. 534.

الصفري حين يصبحون واسطة التبادل التجارى بين الشرق والغرب ، فعملوا على الحصول على إمتيازات تجارية فى مدن السلاجقة الروم تعادل ما حصل عليه التجار الأوربيون فى تلك المدن<sup>(١)</sup> .

ثم بدأ التصادم السياسى بين القبارسة وجيرانهم سلاجقة الروم أوائل حكم هيو الاول لوزجنان (١٢٠٥-١٢١٨) حول مدينة أنطاليا البيزنطية على الشاطئ الجنوبى لآسيا الصغرى . أما سبب ذلك الصدام فهو أن غياث الدين كيخسرو سلطان قونية حاول الإستيلاء على أنطاليا سنة ١٢٠٦ لأهمية موقعها ، فحاصرها وهدم عدة من أبراج سورها ، وعندئذ أرسل أهلها من البيزنطيين يطلبون النجدة من هيو الاول لوزجنان ، فأنجدهم هيو بجند من القبارسة استطاعوا أن يخلوا غياث الدين عن المدينة ؛ وصارت أنطاليا تابعة لقبرس<sup>(٢)</sup> . غير أن القبارسة فشلوا فى الاحتفاظ بها مدة طويلة لأن غياث الدين ترك على مقربة منها طائفة من عسكره ، واستغل موقع بلاده منها ، فقطع عنها ما اعتادت أن تحصل عليه من المواد الغذائية حتى ضاق الحال بأهلها إلى درجة التفكير فى الاستسلام<sup>(٣)</sup> . ثم وقع بين البيزنطيين والقبارسة فى أنطاليا خلاف شديد ، ولم يلبث ذلك الخلاف أن تطور إلى قتال بين الفريقين ، فأرسل البيزنطيون إلى غياث الدين يطلبون منه المجيء إلى المدينة ، فاستولى عليها فى مارس سنة ١٢٠٧ وقتل جميع من بها من القبارسة والفرنج دون البيزنطيين<sup>(٤)</sup> .

على أن فشل القبارسة أو نجاحهم فى أنطاليا لا يهمنى فى هذا الموضوع إلا من الناحية العامة وهى أن آل لوزجنان لم يكادوا يثبتون أقدامهم فى قبرس حتى وجهوا أنظارهم صوب شواطئ آسيا الصغرى قبل أن يعضى على حلولهم بالجزيرة

(١) Mas Latrie ; p. 211.

(٢) ابن الأثير الكامل فى التاريخ عن ( Rec. Hist. Cr. Tome II, p. 103 ) .

(٣) نفس المرجع والجزء ( p. 104 ) .

(٤) نفس المرجع والصفاة .

خمس عشرة سنة . وليس معنى الفصل المؤقت الذى منى به القبارسة فى عهد هيو الأول فى الحصول على قاعدة على شواطئ آسيا الصغرى أن علاقاتهم بالأتراك قد انتهت ، بل الواقع إن العلاقات بين القبارسة وأتراك آسيا الصغرى ازدادت نشاطاً فى القرن الثالث عشر بسبب تفكك دولة سلاطين قونية عقب وفاة علاء الدين الثالث ( ١٢٩٧ — ١٣٠٧ ) نتيجة للغزوات المغولية ، وحرص بعض الإمارات الجديدة على مصادقة من تستطيع الحصول على صداقته من المسلمين والمسيحيين سواء <sup>(١)</sup> .

ويبدو أن جزيرة قبرس أفادت أكبر الفائدة من تلك الحال السياسية التى طرأت على آسيا الصغرى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، إذ غدت فاما جوستا من أكبر موانئ البحر المتوسط ولايكاد يفوقها سوى القسطنطينية والإسكندرية <sup>(٢)</sup> ؛ مما جعل أسواقها العظيمة وبضائعها المختلفة وتجارها الأثرياء محورا لقصص يشبه قصص ألف ليلة <sup>(٣)</sup> . ومن الدليل على ذلك ما ذكره الرحالة الألمانى لودلف سوخن عندما مر بقبرس حوالى سنة ١٣٤٩ ، إذ قال أنه رأى فى فاما جوستا تجاراً يمثلون مختلف الأمم والأجناس من إغريق ولاتين وأرمن وعرب وترك وأجباش وسوريين ، هذا عدا التجار الوافدين من البندقية وألمانيا وليجوريا وصقلية والأراضى المنخفضة ... كل منهم يتكلم لغة بلاده ويلبس زيه الوطنى مما أثار دهشة ذلك الحاج <sup>(٤)</sup> .

غير أن العلاقات التجارية وفوائدها لم تغلب دائماً على دعوة الدعاة للحروب الصليبية ، إذ نادوا فى مشروعاتهم المتعددة بضرورة سحق قوة الأتراك أولاً وقبل كل شيء لتحقيق الهدف الصليبي <sup>(٥)</sup> . وأغرى ملوك قبرس موقع جزيرتهم

(1) Heyd, Vol. 2, p. 534.

(2) Mas Latrie ; p. 237.

(3) Makhiaras ; pp. 83—87.

(4) Stubbs ; p. 219.

(5) Atiya ; pp. 155—186.



الجغرافى فتولوا قيادة تلك الحركة ضد الأتراك وشاركوا فى مشروعاتها مشاركة فعالة . وكان ذلك بداية لسياسة حربية دأب ملوك قبرس على تحقيقها على شواطئ آسيا الصغرى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، مما يتطلب فهمه نظرة عاجلة فى تلك الحال السياسية الجديدة التى طرأت على آسيا الصغرى فى مستهل ذلك القرن . ذلك أنه قامت على أنقاض دولة السلاجقة الروم عدة إمارات يعرف بعضها بأسماء مؤسسيها مثل أيدين وصاروخان وقرمان ، والبعض الآخر بأسماء عواصمها وأكبر مدنها مثل فوكه ومغنيسيا<sup>(١)</sup> . واختلفت المراجع فى تقدير عدد تلك الإمارات إختلافا كبيرا بسبب عدم الإستقرار الذى ساد آسيا الصغرى وما استمر بين الأمراء الأتراك من تنافس وتناحرن جعل الخريطة السياسية لآسيا الصغرى تبدو مثل صندوق الساحر<sup>(٢)</sup> . يضاف إلى ذلك أن بعض الجهات الشرقية من شبه جزيرة آسيا الصغرى ظل تحت نفوذ المغول فضلا عن أجزاء أخرى بالشمال الغربى بقيت تابعة للدولة البيزنطية ، وتلك عدا مملكتين مسيحيتين هما مملكة طرابزون على البحر الأسود ، ومملكة أرمينيا الصغرى فى الركن الجنوبى الشرقى لشبه الجزيرة . هذا وأن أصبح العنصر الغالب هو العنصر التركى الذى توغل فى آسيا الصغرى منذ القرن الثامن الميلادى<sup>(٣)</sup> .

والواقع أنه كان فى استطاعة المسيحيين أن يستغلوا التنافس القائم بين الأمراء الأتراك للقضاء على خطرهم جميعا ، ولكن يبدو أنهم لم يأنهوا لذلك الخطر طالما كان منبعه عدة دويلات وإمارات متنافسة . غير أن تلك الدويلات والإمارات

---

(1) Lavissee, Rambaud : *Histoire Generale*. Vol. 3 pp. 821—822.

(2) Gibbons : *The foundation of the Ottoman Empire* ; p. 277.

وحبنا أن نهباب الدين العمري — وهو من مهاجنا الأساسية فى دراسة أحوال آسيا الصغرى فى القرن الرابع عشر ذكر روايتين حدد فى الأولى عدد تلك الإمارات بإحدى عشرة إمارة ، وفى الثانية حدها بست عشرة إمارة ( مسالك الأبصار ص ٣٤٠ — ٣٦٠ ) .

(3) Gibbons, op. cit. p. 13.





استطاعت بين حين وآخر أن تتحد في حلف لفزو أرمينيا الصغرى أو الإغارة على السواحل البيزنطية<sup>(١)</sup>.

وأحسن هيو الرابع الذى اعتلى عرش قبرس سنة ١٣٢٤ بذلك الخطر الجديد ولا سيما من ناحية إمارات صمرام ومغنيسيا وبركى وفوكة الواقعة على الشواطىء الغربية والجنوبية لآسيا الصغرى ، إذ سلحوا السفن وأرسلوها فى عرض البحر للإغارة على جزر بحر إيجه والتربص للسفن الأوربية والإعتداء عليها حتى « جابت سفنهم البحار فرجفت لها المدن »<sup>(٢)</sup> ، وبذلك هددوا التجارة المسيحية تهديداً مباشراً<sup>(٣)</sup>. كذلك أحست الجمهوريات الإيطالية بتهديد متاجرها ومواصلاتها مع موانئ البحر الأسود ، فأخذت البندقية تعمل على تأليف حلف يضم القوى التى يهيمها الأمر مثل أندرونيق الثالث امبراطور القسطنطينية ( ١٣٢٨ — ١٣٤١ ) وهيو الرابع ملك قبرس وفرسان رودس ، ضد الأتراك عامة<sup>(٤)</sup>. وصادف وقتذاك أن ملك فرنسا فيليب دى فالوا كان يعد العدة لحملة صليبية ، فوجدت البندقية فرصتها فى ذلك ، وأوفدت سنة ١٣٣٤ رسولين إلى فرنسا لإقناع فيليب بالانضمام إلى الحلف الجديد. وتمخض الأمر عن إجتماع كبير حضره البابا حنا الثانى والعشرون وملك فرنسا وقبرس وممثلو الاسبتارية والبندقية<sup>(٥)</sup>. وتم الاتفاق على أن يجهز الحلف حملتين ضد الأتراك ، تقوم الأولى منهما فى مايو سنة ١٣٣٤ وتكون بمثابة حملة تمهيدية ، فيخرج أسطول من أربعين سفينة لتطهير البحر من السفن التركية استعدادا لحملة الثانية التى تقرر أن تتألف من اثنتين وثلاثين سفينة حربية ومثلها من ناقلات الجنود لحل

---

(1) Mas Latrie ; p. 248.

(٢) العمري : مسالك الأبصار > ٢ ق ٢ ص ٣٥١ — ٣٥٤ .

(3) Heyd ; Vol. 2, p. 538.

(4) Atiya ; p. 111.

(5) Heyd ; Tome 2, p. 539.

ثمانمائة محارب . ورأى المجتمعون وجوب مساهمة امبراطور القسطنطينية وملك صقلية في هاتين الحملتين بعدد من السفن ، فإن لم يفعلا قامت بيزا وجنوا بسد ماعساه يكون من نقص في عدد السفن <sup>(١)</sup> . ويقال إن حماس البابا حنا الثاني والعشرين لذلك المشروع يرجع إلى رغبته في التخفيف عن أرمينيا الصغرى من الأخطار المحيطة بها <sup>(٢)</sup> .

وكان أن سارت الأمور حسب الاتفاق فتم إعداد الحملة الأولى في الوقت المحدد لها ، واتجهت السفن الصليبية سنة ١٣٣٤ لتطهير البحر من الأتراك . وصادف أن بعض القراصنة الأتراك بقيادة أميرهم إياكشى كانوا وقتذاك يجوبون بحر إيجه ، فلما علم إياكشى بأن المسيحيين دمروا بعض سفنه عند كاسندرا وأنهم جادون في البحث عنه ، فرسفته إلى تساليا وفي أعقابها الأسطول الصليبي حتى التقى الخصمان في سبتمبر في تلك السنة . وانهى الأمر بتدمير معظم السفن التركية والإجهاز على بقيتها في خليج أزمير . ثم نزلت قوة من الصليبيين إلى البر وأحرقت قلعة أزمير وقفل الصليبيون راجعين إلى بلادهم <sup>(٣)</sup> .

وشجع ذلك النصر الصليبيين على الاستعداد للحملة الثانية في العام التالي . ولكن بينما تجري الاستعدادات على قدم وساق في موانئ فرنسا وغيرها ، فاجأ الإنجليز ملك فرنسا بهجوم على الشواطئ الفرنسية سنة ١٣٣٤ ، وهكذا حالت إحدى مراحل حرب المائة بين إنجلترا وفرنسا دون إتمام الشطر الثاني من مشروع الصليبيين <sup>(٤)</sup> ؛ لاسيما وأن ذلك وافق موت البابا حنا الثاني والعشرين (١٣١٦ — ١٣٣٤) ، وهو صاحب الفضل الأكبر في تكوين الحلف الأوربي . على أن البابا كليمنت السادس (١٣٤٢ — ١٣٥٢) سرعان ما أدرك هو الآخر مبلغ

(1) Atiya ; p. 112.

(2) Stubbs ; p. 218.

(3) Atiya ; pp. 112—113.

(4) Idem ; p. 113.

الخطر التركي ، فراسل ملك قبرس ورئيس فرسان الاستبارية وجمهورية البندقية للقيام بحملة جديدة ضد الأتراك<sup>(١)</sup>. واجتمع لذلك الغرض أسطول عدته عشرون سفينة ، أسهم فيه كل من البابا وملك قبرس بأربع سفن وفرسان رودس بست سفن والبندقية بالباقي<sup>(٢)</sup>. وفي سبتمبر سنة ١٣٤٣ خرجت السفن المتحالفة للقضاء على الأتراك في البحر فطاردوا قراصنتهم ثم اختاروا هدفا لهجومهم مدينة أزمير التي كانت وقتذاك تابعة لامارة بركي ويحكمها عمر بك ابن ايدن سلطان بركي<sup>(٣)</sup>. ولم يكن اختيار الصليبيين لمدينة أزمير اعتباطا ، وإنما اختاروها بالذات لأنها أكبر مركز لنشاط القراصنة الأتراك<sup>(٤)</sup>. وحسبنا أن العمرى وصف رجال تلك الامارة بأنهم أهل حرب وكفاح ، ضج البر والبحر من حروبهم مع الفرنج وأن « كل ملوك الأتراك في غزو الكفار عليهم عيال<sup>(٥)</sup> » .

وتقدم الصليبيون نحو أزمير للقضاء على أكبر أوكار القرصنة التركية ، ففشبت معركة بحرية بين الطرفين انتهت بتدمير خمسين سفينة تركية حتى تمكن المسيحيون من الاستيلاء على المدينة في أكتوبر سنة ١٣٤٤ . وكان بالمدينة عدد كبير من التجار المسيحيين لم يدخروا وسعا في مساعدة الصليبيين<sup>(٦)</sup> . أما عمر بك سلطان بركي فقد قام بعدة محاولات لاسترداد أزمير لعل آخرها أعنفها سنة ١٣٤٨ ، ولكن محاولاته كلها باءت بالفشل بل كلفته حياته في حومه القتال ؛ وبذلك ظلت أزمير في قبضة المسيحيين مدة نصف قرن أى حتى غزا تيمورلنك آسيا الصغرى<sup>(٧)</sup> ( سنة ١٤٠٢ م ) .

---

(1) Heyd ; Vol. 2 p. 539.

(2) Atiya ; p. 292.

(3) Zambaur: Manuel de Genealogie et de Chronologie pour l'Histoire d'Islam, p. 151

(4) Heyd, Tome 2, p. 539.

(٥) العمرى : مسالك الأبصار > ٢ ق ٢ ص ٣٥٣ .

(6) Atiya ; pp. 294-295.

(7) Gibbons ; op. cit. p. 258.

وقد يبدو أن المسيحيين غنموا باستيلائهم على أزميز غنما عظيما لما لها من أهمية واضحة في عالم التجارة ، ولكن الواقع هو أنهم لم يفيدوا من غنمهم إلا قليلا بسبب محاصرة الأتراك لها من كل ناحية حتى اختنقت وانقطعت عنها الحاصلات الأسيوية <sup>(١)</sup> . وحاول المسيحيون دفع ذلك الحصار فهاجوا الأتراك في يناير سنة ١٣٤٥ ولكن للمسيحيين منوا بهزيمة كبيرة وخسارة فادحة <sup>(٢)</sup> ؛ وعندئذ فكروا في الصلح مع الأتراك أملا في توطيد العلاقات بين الطرفين على أسس ودية سليمة ، لولا أن البابا كليمنت السادس رفض الموافقة على مشروع ذلك الصلح وأعلن رفضه سنة ١٣٤٨ <sup>(٣)</sup> .

وفي تلك الأثناء عكف هيو الرابع لوزجنان — بتخريض من البابا — على ما هو بصدده من مطاردة التجار الأوربيين الذين خالفوا الأوامر البابوية وظلوا يتاجرون مع دولة المماليك متخذين من موانئ الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى أوكارا لسفنهم . ذلك أن سفن هؤلاء التجار أحتمت بتلك الموانئ حتى إذا ابتعدت عنها السفن القبرسية المطاردة وتأكدت أن الطريق إلى مصر آمن أسرعت إلى الاسكندرية محملة بالأسلحة والأخشاب وغيرها من الأشياء التي حرم البابا تصديرها إلى المماليك؛ فتتبعها إلى الاسكندرية وتحمل بدلا للتوابل والسكر والأقشة والطيب ثم تمود مسرعة إلى الشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى بين أزميز وأيا سلوق ، حتى إذا وثقت من سلامة الطريق أبحرت إلى الموانئ الأوربية متحدية القبارصة والأوامر البابوية جميعا <sup>(٤)</sup> .

واستطاع التجار الأوربيون بهذه الطريقة أن يحطموا آخر الأسلحة التي لجأت إليها البابوية لاضعاف دولة المماليك . وإذا أضعت الموانئ التركية على

(1) Heyd, Vol. 2, p. 540.

(2) Atiya ; p. 295.

(3) Idem ; p. 297.

(4) Heyd ; Tome 2, Ps. 4 & 29.

شاطيء آسيا الصغرى الجنوبى هى الأوكار الرئيسية التى لجأ إليها ذلك النفر من التجار ، عمل هيو الرابع ملك قبرس على مهاجمة تلك الموانى <sup>(١)</sup> . وشاركة فى تلك العمليات الحربية قائد يدعى هبرت أرسله البابا على رأس قوة من الفرسان المتطوعة لمعاونة ملك قبرس . وكان أهم تلك العمليات معركة بحرية فى بحر إيجه أسفرت عن ضياع ست وعشرين سفينة من سفن القراصنة الأتراك فى فبراير سنة ١٣٤٦ <sup>(٢)</sup> .

ولم يكن فرسان رودس أقل نشاطاً من ملك قبرس فى مهاجمة الأتراك ، إذ أحرقوا عدداً من سفن القراصنة الأتراك فى أحد موانى جزيرة أمبروز قرب الدردنيل وأبادوا عدداً من أئتك القراصنة إبادة تامة ( مايو سنة ١٣٤٧ ) <sup>(٣)</sup> .

وبينا تقوم قبرس ورودس بلك الأعمال البحرية الكبيرة بإسم الحلف المسيحى ، إنسحب هيو الرابع فجأة من الحلف وعدل عن سياسته العدائية ضد الأتراك بل سحب الحماية القبرسية من أزمير <sup>(٤)</sup> . وهكذا أدى انسحاب ملك قبرس إلى تصدع الجبهة المسيحية المضادة للأتراك ، فاستدعى البفادقة سفنهم ، لا سيما بعد أن وجدوا أنفسهم على وشك الاصطدام بالجنوية من جراء ما بين الدولتين من تنافس مزمن بالشرق <sup>(٥)</sup> ، كما حذوا حذو هيو الرابع فسحبوا حمايتهم من أزمير سنة ١٣٥٠ ، وانتهى الأمر بأن خل البابا الحلف فى ٨ سبتمبر سنة ١٣٥٠ وبذلك أصبح عبء الاحتفاظ بذلك النفر الهام واقماً على أكتاف الاستبارية وحدهم حتى استيلاء المغول عليه سنة ١٤٠٢ <sup>(٦)</sup> .

---

(1) Mas Latrie ; p. 251.

(2) Atiya ; p. 311.

(3) Idem ; p. 315.

(4) Mas Latrie ; p. 254.

(5) Idem ; p. 255.

(6) Atiya ; p. 297.



ولا نستطيع أن نعرف على وجه التحقيق السبب الذى حوّل هيو الرابع فجأة عن حرب الأتراك بعد أن ظل متحمساً لها منذ أوائل حكمه ، غير أنه يحتمل أن يكون ذلك بسبب المشاكل الداخلية التى واجهت ملك قبرس ، وذلك فضلاً عن انتشار الوباء بأحاء الجزيرة انتشاراً فثماً سنة ١٣٤٨<sup>(١)</sup>. وبلغ من انصراف هيو الرابع عن شئون الحرب أن أرمينيا الصغرى استغاثت به عدة مرات ضد هجمات المسلمين من مماليك وأتراك ، ولكنه تجاهل تلك الاستغاثات وترك أمر مساعدة أرمينيا الصغرى للاستتار به وحدهم ، كما رفض ما عرضه عليه أهالى أرمينيا من القدوم على ثغر جورهييجوس والاستيلاء عليه ، وهو الحصن الهام على الشاطئ الجنوبى لآسيا الصغرى ، مفضلاً الابتعاد عن جميع ماعساه يؤدى إلى الزج به فى ميدان القتال مع الأتراك<sup>(٢)</sup>. وبقي هيو الرابع على موقفه هذا حتى وفاته سنة ١٣٥٩ ، على الرغم مما وضع من أطماع بنى قرمان الأتراك فى امتلاك جورهييجوس .

وهكذا فوت هيو الرابع على القبارصة فرصة إمتلاك جورهييجوس من الأرمن رغبة منه فى مسألة الأمراء الأتراك ، وهو النفر الذى يستطيع القبارصة لو تملكوا عليه أن ينفذوا إلى قونية وأنقرة وسيواس وأضروم وغيرها من أسواق التجارة بآسيا الصغرى ، وأن يستغنوا به عن أزمير وما فيها من منافسات مع حاكمها الجنوبى الذى عمل دائماً على توطيد أقدام جمهورية جنوه فى تلك الميناء<sup>(٣)</sup>. غير أن بطرس الأول لوزجنان أدرك ما فوته أبوه ، من ضرورة إمتلاك جورهييجوس ولا سيما بعد أن وضحت أطماع بنى قرمان فى ذلك النفر الهام وأخذوا فى الزحف نحوه حتى استولوا على كل الأراضى المحيطة به<sup>(٤)</sup> . وكانت

---

(١) يقول مخياراس إن الوباء انتشر فى قبرس سنة ١٣٤٨ انتشاراً خطيراً مات بسببه نصف سكان الجزيرة . وفى سنة ١٣٥١ أغار الجراد على الجزيرة فأثلف اليابس والأخضر .

( Makhias; P 61 )

(2) Makhias; Vol. I, p. 99.

(3) Mas Latrie; pp. 259—260.

(4) Makhias; Vol. I, p. 99.

أرمينيا الصغرى وقتذاك تمانى الأمرين من ناحية أطماع بنى قرمان من جهة ، ومن ناحية الدولة المملوكية التى استولت على أهم المدن الأرمينية مثل سيس وأطنة وأياس من جهة أخرى . ولذلك رغب الأرمن فى الدخول تحت حماية بطرس لوزجنان<sup>(١)</sup> . وأرسل أهالى جورهييجوس بالذات فى ٨ يناير سنة ١٣٦٠ رسولين إلى بطرس يعرضان عليه تسلم القلعة<sup>(٢)</sup> . ورأى بطرس أن فرصته جاءت « لأنه كان يتوق إلى امتلاك أرض فى تركيا »<sup>(٣)</sup> ، فرحب بالرسولين وأرسل فى ١٥ يناير سنة ١٣٦٠ سفناً حربية بقيادة روبرت لوزجنان — أحد أقربائه الذين نزحوا إلى الشرق للعمل تحت رايته — ليتولى حكم القلعة باسمه<sup>(٤)</sup> . واستقبل أهل جورهييجوس تلك السفن استقبالاً حماسياً وأقسموا يمين الولاء الملك بطرس ، ومن ثم صارت جورهييجوس تابعة للملك قبرس وتأسست بها حامية قبرسية<sup>(٥)</sup> .

غير أن ملك قرمان — علاء الدين خليل<sup>(٦)</sup> — فزع لاستيلاء بطرس على قلعة جورهييجوس لعلمه بأطماعه الواسعة ورغبة الحارة فى تصفية حسابه مع المسلمين ، وأنه لن يقنع بتلك القلعة بل سوف يتخذها قاعدة لتهديد شواطئ آسيا الصغرى الجنوبية بأسرها<sup>(٧)</sup> . لذلك أسرع علاء الدين إلى تحصين بلاده القريبة من جورهييجوس كما عمل حلفاء مع أمير العالايا وأمير أنطاليا وأمير مونوفوجات<sup>(٨)</sup> ،

(1) Makhiaras ; Vol. I, p. 99.

(2) Sempad : Chronique du Royaume de la Petite Armenie (Rec. Hist. Cr. Tome I, p. 638).

(3) Makhiaras, Vol. I, p. 101.

(4) Sempad, (Rec Hist. Cr. Documents Armeniens Tome I, p. 638).

Machaut : La Prise d'Alexandrie ; p. 20.

وكذلك

(5) Makhiaras Vol. I, p. 101.

(6) Zambaur ; op.cit. p 158.

(7) Mas Latrie ; pp. 261—262.

(8) Makhiaras ; Vol. 2, p. 99. Note. 6.

هذا ، وليس فى المراجع المعاصرة وغير المعاصرة ما يشير إلى أسماء أولئك الأمراء

( أنظر Zambaur )

وأعد هؤلاء الحلفاء عدداً من السفن للإغارة على قبرس لينشوا الرعب في قلب ملكها الطموح<sup>(١)</sup>. غير أن المصادر المعاصرة لا تشير إلى إغارة من هذا النوع على قبرس، بل تشير إلى نشاط الملك بطرس وسبقه بنى قرمان وأحلافهم إلى العمل عند ما سمع بحلفهم ضده، فاستعد لهم وأرسل إلى رئيس الاستبارية برودس يطلب منه النجدة، فأمدّه بأربع سفن حربية انضمت إلى ست وأربعين سفينة تجهزها الملك. وفي ١٢ يولييه سنة ١٣٦١ قصد الملك فاما جوستا حيث انضم إليه كثير من سفن القرصان فأصبح الأسطول مكوناً من مائة وتسع عشرة سفينة منها سفينتان أرسلهما البابا<sup>(٢)</sup>.

ولما سمع أمير العالايّا عن استعدادات الملك بطرس أسرع بإرسال الرسل إلى قبرس يحملون الهدايا ويرجون عدم مهاجمة مدينتهم، فصرف بطرس الرسل وأبحر في ٢٣ أغسطس سنة ١٣٦١ قاصداً شواطئ آسيا الصغرى حيث رسا بسفنه قرب أنطاليا حيث أنزل الخليل إلى البر استعداداً لمهاجمة المدينة<sup>(٣)</sup>. وكانت أنطاليا وقتذاك من أعظم المدن التركية وأكبرها من حيث «اتساع المساحة والفضامة»<sup>(٤)</sup>، كما كان يحيط بها سور عظيم ما زالت بقاياها ماثلة حتى عصر ابن بطوطة<sup>(٥)</sup>. ولكن العمرى وصف أهلها بأنهم «ليسوا أهل حرب»<sup>(٦)</sup>، ولعل هذا هو الذى سهل على بطرس مهمته، فدخل المدينة مساء ٢٤ أغسطس أثناء غيبة أميرها عنها<sup>(٧)</sup>، وأصدر الملك أوامره بتدمير المدينة وإحراقها بعد نهبها؛

(1) Makhias Vol. I, p. 103.

(٢) وأورد ماخياراس قائمة طويلة بأسماء قواد وفرسان الحملة 103-105 P.P. Idem;

(3) Idem ; p. 107.

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار ٢ ص ٢٥٨ .

(٥) نفس المرجع والجزء ٢٥٩ وكذلك 101 2P. Makhias, Vol.

(٦) العمرى : ٢ ص ٢٠٥ .

(7) Makhias, Vol. I, p. 107.

وذبح القبارسة كل من صادفوه بها من الأتراك رجالاً ونساءً<sup>(١)</sup> . وبعد ذلك عقد بطرس مجلساً من كبار فرسانه لاستشارتهم فيما يجب عمله ، فنصحوه جميعاً بالاحتفاظ بالمدينة وعدم إخلائها ، فعين الملك أحد رجاله وإسمه جيمس دى نور نائباً عنه فيها ، وترك معه حامية كبيرة وثلاث سفن حربية للدفاع عنها وحراسة مينائها ، بعد أن أعلن الأمان لأهلها وأباح لهم الذهاب إلى قبرس<sup>(٢)</sup> .

وأحدث نبأ استيلاء بطرس على أنطاليا موجه من الرعب في نفوس أمراء الجهات الجنوبية من آسيا الصغرى ، فأرسل إليه كل من أمير العالايا وأمير مونوفوجات رسولا يطلب منه الأمان ويتعهد بدفع جزية سنوية ورفع راية قبرس ببلاده رمزاً للولاء . وسر الملك بطرس من تلك العروض فأرسل إلى الأميرين المذكورين بعض أعلامه فرفعاها في أما كن أعلى من أما كن أعلامهما<sup>(٣)</sup> . ويبدو أن الخوف من ملك قبرس لم يكن الدافع الوحيد الذى دفع هذين الأميرين التركيين إلى تقديم الولاء له ، بل هو خوف كذلك من آل قرمان ؛ أى أن خضوع أولئك الأمراء لملك قبرس على تلك الصورة السريعة لم يكن سوى مناورة سياسية للاستعانة به فى الوقوف فى وجه أطماع آل قرمان<sup>(٤)</sup> .

وفى ٨ سبتمبر سنة ١٣٦١ غادر الملك بطرس أنطاليا قاصداً العالايا ، فخرج أميرها ومعه حاشيته للقاءه وأدى له فروض الولاء والتبعية وقدم إليه مفاتيح قلعته وبعض الهدايا الثمينة . لكن بطرس رد إليه مفاتيح القلعة وعقد معه اتفاقاً تعهد فيه الأمير أن يظل تابعاً أميناً للملك<sup>(٥)</sup> .

---

(1) Machaut ; p. 20.

ولم بشر بخيراس إلى تلك المذابح

(2) Makhias, Vol. I, pp. 107—109.

(3) Makhias, Vol. I, pp. 107—109.

(4) Atiya ; pp. 327—328.

(5) Makhias, Vol. I, p. 109.

وقبل أن يغادر بطرس العاليا جاءه رسل من أمير مونوفوجات يحملين بالهدايا فاستقبلهم بطرس استقبالا حسناً وطمأنهم على مستقبل بلدهم ثم قفل راجعاً إلى قبرس فوصل كبرينيا في ٢٢ سبتمبر سنة ١٣٦١ حيث استقبل استقبالا رائعاً<sup>(١)</sup>. وهكذا بدأ بطرس لوزجنان أعماله الحربية ضد الأتراك ، وتم له الاستيلاء على أنطاليا . وكان لخبر استيلاء بطرس على ذلك المركز التجاري الفريد على على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى دوى في الشرق والغرب معاً ، حتى أن بطرس توماس وهو من كبار الشخصيات الصليبية في القرن الرابع عشر، عزم على الذهاب إليها بنفسه لتنظيم رجال الدين اللاتين بها وتبريك كنائسها « بعد أن دنسها الكفار ( الأتراك ) تلك المدة الطويلة »<sup>(٢)</sup> . على أن موجة الفرح التي عمت المسيحية بالاستيلاء على أنطاليا لم تظل طويلاً ، لأنه لم يكن من المنتظر أن يسكت أميرها تكا<sup>(٣)</sup> على بقائها في أيدي القبارسة وهي عاصمة إمارته ومركز حكمه . لذلك لم يكسد بطرس يصل إلى قبرس حتى جمع تكا جيشاً لاسترداد المدينة ، ولكن الحامية القبرسية أنزلت به الهزيمة<sup>(٤)</sup> . على أن ذلك الفشل لم يثن تكا عن عزمه ، فصكف على مضايقة المدينة وحاميتها القبرسية بالإغارات المتكررة ، بعد أن فشل في حمل حاكمها القبرسي على قبول رشوة . ثم لجأ تكا إلى سلاح آخر إذ ضرب الحصار على أنطاليا حتى منع القوات عنها ، وطلب إلى كافة الأتراك المجاورين منع بيع الأطعمة أو إرسالها إلى المدينة . وصادف ذلك فصل الشتاء في الوقت الذي تعذر على السفن القبرسية السير في البحر وحمل الأقوات

---

(1) Machaut ; op. cit p 21

(2) Mas Latrie, p. 267.

(٣) (تكا) لقب كان يطلق على أمراء أنطاليا وهو في الواقع اسم مؤسس الأسرة. وتكا المذكور هنا رابع أمراء تلك السلسلة ( Makhiaras, Vol. 2 P 107 ) وليس في المراجع المعاصرة أو المتأخرة ما يشير إلى هذا الأمير بأكثر من ذلك الاسم المفرد . أنظر

Zambaur; 153.

(4) Makhiaras, Vol. I, p. 111.

والنجدات ، فقامى رجال الحامية الشيء الكثير من الحرمان والعذاب حتى أن الخليل لم يجد شيئاً يأكله فأكلت أوراق شجر الليمون<sup>(١)</sup> . وظن تكان أن خطته أثمرت فجمع جيشاً كبيراً فى إبريل سنة ١٣٦٢ استعداداً لهجوم نهائى ، وأرسل إلى حاكم أنطاليا يطلب إليه تسليم المدينة أو القتال ، فلما رفض الحاكم طلبه هاجمها تكان بكل قواه ولكنه هزم أيضاً تلك المرة<sup>(٢)</sup> . عندئذ عاد تكان إلى أعماله الانتقامية من جديد ، فهدم الدور والمناسزل المحيطة بالمدينة ، وأحرق الغلال والحدائق القريبة منها ، ثم قطع مجرى الماء الذى يمدّها بمياه الشرب ؛ كل ذلك ورجال الحامية القبرسية صابرون ، يقيمون الاستحكامات ويحصنون قلعة المدينة<sup>(٣)</sup> .

وفى ٩ ما يوسنة ١٣٦٢ وصلت أنطاليا سفن النجدة من قبرس وعدتها أربع سفن حربية وست ناقلات للجنود وأربع من سفن القرصان<sup>(٤)</sup> . وقد رأى حنا الصورى حاكم أنطاليا الجديد الذى أتى على رأس النجدة أن يخفف الضغط عن المدينة بمهاجمة البلاد الساحلية القريبة منها وبذا ينتهى الحصار المضروب عليها ؛ فأغار على الجهات الساحلية المحيطة بأنطاليا ونهب كثيراً من المدن والقرى لاسيا مدينة ميراميرا<sup>(٥)</sup> Myra ، وهى المدينة القديمة التى تفنن الأباطرة البيزنطيون فى تزيينها وبناء الكنائس الفخمة بها ، فصادفت على أيدي القبارسة أضعاف

(1) Makhiaras, Vol. I, p. 111.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Idem ; p. 113.

(٥) ميراميرا من أهم مدن إقليم ليكيا ، لها شهرة قديمة فى المسيحية . بدأت بزول القديس بولس فيها سنة ٦٦ م ، كما كان القديس نيقولا اسقفها فى وقت ما من القرن الثالث . وأصبحت عاصمة لإقليم ليكيا فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس ، كما غدت مركزاً دينياً فى الدولة البيزنطية ، واستولت عليها قوات هارون الرشيد سنة ٨٠٨ . ( أنظر Atiya ; p. 172 )

Note 8.

مالحق بها طوال الإحتلال التركي<sup>(١)</sup> . ذلك أن رجال حنا الصوري من القبارسة نزّلوا بها فأوسعوها نهباً وسلباً وتدميراً ، ولم تسلم من أيديهم حتى الكنائس الجميلة وما بها من أواني وصور ؛ ومن جعلتها صورة شهيرة للقديس نيقولا حملوها فيما بعد إلى قبرس حيث وضعت في الكنيسة التي تحمل إسم ذلك القديس بفاما جوستا . وقبل أن يبرح القبارسة ميرا أشعلوا فيها النار فالتهمت قلعها<sup>(٢)</sup> .

على أن تلك الانتصارات المؤقتة لم تحسن موقف أنطاليا بحال من الأحوال . وبدا للقبارسة أن الأمل في الاحتفاظ بها لا يمكن تحقيقه إلا إذا رضى الأتراك بتبعية قبرس . ويبدو أن بطرس لوز جنان أدرك ذلك عندما أبحر إلى الغرب في أكتوبر سنة ١٣٦٢ وقام برحلته الشهيرة لطلب الإمدادات والمساعدات من ملوك أوروبا أملا في شن حرب على مدى أوسع وأعظم على المسلمين بوجه عام<sup>(٣)</sup> .

وما كاد نبأ سفر الملك بطرس إلى الغرب يذيع حتى أعلن تكا أمير أنطاليا عزمه على غزو ممتلكات قبرس في آسيا الصغرى . وأسرع تكا إلى التحالف مع أمير العالاي واتفق الأميران على مهاجمة أنطاليا براً وبحراً<sup>(٤)</sup> . وعلم سير حنا كارمان — الذي حل أخيراً محل حنا الصوري في حكم أنطاليا<sup>(٥)</sup> — بخبر ذلك التحالف ، فأرسل إلى نائب الملك بقبرس يطلب منه النجدة على عجل ، فأمدّه بثلاث سفن حربية وصلت أنطاليا قبل وصول الأتراك بيوم واحد . ثم وصل تكا على رأس جيش كبير وضرب خيامه أمام المدينة حتى إذا حان الموعد المتفق عليه مع أمير العالاي هجم على المدينة من ناحية البر على حين سدّت السفن —

(1) Mas Latrie ; p. 270.

(2) Makhias, Vol. I, p. 113.

(3) Machaut ; op cit. p. 21.

وأظر تفصيل رحلة الملك بطرس فيما سبق ص . ٥٠ — ٥١ .

(4) Makhias, Vol. I, p. 117.

(5) Ibid.

وعدها ثمان - مدخل الميناء<sup>(١)</sup> . وكان هجوم الأتراك تلك المرة شديداً عنيفاً ؛ فحاولوا تسلق أسوار المدينة لعلهم يأخذونها عنوة ولكن الحامية القبرسية أمطرتهم وابلا من القذائف الحجرية والسهم ، فاضطر المهاجمون إلى التراجع نحو معسكرهم تاركين خلفهم عدداً كبيراً من القتلى . واغتنم القبارسة تلك الفرصة فتمقبوهم وطاردوهم حتى نشبت شمل جيش تكا وتفرق جنده في مختلف الجهات<sup>(٢)</sup> . وصادف ذلك مجيء بعض السفن من قبرس فطاردت السفن التركية التي اضطرت رجالها إلى الفرار تاركين سفنهم للقبارسة ليحرقوها<sup>(٣)</sup> . غير أن تلك الهزيمة الساحقة التي نزلت بالأتراك لم تبعد خطرهم إلا مؤقتاً ، فظلوا يغيرون على المدينة من حين لآخر ويقلقون حاميتها ، وعلى تلك الحال استمر الوقف طوال سنة ١٣٦٢<sup>(٤)</sup> .

وفي سنة ١٣٦٣ انتشر بقبرس وباء فظيع أهلك كثيراً من الناس وامتد أثره إلى أنطاليا حيث مات به سير حنا كارمان حاكم المدينة ، فعين الوصي ابنه بدله<sup>(٥)</sup> . وكان تكا وقتذاك في يأس من استرداد أنطاليا ففكر في مهاجمة القبارسة في عقر دارهم وملكهم غائب في أوروبا وأحوالهم لا تساعد على المقاومة بعد تفشى الوباء بينهم ، فأعد اثنتي عشرة سفينة تحت قيادة أحد رجاله من ذوي الخبرة بالبحر وأعمال القرصنة واسمه محمد رايس . وخرجت تلك السفن قاصدة قبرس فأغارت على بندايا<sup>(٦)</sup> حيث أسرت عدداً كبيراً من القبارسة وغنمت عدداً وفيراً من الماشية ثم عادت سالمة قبل أن تدمها القوة المسلحة التي أرسلها نائب

(1) Ibid.

(2) Idem ; p. 119.

(3) Ibid.

(4) Mas Latrie ; p. 273.

(5) Makhiaras, Vol. 1, p. 119.

(٦) بندايا Pendayia بلدة مطلة على خليج مورفو بقبرس ( Makhiaras, Vol. 2 ,



الملك من العاصمة لمطاردتها<sup>(١)</sup> . ويبدو أن تكا هدف من تلك الإغارة أن يشغل نائب الملك بتحصين الجزيرة والدفاع عنها فيلهم ذلك عن إمداد أنطاليا وتموينها<sup>(٢)</sup> . ولكن خاب ظنه ، إذ لم تكد سفنه ترحل عن بندايا ، حتى وصلت إلى أنطاليا سفينتان تحملان المؤن والأمداد من قبرس<sup>(٣)</sup> . لذلك عاود تكا الكرة على قبرس ، وشجعه على ذلك ما أخبر به محمد رايس من خلو السواحل القبرسية من وسائل الدفاع ، فأرسله تكا مرة أخرى على رأس ست سفن ، وأتجه محمد رايس تلك المرة إلى قراباص على الشاطئ الشمالي الشرقي للجزيرة فنهب كثيراً من القرى ، وصاد وسفنه محملة بالأسرى والغنائم<sup>(٤)</sup> .

ودهش نائب الملك لتلك الجراءة التي جعلت الأتراك يغيبون على قبرس مرتين ، فأرسل فوراً إلى فاما جوستا يأمر بإعداد أربع سفن لحراسة الشواطئ القبرسية<sup>(٥)</sup> ، وسمح لقرصان الجزيرة بالإغارة على شواطئ آسيا الصغرى ونهبها<sup>(٦)</sup> ، كما قبض على جميع التجار الأتراك بالجزيرة<sup>(٧)</sup> .

أما السفن التي خصصها نائب الملك لحراسة الشواطئ القبرسية فالتقت بسفيتين للقراصنة الأتراك جاءتا للإغارة على الجزيرة وكانت إحداها راسية على الشاطئ حيث نزل رجالها للنهب والسلب ، فأشعل القبارسة فيها النار ، وأخذوا رجالها أسرى وأرسلوهم إلى نيقوسيا حيث أمر نائب الملك بشنقهم ، هذا بينما وات السفينة الثانية الأدبار عندما رأت السفن القبرسية ولكن القبارسة طاردوها وأسروها<sup>(٨)</sup> .

(1) Makhiaras, Vol. I, p. 121.

(2) Mas Latrie ; p. 273.

(3) Makhiaras, Vol. I, p. 121.

(4) Ibid.

(5) Ibid.

(6) Mas Latrie ; p. 274.

(7) Atiya ; p. 329.

(8) Makhiaras, Vol. I, p. 123.

ولم يقنع نائب الملك بتلك النتيجة وإنما رأى أن يهاجم تكا في عمر داره كما فعل الأتراك من قبل ، فأعد حملة سنة ١٣٦٣ أغارت على أنامور<sup>(١)</sup> ونهبها وأشعلت فيها النار ودمرت قلعتها ولم يغادر القبارصة تلك المدينة إلا بعد أن أسروا عدداً كبيراً من الأتراك . ثم قصدوا سيكي<sup>(٢)</sup> وحاصروها ولكنهم سمعوا أثناء حصارها أن الرايس محمد يغير على قبرس من جديد فاضطروا إلى مغادرة الشواطئ التركية والعودة إلى قبرس مسرعين<sup>(٣)</sup> .

والواقع إن محمد رايس أغار على الشواطئ القبرسية في تلك السنة، غير أنه لم يكن في شيء من القوة التي يستطيع بها الوقوف في وجه السفن القبرسية ، لذلك أطلق صفه للريح بعد معركة عنيفة قتل فيها قائد الأسطول القبرسي<sup>(٤)</sup> .

غير أن السفن القبرسية ألحت في مطاردته فاضطر محمد رايس إلى الالتجاء إلى طرابلس بالشام<sup>(٥)</sup> . ولما كانت قبرس وقتذاك في حالة سلم مع دولة المماليك فإن قائد السفن القبرسية لم يشأ مهاجمة طرابلس ، بل اكتفى بأن طلب إلى نائبها<sup>(٦)</sup> تسليم محمد رايس أو عدم حمايته على الأقل . ولكن نائب طرابلس أبي أن يطرد محمد رايس وهو مجاهد مسلم مثله ليقع فريسة في أيدي المسيحيين ، فاعتذر بأنه لا يستطيع تسليم محمد رايس أو طرده دون إذن من السلطان سعبان في القاهرة . وعندئذ أعد قائد السفن القبرسية إحدى سفنه ليرسلها إلى الإسكندرية محملة بالهدايا على أن يقدم نائب طرابلس إثنين من رجاله لمرافقة السفينة إلى المياه

---

(١) أنامور بلدة تقع بين العلايا وجورهيوس على شاطئ آسيا الصغرى الجنوبي  
(Makhias, Vol. 2, p 108).

(٢) سيكي بلدة تقع قرب جورهيوس على شاطئ آسيا الصغرى الجنوبي ( Ibid ) .

(3) Makhias, Vol. I, p. 125.

(4) Atiya ; p. 329.

(5) Makhias, Vol. I, p. 125.

(٦) يطلق مخارياس على نائب طرابلس اسم ( ملك أمير ) ، ويرجح دوكتر أن يكون المقصود بذلك الأمير مفكلبنا الشمسي ( Makhias, Vol. II, p. 115 ) .

المصرية ، فوافق النائب ثم رفض لوجود إثنيين من الأراك المسلمين من أسرى أنيمور من ضمن الهدايا ، ولم يسمح للسفينة القبرسية بالتوجه إلى السلطان<sup>(١)</sup> . والواقع أنه لم يكن من المنتظر أن يوافق السلطان المملوكي على تسليم محمد رايس في الوقت الذي كان المالك ينظرون بقلق إلى القبارسة وهم يثبتون أقدامهم على شواطئ آسيا الصغرى ، بل إن المالك أيدوا عندئذ محاولات تكا وغيره من الأتراك في طرد القبارسة من على شواطئ بلادهم ، وأن كان ذلك التأييد خفياً ومستترا نظراً للصالح القائم بين المالك والقبارسة<sup>(٢)</sup> .

وفي سبتمبر سنة ١٣٦٤ أرسل نائب الملك بقبرس أربع سفن تحت قيادة سير بول دي بون لتقوية حامية أنطاليا ، فأرست واحدة من تلك السفن بالميناء على حين توجهت السفن الثلاث الباقية للإغارة على الشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى حتى وصلت إلى الصلايا فدخلت ميناءها وهاجمت قلعتها ودمرت جزءاً كبيراً منها . ثم قفلت راجعة إلى قبرس في سرعة عندما فوجئت بخمس سفن للقراصنة الأتراك<sup>(٣)</sup> . ولم يشأ نائب الملك أن يقنع بتلك النتيجة فأمر بضم سفينتين آخرين وأرسلها جميعاً لكشف أخبار السفن التركية وأهدافها . ولكن لم تكد تلك السفن تغادر الجزيرة ، حتى ظهرت أمام الساحل القبرسي ثلاث سفن تركية ، فنزل الأتراك إلى البر ونهبوا وأسروا كثيراً من الأهالي ثم حاولوا الفرار من السفن القبرسية التي لحقت بهم وأسرتهم جميعاً ، فحملوا إلى نيقوسيا حيث شنقوا<sup>(٤)</sup> . ويبدو أن هذه النتيجة السيئة جعلت تكا وغيره من الأمراء الأتراك يقررون فيما بينهم عدم إرسال سفن للإغارة على قبرس ( سنة ١٣٦٤ )<sup>(٥)</sup> .

(1) Makhiaras, Vol. I, pp. 125—127.

(2) Mas Latrie, p. 275.

(3) Makhiaras, Vol. I, p. 131

(4) Idem ; p. 133.

(5) Idem ; p. 135.

وفي أغسطس سنة ١٣٦٥ عاد الملك بطرس لوزنجان إلى قبرس بعد رحلته الطويلة في أوروبا ليعد العدة لملحته الصليبية الشهيرة ، التي تقرر أن تجتمع في ميناء رودس<sup>(١)</sup> . ويلاحظ أن اجتماع القوات القبرسية وغيرها من القوى الصليبية في رودس — وعلى مقربة من شواطئ آسيا الصغرى — أتى الذعر في قلوب الأمراء الأتراك القريبين ، إذ ظنوا أن الملك بطرس يعد العدة للإغارة على بلادهم إغارة حاسمة . ولذا أسرع أمير بلاتشيا على شاطئ آسيا الصغرى الغربي وأمير أيا سلوق جنوبي أزمير إلى إرسال السفراء يطلبون منه الأمان وتجديد الصلح<sup>(٢)</sup> . وتوسط رئيس الاستبارة بين الأميرين والملك بطرس ، لما بينته وبينهما من علاقات ودية حتى انتهى الأمر بعقد اتفاق تعهد فيه الأميران التركيان بدفع جزية سنوية للملك نظير عدم الاعتداء على مدينتهما أو قلاعهما<sup>(٣)</sup> .

ثم وقع اختيار الملك بطرس على الاسكندرية ، واقيت الاسكندرية مالمقيت على يده ، ورجع ملك قبرس إلى الجزيرة تحوطه موجة من السخط منبعثة من جميع أنحاء العالم الإسلامي<sup>(٤)</sup> ؛ ويقال إن بعض الأمراء الأتراك في آسيا الصغرى أخذوا يعدون المساعدات والنجادات لإرسالها إلى المماليك ، لعلهم يفكرون في الانتقام من قبرس وملكها . بل يقرر ماشو — وهو معاصر — أن بعض تلك المساعدات وصل القاهرة فعلا<sup>(٥)</sup> ، رغم أن السكتب العربية المعاصرة ليس فيها ما يؤيد هذه الرواية . على أن موضع الأهمية هنا أن الملك بطرس اتخذ من تلك الإشاعات علة لمهاجمة الشواطئ التركية ، فأمر مونسترى قائد الأسطول القبرسي بالتوجه بالسفن التي جهزت قبلا لمهاجمة بيروت للإغارة بها على شواطئ آسيا الصغرى والقضاء على ما عسى أن أعده الأتراك لمعاونة المماليك<sup>(٦)</sup> .

(١) أنظر ما سبق ص ٥٧ — ٥٨ .

(٢) Mas Latrie ; p. 278.

(٣) Ibid.

(٤) أنظر ما سبق ص ٦٩ — ٧٢ .

(٥) Machaut, p. 120.

(٦) Makhias, Vol. I, pp. 159—161.

وذهب مونسترى إلى شواطئ بنى قرمان على مقربة من العلايا فانقض على بعض السفن التركية وقتل عددا كبيرا من بحارتها بعد أن أشعل فيها النار (أبريل - مايو سنة ١٣٦٦) . وأثار ذلك النجاح روح الحماسة بين الجنود القبارسة ، فرأى مونسترى أن يستغل تلك الروح فى مهاجمة العلايا نفسها أملا فى الإستيلاء عليها ، ولكنه لم يستطع ذلك لمناعة المدينة وقوة تحصينها<sup>(١)</sup> ؛ فاكتمى بنهب الضياع والقرى المحيطة بها كما استولى على السفن التركية الراسية فى مينائها وساقها إلى أنطاليا ومنها إلى فاماجوستا<sup>(٢)</sup> .

وبينا المفاوضات دائرة فى قبرس بين الملك بطرس والمماليك لعقد الصلح سنة ١٣٦٧ ، تسلم الملك رسالة من قائد حامية جورهييجوس تخبر بأن قوات الأتراك بقيادة علاء الدين خليل بن قرمان<sup>(٣)</sup> ، ضربت الحصار على القلعة بتحريض من سلطان مصر<sup>(٤)</sup> ، فاستدعى بطرس رسل المماليك وقرأ عليهم الرسالة وبين لهم غدر سلطانهم . ولكن الرسل نفوا باتا مانسب إلى سلطانهم من تحريض بنى قرمان على مهاجمة جورهييجوس<sup>(٥)</sup> . ولم يستطع بطرس فى الواقع أن يجد الدليل القاطع الذى يثبت أن مهاجمة جورهييجوس جاءت بتحريض السلطان ، غير أن الأمر لم يكن بعيد الاحتمال ، إذ المعروف أن علاقة بنى قرمان بالمماليك قامت على أسس من المودة والمنفعة المشتركة ، ومصادق ذلك قول العمري عند كلامه عن بنى قرمان « إن أهل هذه المملكة على موالاته سلطان مصر ويميلون إليه فى جهاد الأرمن »<sup>(٦)</sup> . ولا يستبعد أن يكون اختيار ذلك الوقت بالذات للهجوم على تلك القلعة الأرمنية مناوره قصد بها سلطان المماليك أن يذعن الملك بطرس

(1) Machaut ; op. cit p. 121.

(2) Idem ; p. 122.

(3) Zambaur ; p. 158.

(4) Makhiaras, Vol. I, p. 175.

(5) Ibid.

# الشمل ايجنوني لآسيا الصغرى

اندروس

ناكسوس بادوس

المستوسط

سينا كاندا سودا كافي

رومي

سكاريستق نوستامو

الابيض

البحر

فيليكيا انطاليا

موضفيا

مان

انفوس

كيرسا

لاماسون مافوس

فاماچون

طرابلس

بيروت

اللازيفه

نقل

كندار

ارمن

جورجيون

فيسوس



— أمام ذلك الخطر المفاجئ — لشروط الصلح التي يعرضها المماليك<sup>(١)</sup>. ثم إن المماليك كانوا يفاوضون ملك قبرص، ويستعدون لغزو جزيرته والانتقام منه في آن واحد، حتى أنهم وزعوا النفقات على المقاتلين فعلا<sup>(٢)</sup>، فليس من المستبعد أنهم حرصوا علاء الدين خليل على مهاجمة جورهيغوس ليذهب بطرس بنفسه لتخليصها، فيخلو الجو أمام المماليك<sup>(٣)</sup>.

وكيفما كان الأمر، فإن بطرس ظل في نيقوسيا يشرف على سير المفاوضات مع مندوبي المماليك، على حين أمر بإعداد عشر سفن حربية لنجدة جورهيغوس<sup>(٤)</sup>. وغادرت تلك السفن الجزيرة في ٢٦ فبراير سنة ١٣٦٧ تحمل ثلثمائة من الرماة وخمسمائة من الفرسان بينهم عدد كبير من الفرسان الفرنسيين البارزين<sup>(٥)</sup>، عدا كميات كبيرة من المؤن والأموال، مما جعل ماشو يفيض في وصف تلك الحملة وسفنها ورجالها<sup>(٦)</sup>. أما علاء الدين خليل فاحتل موقعا حصينا مشرفا على القلعة قبل أن تصل الحملة القبرسية إلى الميناء ومن ذلك الموقع أخذ يقذف القلعة بالجنايق قذفا متواصلا<sup>(٧)</sup>. على أن ذلك لم يفت في عضد القبارسة فخرجوا بعد عدة أيام من وصولهم للقاء العدو<sup>(٨)</sup>، واستمرت المعركة بين الطرفين فترات متقطعة نحو من أسبوع آخره ٨ مارس سنة ١٣٦٧ عندما هزم الأتراك بعد أن قتل منهم عدد كبير، عدا الأسرى<sup>(٩)</sup>، وجرح علاء الدين نفسه في عدة مواضع<sup>(١٠)</sup>. ولما سمع

(1) Mas Latrie ; p. 284.

(٢) العيني : عقد الجمان - ٢٤ ق ١ ص ١٣٩ ، أبو المحاسن - ٥ ص ١٩٥ —

انظر ما سبق ص ٨٧ .

(3) Mas Latrie ; p. 284.

(4) Makhias ; Vol. I, p. 175.

(5) Mas Latrie ; p. 285.

(6) Machaut ; pp. 135—171.

(7) Idem ; p. 160.

(8) Makhias, Vol. 1, p. 177.

(9) Machaut, pp. 161—169.

(10) Makhias, Vol. I, p. 177.



علاء الدين أن مفاوضات الصلح دائمة بين المالك والقبارة ، أرسل إلى بطرس رسولاً يطلب الصلح والأمان ، وانتهى الأمر بمقد معاهدة بين الطرفين سنة ١٣٦٧ ؛ ولم يحاول بعدها بنو قرمان إزعاج القبارة في جزيرتهم أو في أملاكهم على شاطئ آسيا الصغرى طوال حكم الملك بطرس<sup>(١)</sup> .

أما أنطاليا فيبدو أن المشاغل الكثيرة التي حاطت الملك بطرس جعلته يتأخر على حاميتها في إرسال الرواتب والمؤن . ولم يلبث أن أدى ذلك إلى ثورة بزعامة أحد رجال الحامية واسمه بطرس كاتل الذي أخذ مفاتيح القلعة وهدد بتسليمها إلى الأتراك إذا لم تصل الرواتب المتأخرة والمؤن الكافية فوراً<sup>(٢)</sup> ، وأسرع قائد الحامية بتطير نبأ الثورة إلى الملك بطرس فجاء إليها بنفسه على رأس ثلاثين سفينة ( مايو ١٣٦٧ ) ، ولم يغادرها إلى رودس إلا بعد أن أخذ الثورة وقتل زعيم الثوار ، ثم ذهب بطرس إلى أنطاليا مرة أخرى وبعث سفناً مونسرية إلى تكا يدعوه لمقابلته هناك<sup>(٣)</sup> ، ووثق تكا في رسول الملك فحضر إلى أنطاليا ومعه الهدايا الفاخرة ، وقدم فروض الطاعة والتبعية للملك بطرس كذلك حضر كثير من أمراء الجهات المجاورة من الأتراك وأعلنوا ولائهم<sup>(٤)</sup> .

غير أن الملك بطرس لم يكتف بتلك الوعود ، بل أراد أن يبذر بذور الشقاق بين أولئك الأمراء ، حتى يلهيهم النزاع فيما بينهم عن التفكير في قبرس وامتلاكاتها الآسيوية<sup>(٥)</sup> . ويبدو أن بطرس قام بهذه المحاولة لمنع اجتماع الأمراء الأتراك من الإغارة على قبرس وأملاكها أثناء غيبته في رحلته التي عقد النية على القيام بها ثانية إلى أوروبا . وبما يدل على خوف بطرس من تلك الناحية أنه قطع للمفاوضات مع السلطان المملوكي وأغار بأسطوله على طرابلس وغيرها من البلاد والموانئ

(1) Mas Latrie ; p. 297 .

(2) Makhiaras ; Vol. I, p. 181.

(3) Idem ; p. 189.

(4) Ibid.

(5) Mas Latrie ; p. 300.

الملوكية على طول سواحل الشام وأرمينيا الصغرى ، أملا في إلقاء الرعب في قلوب الأمراء الأتراك ، ولكنه منى بالفشل في أغلب تلك العمليات الحربية ولا سيما عند إياس في سبتمبر سنة ١٣٦٧ ، مما أدى إلى عكس ماتوخاه بطرس<sup>(١)</sup>. ذلك أن أمير العالاي علم بما أصاب ملك قبرس من فشل عتل إياس ، فجمع خمس سفن أرسلها للإغارة على أطراف قبرس ، فهبت كثيرا من الضياع وأسرت عددا كبيرا من القبارسة وعادت سالمة<sup>(٢)</sup>.

ثم سافر بطرس إلى غرب أوروبا ربيع سنة ١٣٦٨ لطلب المساعدة من البابا أربان الخامس (١٣٦٢ — ١٣٧٠) للقيام بحملة صليبية جديدة . لسكن الجمهوريات الإيطالية ذات التجارة الواسعة مع المسلمين نجحت في استئالة البابا إلى صفها مما خيب آمال بطرس<sup>(٣)</sup>. وفي تلك الأثناء غدا موقف أرمينيا الصغرى حرجا بسبب حركات الممالك والمفول على أطرافها الشرقية والجنوبية ، وذلك على الرغم من انقطاع أعمال ابن قرمان ضدها . ورأى الأرمن وقتذاك أن يستعصوا عن ملكهم ليون الخامس بطرس لوزجنان ، فأعلنوه ملكا عليهم سنة ١٣٦٨ ، وأرسلوا إليه وهو بروما يخبرونه بذلك فترك روما مسرعا إلى البندقية ومنها ركب البحر إلى قبرس مزودا بالآمال في إنقاذ أرمينيا<sup>(٤)</sup>. ولكن لم يكد يصل إلى قبرس حتى انهارت آماله ، إذ وقف فرسانه في وجهه وأخذوا يحيطون المؤامرات ضده حتى انتهى الأمر بقتله في يناير سنة ١٣٦٩<sup>(٥)</sup>.

وعند ما علم تكا بمقتل ملك قبرس وماتلا ذلك من انتشار القوضى في الجزيرة أخذ يحدد محاولاته لاسترداد أنطاكيا<sup>(٦)</sup>. ولجأ تكا إلى الحيلة تلك المرة ، فأرسل

(١) انظر ما سبق ص ٧٧ — ٧٨ .

(٢) النورى : الإلام بالإعلام ج ٢ ص ٦٣ ب .

(3) Machaut ; op. cit. p. 221.

(4) Mardiros de Crimée : (Rec. Hist. Cr. Doc. Arm. Tome I p. 683).

(5) Makhias, Vol. I, p. 273.

(6) Idem ; p. 303.

بعض أتباعه متسكرين إلى المدينة سنة ١٣٧٠ لتنفيذ المؤامرة وأشمل أولئك الأتباع النار داخل المدينة وفق التعليمات التي زودوا بها ، على حين قام تكابشن هجوم خاطف عليها . لكن الحامية القبرسية تنهت في الوقت المناسب فقاومت الهجوم مقاومة عنيفة حتى ارتد الأتراك على أعقابهم بعد أن تكبدوا خسارة جسيمة<sup>(١)</sup> . ثم أرسل الوصي على ملك قبرس بضع سفن إلى شواطئ آسيا الصغرى لمعاقبة تكا مرة أخرى ، فأغارت على شواطئ الأتراك ونهبت أنغورى<sup>(٢)</sup> . ( ١٣٧١ - ١٣٧٢ ) .

على أنه حدث عندما صار بطرس الثانى ملكا على قبرس سنة ١٣٧٢ ، أن أعلن ميله إلى البنادقة دون الجنوبية بالجزيرة ، وسرعان ماشب النزاع بين الجنوبية والبنادقة حتى أعلنت جنوا الحرب على قبرس وأرسلت حملة لغزوها<sup>(٣)</sup> . وأحس الملك بطرس الثانى أثناء الحرب بين القبارسة والجنوية بصعوبة الاحتفاظ بأنطاليا ، وخشى أن ترسل جنوه سفنها لتستولى عليها وتتخذ منها قاعدة لطن قبرس بين حين وآخر<sup>(٤)</sup> . هذا إلى أن حامية أنطاليا نفسها غدت محرومة من المؤن والإمدادات القبرسية لانقطاع المواصلات بينها وبين الجزيرة بسبب ترصد الجنوبية فى البحر ، وذلك فضلا عن حاجة الملك إلى رجال تلك الحامية للدفاع عن الجزيرة<sup>(٥)</sup> . ولهذا الاعتبار عقد بطرس الثانى مجلسا من كبار فرسانه ، فقرر فيه إعادة أنطاليا إلى الأتراك خير من وقوعها فى يد الجنوبية<sup>(٦)</sup> ، وذهب رسولان من القبارسة إلى تكا يعرضان عليه أخذ أنطاليا بشرط أن يظل على ولائه الملك قبرس ويدفع له الجزيرة ويتعهد بالقيام بكل التزام آخر فى

(١) Ibid. .

(٢) Idem ; p. 305.

(٣) انظر ما سبق ص ٨٢ — ٨٣ .

(٤) Makhiaras ; Vol. I, p. 345.

(٥) Ibid.

(٦) Ibid.

المستقبل<sup>(١)</sup>. وكان من الطبيعي أن يقابل تكا ذلك المرض بمنتهى الغبطة فغمر الرسولين بالهدايا ، وفي ١٤ مايو سنة ١٣٧٣ نصب تكا مصكره أمام أنطايا وأقسم بين الولاء والتبعية للملك قبرس ، ثم غادر القبارسة المدينة مزودين بالهدايا الثمينة<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فقد القبارسة مدينة أنطايا وهي الحصن المنيع والموقع التجارى الفريد. وكان فى استطاعة بطرس الثانى بدلا من تسليمها للأتراك أن يلقيها للجنوبه فيحول أنظارهم عن فاما جوستا ، لاسيا وأن أنطايا لم تقل عن فاما جوستا فى الميزات الطبيعية والتجارية<sup>(٣)</sup>. ثم إن تسليم أنطايا للأتراك على تلك الصورة كان — على قول مخياراس — عارا كبيرا للحق بالمسيحية<sup>(٤)</sup>. فنذا اثنى عشر عاما جاهد الملك بطرس الأول فى سبيل الاستيلاء عليها ، حتى إذا تم له ذلك قال عبارته الشهيرة وهى أنه استولى على أنطايا لتبقى فى أيدي المسيحيين إلى الأبد ؛ ولكن لم تمض على موته مدة طويلة حتى عادت أنطايا إلى الأتراك لتبقى فى أيديهم إلى الأبد . ولعل السبب فى ذلك هو أن تلك الإثنى عشر عاما غيرت من أحوال قبرس تغييرا عظيما ، فأصبح لها فى كل ثغر من الثغور الإسلامية المحيطة بها عدو جائم متربص ، وذلك فضلا عن أن الجمهوريات الإيطالية لاسيا جنوا أخذت تحسد قبرس على موقعها التجارى وتنظر إليها بعين الجشع والطمع .

ثم إن تكا لم يحافظ على تعهداته طويلا ولم يواظب على دفع الجزية السنوية المتفق عليها ، هذا فى الوقت الذى يرجح أن أمراء سيكى وأنامور وبلاتشيا كفوا كذلك عن دفع الجزية لمملكة قبرس بعد أن ظهر ضعفها للعيان<sup>(٥)</sup> . وبذلك

(1) Ibid.

(2) Idem ; p. 347.

(3) Mâs Latrie ; p. 309.

(4) Makhiaras ; Vol. I, p. 347.

(5) Mas Latrie ; p. 311.

يكون نفوذ قبرس قد تقلص في أواخر أيام بطرس الثاني (١٣٦٩ - ١٣٨٢) بحيث لم يبق للقبارصة في آسيا الصغرى سوى قلعة جورهيوجوس . وإذا استطاع آل لوزجنان أن يحتفظوا بتلك القلعة مدة طويلة حتى سنة ١٤٤٨<sup>(١)</sup> ، فالفضل في ذلك لا يرجع إليهم شخصيا بقدر ما يرجع إلى الظروف التي ألهمت آل قرمان عن أرمينيا الصغرى وعنهم . ذلك أن آل عثمان أخذوا في الظهور على سائر الإمارات التركية بآسيا الصغرى منذ سنة ١٣٢٦ ، فتوسعوا على حساب الإمارات المجاورة توسعا سريعا وضمو إليهم بلادها إما بالسيف أو بالمال أو بالمصاهرة<sup>(٢)</sup> . وظل آل عثمان على تلك الحال حتى صاروا قاب قوسين أو أدنى بكثير من آل قرمان وأضحى الاصطدام بينهم وآل قرمان أمرا لا مندوحة عنه . ثم كان أن غزا السلطان بايزيد الثاني إمارة قرمان (أرمناك)<sup>(٣)</sup> سنة ١٣٩١ حتى وصل عاصمتها قونية . وعلى الرغم من الصلح الذي عقده بايزيد مع علاء الدين القرمانى تلك السنة ، فإنه عاد في العام التالي وغزا أرمناك من جديد ، وحطم في هذه المرة قوة علاء الدين في اكتشاي ودخل قونية وبذا أصبح بنو عثمان القوة الكبرى في آسيا الصغرى<sup>(٤)</sup> .

وكان أشد ما يخشاه العثمانيون خلال الصراع بين بنى قرمان وبنى عثمان هو أن يتحالف بنو قرمان مع القبارصة ضدهم . ولذلك حرصوا على أن تكون علاقاتهم طيبة مع ملك قبرس ، وأرسلوا الرسل إلى بطرس الثاني لوزجنان لتأكيد حسن الجوار<sup>(٥)</sup> . واستمرت العلاقات الطيبة بين قبرس وبنى عثمان ، فنبذت

(١) Machaut ; p. 284.

(٢) Gibbons ; pp. 54-179

(٣) أرمناك هو الاسم الذي يطلق إمارة بنى قرمان ( انظر العمري > ٢ ق ٢  
س ٣٤٨).

(٤) Gibbons ; pp. 187-190.

(٥) Mas Latrie ; op. cit p. 318.

المكاتبات الودية بين الفريقين ، حتى أن المسيحيين عقب كارثة نيقوبوليس الشهيرة سنة ١٣٩٦ لم يجدوا أفضل من ملك قبرس ليوسطوه لدى السلطان بايزيد لفداء الأسرى ، فقبل جاك ملك قبرس ( ١٣٨٢ - ١٣٩٨ ) الوساطة وأرسل هدية إلى بايزيد قيمتها عشرون ألف دوكات ، وهي عبارة عن نموذج سفينة من الذهب الخالص .<sup>(١)</sup>

ثم كان أن اجتاحت تيمورلنك آسيا الصغرى أوائل القرن الخامس عشر الميلادي فهزم بايزيد العثماني وأسر سنة ١٤٠٢ م . وبذلك يكون تيمورلنك قد هدم في عام واحد ما بناه بنو عثمان في أعوام طويلة ، فأعاد أمراء تكا وأرمناك ومنتشا وصاروخان وقصطنوني وغيرها إلى بلادهم<sup>(٢)</sup> . على أن تيمورلنك له أهمية أخرى هنا ، وهي أنه استولى في ديسمبر سنة ١٤٠٢ على أزمير التي ظلت في أيدي الإسماعيلية حتى تلك السنة ، ومن ثم عادت أزمير عن طريق المغول إلى المسلمين .<sup>(٣)</sup> ولاشك في أن المسيحيين خسروا خسارة كبرى لضياح أزمير لأنها لم تكن موقعا حريا فحسب وإنما ظلت طوال القرن الرابع عشر الميلادي مركزا تجاريا يؤمه كثير من التجار الأوربيين والاعريق والقبارسه .<sup>(٤)</sup>

أما أمراء أرمناك ( قرمان ) فلم يحاولوا إزعاج قبرس أو الاعتداء عليها مطلقا عقب إسترداد بلادهم على يد تيمورلنك . وتوجد كثير من الشواهد التي تدل على حسن العلاقات بين بني قرمان وملوك قبرس خلال القرن الخامس عشر . ففي سنة ١٤١٥ تحطمت مركب ناصر الدين القرمانى على مقربة من شواطئ قبرس ، فأسر الملك جانوس نوزجنان بمركب جديد وأوصله إلى بلاده بعد أن أهدى

(1) Atiya ; p. 459.

(2) Hammer, T. II; p. 110 -- 114

(3) Gibbons, op. cit. p. 259

(4) Mas Latrie ; p. 326

إليه هدايا فاخرة<sup>(١)</sup>. وفي سنة ١٤٢١ م محمد بك بن قرمان بمجزيرة قبرس فأرسل إليه جانوس هدايا ورحب به<sup>(٢)</sup>. ويرجع بعض السبب في تلك العلاقات الطيبة بين ملوك قبرس وبنى قرمان إلى أن الأمور لم تكن على ما يرام بين بنى قرمان وسلاطين المماليك في القاهرة بسبب الخلاف بين الفريقين حول إقتسام بعض الأسلاب الأرمنية<sup>(٣)</sup>. ولذا وقف بنو قرمان إلى جانب الملك جانوس سنة ١٤٢٦ حين غزا المماليك الجزيرة غزوتهم الثالثة، اذ صادف المماليك موقعه خير وكيता عددا كبيرا من التركان الوافدين من عند على بك قرمان<sup>(٤)</sup>.

أما العلاقات بين قبرس وسائر الأمراء الأتراك في القرن الخامس عشر فيبدو أنها لم تكن على ما يرام إذ وقف أمير العالبا مثلا موقفًا عدائيًا من ملك قبرس، وأخذ يرسل الرسل إلى السلطان برسباى بالقاهرة يهون عليه فتح الجزيرة<sup>(٥)</sup>. وكان الدافع لأمير العالبا على ذلك الموقف هو أن الخطر الأكبر الذى يهدده لم يأت من ناحية ملوك قبرس فحسب، بل من ناحية حلفاء أولئك الملوك وهم بنو قرمان في القرن الخامس عشر<sup>(٦)</sup>.

وعندما ولى حنا الثانى لوزجنان عرش قبرس سنة ١٤٣٢، أرسل إلى ابراهيم بك قرمان رسولا لتأكيد السلام بين الطرفين ومعه هدايا من العبيد والفاش والكر والأسلحة، فتقبلها السلطان القرماني وأكد للقبارسه رغبته في السلام. كذلك أرسل حنا الثانى بمئة مشاهة إلى بنى عثمان<sup>(٧)</sup>. وهكذا أصبح

---

(1) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus ; Part 2 p. 45.

(٢) العيني : عقد الجمان > ٢٥ ق ٣ م ٥١٥ .

(3) Mas Latrie ; p. 329.

(٤) القريرى : السلوك > ٤ م ٣٧٤ ب ، أبو المحاسن > ٦ م ٦٠٧ .

(5) Makhia as ; Vol. I, p. 653.

(6) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus ; Part I, pp. 99-100

(7) Mas Latrie ; pp. 330-331.

آل لوزجنان بقبرس ولاهم لهم إلا إرضاء المسلمين ، المالك و بنى عثمان من جهة  
وسائر أسراء آسيا الصغرى من جهة أخرى مما جعل سياستهم العامة تتخذ طابعا  
سائما للمحافظة على سلامه جزيرتهم وتجارة رعاياهم . غير أن أمير العلابا ظل على  
موقفه العدائى من قبرس ، بل إنه فكر فى غزو الجزيرة نفسها سنة ١٤٤٤ ، ولم  
يعدل عن رأيه إلا بعد أن تأكد من وصول نجيدات رودسية قوية إلى قبرس  
فخشي أن يثير عمله جماعة الاستبارية وهم فى زهوم بعد النصر على أسطول الممالك  
سنة ١٤٤٠<sup>(١)</sup> .

ثم أخذ جو العلاقات بين ملوك قبرس و بنى قرمان يتلبد بالغيوم بعد طول  
صفاء . ذلك أن ضعف الجزيرة وما آل إليه أمرها من انحلال أثار طمع إبراهيم بك  
قرمان فى الإستيلاء على جورهييجوس ، فهدد باحتلالها سنة ١٤٤٨ إذا لم يدفع له  
ملك قبرس جزية سنوية كبيرة<sup>(٢)</sup> . ولكى يؤكد إبراهيم عزمه ، بنى حصنا  
فى ستلامورى بالقرب من جورهييجوس وأعد قواته البرية والبحرية للقتال .  
ولم تفلح وساطة رئيس الاستبارية تلك المرة فافتحم إبراهيم بك القلعة بمساعدة  
المالك فى منتصف نوفمبر سنة ١٤٤٨ وتم له الإستيلاء عليها فى سهولة<sup>(٣)</sup> . وبذلك  
فقد القبارسة آخر حصن لهم على ساحل آسيا الصغرى ، وهو الحصن الذى ظل  
فى أيديهم أكثر من ثمانين سنة . وكان ضياع جورهييجوس خسارة كبرى لحقت  
بقبرس لأن أهمية ذلك الموقع لم تقتصر على تيسير التجارة مع القارة الآسيوية  
فحسب ، بل كانت أيضا بمثابة خط دفاع يحمى قبرس من هجوم بنى قرمان  
وغيرهم من الأتراك<sup>(٤)</sup> . والدليل على ذلك عودة أمير العلابا إلى تهديد قبرس نفسها  
سنة ١٤٥٠ فجمع قواته وأعدّها على الشاطئ الآسيوى فى مواجهة الجزيرة .

(1) Mas Latrie ; pp. 332-333.

(2) Ziada ; The Mamluk Conquest of Cyprus, Part 2, p. 45.

(3) Idem ; p. 46.

(4) Machaut ; op. cit. pp. 283-284.



ولكن رئيس الإستبارة أرسل بعض السفن الرودية لحماية قبرس ، كما أئذّر أمير العالاي بأن الإستبارة جميعاً يعتبرون أى اعتداء يوجه إلى قبرس كأنه موجه إليهم شخصياً<sup>(١)</sup>. ونجحت تلك الحركة في حمل أمير العالاي على العدول عن رأيه، وانتهى الأمر بمقد معاهدة بين أمير العالاي وحنا الثانى ملك قبرس فى ٧ سبتمبر سنة ١٤٥٠ تعهد فيها كل من الطرفين باحترام بلاد الآخر ، وأن يقدم كل طرف أقصى مساعدة ممكنة لتجار الطرف الآخر فى بلاده<sup>(٢)</sup>.

ثم صارت قبرس سنة ١٤٨٩ تابعة للبندقية على الرغم من تبعيتها الرسمية وجزيتها السنوية إلى سلطنة الممالك . وكان استيلاء البندقية على قبرس تلك السنة<sup>(٣)</sup> لغرض خاص هو استغلال موقع الجزيرة الإستراتيجى للوقوف فى وجه العثمانيين الذين أضحي نفوذهم فى إزدياد مخيف يدعو إلى القلق .

ولذلك فإن حكم البنادقة لقبرس — وهو الحكم الذى استمر اثنتين وثمانين سنة (١٤٨٩ — ١٥٧١) — لم يكن فى الواقع أكثر من احتلال عسكرى<sup>(٤)</sup>، مما جعل البنادقة يهملون مرافق الجزيرة المختلفة فاضمحلت تجارتها ونضبت ثروتها وقل سكانها . وهذا كله فى الوقت الذى أصبح العثمانيون أصحاب الكلمة فى الشرق الأدنى بعد أن تم لهم فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وبسطوا سيطرتهم على آسيا الصغرى . وفى ١٥١٧ فتح السلطان سليم الأول العثمانى الشام ومصر وبذلك اقتربت ساعة قبرس بعد أن أصبحت وسط محيط عثمانى ، وأضحى امتلاك العثمانيين لها أمراً ضرورياً لتأمين التجارة والمواصلات البحرية العثمانية مع مصر والشام فضلاً عن ضمان سلامة الحجاج فى طريقهم من شواطئ آسيا الصغرى إلى الحجاز<sup>(٥)</sup>.

(١) Mas Latrie ; p. 336.

(٢) Idem ; pp. 336—337.

(٣) انظر ما سبق ص ١٢٦ .

(٤) Luke : The Place of Cyprus in History ( Great Britain and the East, p. 4 ).

(٥) Galepio ( in Cobham : Excerpta Cyprica ; p. 125 )

وهم السلطان سليمان القانوني بغزو قبرس سنة ١٥٦٣، عندما أزعجه استخدام القراصنة المالطيين لموانئ قبرس وتهديدهم للسفن والمتاجر العثمانية وقطعهم الطريق على رعايا السلطان وهم في طريقهم لإدلاء فريضة الحج . وظل السلطان سليمان حتى وفاته يجمع السفن ويحشد الرجال والعتاد على الشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى تمهيداً لغزو قبرس<sup>(١)</sup>. ثم صار سليم الثاني سلطان العثمانيين سنة ١٥٦٦ فعمل على تحقيق فكرة أبيه . ومنذ العام الأول لحكم سليم وضحت النيات العثمانية جلياً بصدد قبرس وأخذت مخاوف السفير البندقي بالقسطنطينية تزداد يوماً بعد يوم<sup>(٢)</sup>. والواقع إن السلطان سليم الثاني بدأ بتصفية موقفه العام حتى يتفرغ لحرب قبرس ، فمقد صلحاً في ١٧ فبراير سنة ١٥٦٨ لمدة ثمان سنوات مع الإمبراطور مكسميليان الثاني Maximilian II وبذا وضع حداً للحرب مع المجر كما أخذ ثورة في جزيرة العرب<sup>(٣)</sup>. وكان معظم المحيطين بالسلطان يؤيدون مشروع غزو قبرس لاسبيا صديقة اليهودى يوسف ناسى J. Nassy وقائد قواته البرية مصطفى باشا وأمير الأسطول بيالى باشا Piale<sup>(٤)</sup>. أما الصدر الأعظم محمد صوقلى فلم يتحمس للمشروع لصداقته للبندقية من جهة<sup>(٥)</sup>، ولأنه رأى أن الوقت حان لتوجيه جهود السلطنة ضد أسبانيا وإقناذ البقايا الإسلامية بها من نير فيلب الثاني من جهة أخرى<sup>(٦)</sup>. وللمرة الأولى - وربما الأخيرة - لم يعأ سليم الثاني برأى وزيره محمد صوقلى ، ورضى الوزير برأى السلطان<sup>(٧)</sup>. ويتهم أحد الكتاب المعاصرين الصدر الأعظم بأنه أخذ رشوة من البندقية نظير معارضة المشروع ، فلما انقطع عنه « البقشيش » انقلب مؤيداً لفكرة غزو قبرس<sup>(٨)</sup>

(1) Hill : A History of Cyprus, Vol. 3 pp. 878-879.

(2) Hammer : Histoire de l'Empire Ottoman Vol. 6, p. 385

(3) Hill ; Vol. 3, p. 880.

(4) Hammer, Vol. 6. p. 386.

(5) Calepio (in Cobham, Excerpta Cypria ; p. 125).

(6) Cambridge Modern History, Vol. 3, p. 132.

(7) Eversley ; p. 139 & Creasy, p. 217.

(8) Calepio (in Cobham : Excerpta Cypria ; p. 126).

والواقع أن هناك سببين شجعا السلطان سليم الثانى على غزو قبرس فى سرعة ، أولهما الحريق الهائل الذى شب فى مخازن المهمات الحربية بالبندقية فى سبتمبر سنة ١٥٦٩ وما صحبه من أنباء كاذبة عن أن الأسطول البندقى كله إلهته النيران مع أن الخسارة الحقيقية لم تتعد أربع سفن . والسبب الثانى هو إدراك سليم لحقيقة الوضع فى أوربا وتأكده من أن الدول المسيحية كلها مشغولة بمتاعبها الخاصة وأنها لن تقدم معونة ما إلى البندقية فى حالة اعتدائه على قبرس . ويتضح ذلك من تصريح سليم لبعض البنادقة بالقسطنطينية إذ قال لهم « نحن نعرف جيداً أنكم لا تستطيعون الاعتماد على ملوك المسيحية »<sup>(١)</sup> .

ولما كانت البندقية فى حالة سلم مع السلطان ، لأنها — كما دتها — عقدت مع سليم الثانى سنة اعتلائه العرش معاهدة عدم اعتداء<sup>(٢)</sup> ، فإن سليم الثانى استصدر فتوى من المفتى أبى السعود يجوز نقض المعاهدة مع البندقية ، وجاء فى تلك الفتوى أنه لما كانت قبرس فى وقت ما تابعه للمسلمين الأوائل ، ثم فتحها ممالك مصر بمجد السيف ، فإنه يجب استردادها من المسيحيين لاسيما وأن بقاءها فى أيديهم يعرض حجاج المسلمين ومتاجرهم للخطر<sup>(٣)</sup> .

وكانت أخبار استعدادات سليم تصل تباعاً إلى البندقية وهى فى شغل عن ذلك بالحريق الذى شب فى مستودع المهمات الحربية ليلة ١٤ سبتمبر سنة ١٥٦٩ وبالجماعة العظيمة التى عمت إيطاليا كلها تلك السنة<sup>(٤)</sup> . على أنه عندما تأكدت الجمهورية من نوايا سليم تجاه قبرس ، أمرت مندوبيها فى الجزيرة بالإستعداد لمواجهة الخطر فى أية لحظة<sup>(٥)</sup> . وفى فبراير سنة ١٥٧٠ أرسل السلطان

(1) Cambridge Modern History ; Vol 3, pp. 132—133.

(2) Hill ; Vol 3, p. 882.

(3) Hammer ; Vol. 6, pp. 387—388.

(4) Hill, Vol. 3, p. 883.

(5) Idem ; p. 880.

رسولا لإسمه قباد Kubad إلى البندقية ليمطى الجمهورية إنذاراً نهائياً بضرورة التنازل عن قبرس للسلطان أو الحرب<sup>(١)</sup>. ولم ينتظر السلطان عودة قباد بل أنه حتى قبل إرساله إلى البندقية ألقى القبض على كل التجار البنادقة بالقسطنطينية كما حجز السفن البندقية الراسية في الموانئ العثمانية<sup>(٢)</sup>. ثم تلا ذلك تعيين قادة الحملة على قبرس فعين مصطفى باشا قائداً للقوات البرية وبيالى باشا أميراً للأسطول على أن يعاونهما عدد كبير من القادة منهم درويش باشا سنجق حلب واسكندر باشا والى الأناضول وپهرام باشا والى قرمانيا وغيرهم<sup>(٣)</sup>. وبعد أن تمت بقية الاستعدادات أبحر الأسطول العثماني على ثلاث دفعات في ثلاثة أشهر متتالية (مارس وإبريل ومايو سنة ١٥٧٠) وتم اجتماعها كلها في رودس أول يونيو من تلك السنة<sup>(٤)</sup>.

أما البندقية فرفضت الإذعان للإنذار العثماني اعتماداً على أن القوى المسيحية المختلفة ستساعدنها في نضالها ضد المسلمين. ولذا جاء الرد على قباد « بأن الجمهورية مصممة على الدفاع عن حقها الشرعي في قبرس »<sup>(٥)</sup>. ولما كان الاحتفاظ بجزيرة قبرس والدفاع عنها يتطلب سيطرة بحرية تامة ، فإن البندقية أدركت من أول الأمر ضرورة الإعتماد على مساعدة القوى المسيحية المختلفة ، لاسيا وأن قبرس شديدة القرب من شواطئ آسيا الصغرى وسوريا ، بعيدة نسبياً عن البندقية<sup>(٦)</sup>. ولذا أخذت الدبلوماسية البندقية تلعب دورها في روما ومدريد وغيرها من العواصم الأوروبية لعمل حلف مسيحي ضد العثمانيين. ولكن على الرغم من حماسة البابا بيوس الخامس لمشروع حملة صليبية كبيرة ضدهم ، إلا أن الدبلوماسية

---

(1) Calepio (in *Excerpta Cyprica*, p. 126).

(2) Ibid.

(3) Hammer ; Vol. 6, p. 398.

(4) Hill ; Vol. 3, p. 893.

(5) Cambridge Modern History, Vol. 3, p. 133.

(6) Oman: A History of the Art of War in the Sixteenth Century; p. 723.

البندقية لم تصادف نجاحاً كبيراً لدى الدول المسيحية التي تنتظر مساهمتها في مثل ذلك المشروع ، وذلك لاستياء تلك الدول من الملك الأناني الذي سلكته البندقية منذ انسحابها من الحلف المسيحي ضد السلطان سليمان سنة ١٥٤٠ ، إذ عكفت على تجارتها وتركت بقية العالم المسيحي يتلقى ضربات العثمانيين في البر والبحر دون أن تتقدم بأية مساعدة<sup>(١)</sup> . هذا فضلاً عن أن الأحوال الداخلية في تلك الدول الأوربية لم تساعد على اشتراكها في حملة صليبية . ففرنسا كانت — علاوة على حسن العلاقات التي تربطها بالسلطان — مشغولة بطرد الأسباب من فلاندرز ولا يمكن أن تشترك مع فيليب الثاني ملك أسبانيا في مشروع واحد . وكان إمبراطور المانيا مكسميليان الثاني ( ١٥٦٤ — ١٥٧٦ ) ضعيفاً متردداً يعتمد على أسبانيا حيناً ويتباعد عن سياستها أحياناً ، لانشغاله بأحوال بلاده الداخلية . يضاف إلى ذلك وجود خلاف بينه وبين البابا بيوس الخامس مما جعله يرفض الإستجابة للنداء البابوي ، وحذا حذوه سيجسموند ملك بولندا . أما الدويلات الإيطالية فكانت تعاني الأمرين تحت ضغط أسبانيا البحري عليها من جهة وإغارات القراصنة الأتراك على سواحلها من جهة أخرى . هذا بينما لم يكن بين فرسان مالطة والبنادقة صداقة تدعوهم إلى تلبية الدبلوماسية البندقية<sup>(٢)</sup> . وهكذا كانت الأوضاع في أوروبا لا تشجع بحال من الأحوال على نصرة البندقية . ولكن رغم كل ذلك توصلت البندقية بفضل مساعدة البابا إلى عقد تحالف ثلاثي مع أسبانيا والفاتيكان لإيقاظ قبرس . وأخذ البابا بيوس الخامس يجمع الأموال اللازمة لذلك الغرض على الرغم من اعتراض الكاردينال جرانفل على البابا قائلاً إن البندقية لا تستحق أية مساعدة لأن التاريخ دل على أنها لا تساعد الغير إلا إذا

---

(1) Idem ; p. 725.

(2) Cambridge Modern History ; Vol. 3, p. 132.

كانت لها مصلحة من وراء ذلك<sup>(١)</sup> . على أنه يبدو أن اشتراك أسبانيا في ذلك الحلف لم يعد أن يكون صفة صورية محضة ، لأن تعليقات أمير البحر دوريا Doria الأسباني من الملك فيلب الثاني أوصته بالمحافظة على سفنه والعودة بها سليمة مهما كلفه الثمن . ولذا ظل دوريا يتلكأ حتى أن السفن المتحالفة لم يتم إجتماعها إلا آخر أغسطس سنة ١٥٧٠ عند سودا Suda بجزيرة كريت<sup>(٢)</sup> .

أما الأسطول العثماني فاجتمع عند رودس أول يونيو ، وتأكد بيالي باشا أن الأساطيل المسيحية لم تجتمع بعد ، وأن البحر آمن بين رودس والشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى ، فأبحر إلى فينقه لضم الفرسان والانكشارية والمهمات الآتية برا عبر الأناضول إلى الحملة<sup>(٣)</sup> . ثم أرسل بيالي باشا ستة سفن لاستطلاع الأحوال في قبرس ، فأغارت تلك السفن على الشاطئ الشمالي للجزيرة ولكن رجالها منوا بالهزيمة وانسحبوا بعد أن تركوا عدة أسرى علم منهم القبارصة عظم القوة التي سوف تدمر الجزيرة<sup>(٤)</sup> . وفي ٢٧ يونيو اتجه الأسطول العثماني إلى قبرس وعدته ثلثمائة وخمسين سفينة تحمل نحواً من خمسمائة ألف محارب<sup>(٥)</sup> . وفي أول يوليو ظهر الأسطول العثماني في مياه بافوس الواقعة جنوب غرب قبرس ، ثم قصد الأسطول ليماسول حيث نزلت قوة نهبت المدينة كما نهبت بلدة اكروتيقي وأحرقت دير القديس نيقولا . وتوجهت السفن العثمانية بعد ذلك إلى الملاحه (لارناكا) ، وهنا كانت دهشة العثمانيين عظيمة لعدم وجود أية مقاومة فأنزلو قواتهم وعددهم إلى البر في سهوله غير منتظرة (٣ يولية)<sup>(٦)</sup> .

(1) Hill ; Vol. 3, p. 901.

(2) Idem, pp. 905, 919.

(3) Calepio (in Excerpta Cypria, p. 131).

(4) Hill ; Vol. 3, p. 894.

(5) Cambridge Modern History ; Vol. 3. p. 133.

(6) Paruta (in Cobham : Excerpta Cypria ; p. 96).

وتفسير تلك الحال أن البندقية لم يكن لها في قبرس سوى حامية مؤلفة من تسعة أو عشرة آلاف رجل بما في ذلك الفرسان . وربما صلحت تلك الحامية للدفاع عن جزيرة صغيرة مثل مالطة أو رودس ، ولكنها لا تكفي للدفاع عن جزيرة مثل قبرس طوالها مائة ميل وعرضها ستين ميلاً<sup>(١)</sup> . ولما وجد داندولو Dandolo حاكم الجزيرة البندقى أن قواته أصغر بكثير من قوات الأتراك وأنها لا تستطيع الوقوف أمامهم وجها لوجه ، عزم على تركيز دفاعه في مدينتي نيقوسيا وفاما جوستا وقرر تحاشي الالتحام مع العثمانيين في معركة مكشوفة ، مخالفاً في ذلك رأى القائد باجليون الذى رأى الخروج للعثمانيين لاحباط نزولهم من السفن إلى الشاطئ<sup>(٢)</sup> . ولذا تركزت حوادث الغزو العثمانى لقبرس في مرحلتين ، أولاها حصار نيقوسيا والثانية حصار فاما جوستا . ففى هاتين المدينتين حدثت الحكومة البندقية قواتها وتركت بقية البلاد مفتوحة أمام العدو كما تركت جميع القلاع الجبلية بلا حاميات<sup>(٣)</sup> .

ولما نزلت القوات العثمانية إلى البر ، أخذ مصطفى باشا يحصن مواقعه ويبسط سيطرته على الجهات المجاورة ، كما أرسل إنذاراً نهائياً إلى نيقوسيا يطلب التسليم في ظرف أسبوعين . أما الأسطول فذهب لاحتضار ماتبقى بشواطئ آسيا الصغرى من الانكشارية والخليل والعدد وعاد بذلك كله يوم ٢٢ يولييه<sup>(٤)</sup> . ولما تم إجتاع القوات العثمانية عقد قادة الحملة إجتماعاً لتحديد الهدف الأول ، وهنا اختلفت وجهات النظر فرأى مصطفى باشا البدء بيقوسيا بصفقتها العاصمة ورأى بيالى باشا البدء بفاما جوستا بصفقتها أكبر موانئ الجزيرة ، وبقاؤها في يد العدو

---

(1) Oman ; A History of the Art of War in the Sixteenth Century, p. 724.

(2) Calepio (Excerpta Cypria, pp. 127—128).

(3) Oman ; A History of the Art of War in the Sixteenth Century, p. 725.

(4) Paruta (Excerpta Cypria ; p. 56)

يعرض مؤخرة الجيش العثماني للخطر<sup>(١)</sup> . وأخيراً تغلب الرأي الأول فزحف الجيش بقيادة مصطفى باشا إلى نيقوسيا في ٢٣ يولية ، بينما ظل الأسطول متيقظاً خوفاً من وصول الأسطول المسيحي المنتظر . وأرسل ييالي باشا بعض سفنه إلى رودس لجمع معلومات عن الأعداء<sup>(٢)</sup> . أما مصطفى باشا فأرسل خمسمائة من فرسانه لقطع الطريق بين نيقوسيا وقاماجوستا حتى لا تصل العاصمة أية إمدادات ، ثم تابع زحفه نحو نيقوسيا في حرص شديد خشيه أن يكون خلو الطريق من الأعداء خطة مدبرة<sup>(٣)</sup> . ويبدو أن مصطفى باشا صادف ترحيباً من أهالي الجزيرة الإغريق أثناء زحفه ، إذ اعتقد أولئك الإغريق أن العثمانيين سوف يخلصونهم من جشع البنادقة ، كما حدث من أهالي قرية لفكارا Leikara الذين رحبوا بالأتراك وعاونوهم على إخضاع الجهات المجاورة ، بل إن قيس القرية الأرثوذكسي هو الذي تولى إرشادهم ، مما جعل حكومة نيقوسيا ترسل قوه دمرتها وقتلت الكثير من أهلها ليلا حتى تكون عبرة لغيرها<sup>(٤)</sup> .

وفي يوم ٢٥ يولية وصلت طلائع الجيش العثماني نيقوسيا وعسكر العثمانيون على ربوة مرتفعة جنوبي المدينة<sup>(٥)</sup> . وكانت البندقية قد حصنت نيقوسيا أخيراً وفقاً لآخر نظم التحصين الأوربية ، فشيدت في سورها إثني عشر برجاً بها مائتان وخمسون مدفعاً ، حتى أصبحت نيقوسياً تضاهي أعظم مدن القرن السادس عشر تحصيناً<sup>(٦)</sup> . واستمر حصار المدينة من ٢٢ يولية إلى ٩ سبتمبر سنة ١٥٧٠ ، والعثمانيون يضربونها ضرباً متواصلاً ويحاولون إغراء عدوهم بالخروج إليهم

---

(1) Falchetti (Idem ; p. 80).

(2) Hill, Vol. 3, p. 966.

(3) Sozomeno (Excerpta Cypria ; p. 82).

(4) Calepio ; (Idem ; p. 132).

(5) Falchetti, (Idem ; p. 80).

(6) Oman : A History of the Art of War in the Sixteenth Century, p. 724.



لمنازلتهم ولكن الحامية قنعت بالبقاء داخل أسوار المدينة<sup>(١)</sup>. وأخيراً قلق رجال الحامية على مصيرهم وطالبوا قاذتهم أن يسمحوا لهم بالخروج لدفع العثمانيين، ولكن داندولو — الذى وصفه أحد رجال الحامية بالضعف والغباء<sup>(٢)</sup> — رفض ذلك الطلب لقلة رجال الحامية، إذ لم يبق من البنادقة سوى أربعمائة مقاتل فقط فى حالة صالحة للقتال<sup>(٣)</sup>. واضطر داندولو أخيراً إلى الإذعان بقرار إخراج قوة لمنازلة الأتراك، واختار لذلك الهجوم يوم ١٥ أغسطس وقت الظهر، وهو الوقت الذى اعتاد فيه الجنود العثمانيون أن ينزعوا ملابسهم ليناموا. ولكن الهجوم انتهى بكارثة إذ قتل معظم المهاجمين وأسر باقهم، ولم يعد منهم إلى المدينة سوى شزيمة فى حالة يرثى لها<sup>(٤)</sup>. والواقع أن حامية العاصمة كانت ضعيفة ينقصها الجند المدربون والقواد الحنكون<sup>(٥)</sup>. ولم يوجد بالجزيرة كلها قائد محنك سوى باجليون الذى ظل فى فاما جوستا على زعم أن العثمانيين سوف يبدأون بها. فلما بدأ العثمانيون بالهجوم على نيقوسيا أرسل أهل العاصمة عدة صرّات فى طلب باجليون على رأس نجدة ولكن الرسل كانوا يقعون كل مرة فى أيدى الأتراك حتى يأس أهل نيقوسيا تماماً من وصول أية نجدة<sup>(٦)</sup>.

أما مصطفى باشا فأرسل إلى بيالى باشا يطلب النجدة فوصلته فى سرعة وعدتها ستة عشر ألفاً من خيرة رجال الأسطول<sup>(٧)</sup>. ووصلت تلك النجدة إلى مصطفى باشا مساء يوم ٨ سبتمبر، فشن فى اليوم التالى هجوماً نهائياً على المدينة حشد فيه كل قواته، فغارت أمامه قوى حامية نيقوسيا وانتهى الأمر بدخول

(1) Falchetti «Excerpta Cypria» ; p. 80.

(2) Paruta «Idem», p. 99.

(3) Sozomeno «Idem», p. 8.

(4) Falchetti «Idem», p. 80.

(5) Paruta «Idem», p. 97.

(6) Sozomeno «Excerpta Cypria» ; p. 84.

(7) Calepio «Idem», p. 138.

العثمانيين نيقوسيا يوم ٩ سبتمبر ، فنهبوا وذبحوا أكثر من ألفين من سكانها منهم داندولو الحاكم البندقى<sup>(١)</sup> . وفى ذلك اليوم فضلت كثيرات من نساء المدينة الانتحار وذبح أبنائهن عن الوقوع فى أيدي العثمانيين<sup>(٢)</sup> . ثم أصدر مصطفى باشا أمراً بالكف عن إطلاق النار ، وجمع الأسرى والغنائم لإرسالها إلى السلطان ، وكان من ضمن الأسرى كالييو وفالشتى وهما من مصادرنا الأساسية عن تلك الحملة<sup>(٣)</sup> . ونلا سقوط نيقوسيا تسليم كثير من مدن الجزيرة دون أية مقاومة ، فسلمت كيرينيا يوم ١٤ سبتمبر وتلتها بافوس ولما سول وغيرها ، كما حضر إلى مصطفى باشا رجال الدين والنبلاء من مختلف أنحاء الجزيرة لتقديم فروض الطاعة . وبذا لم يبق أمام العثمانيين سوى فاما جوستا<sup>(٤)</sup> .

أما الأسطول المسيحى المتحالف فإنه بعد أن تم اجتماع سفنه عند سودا بكريت فى آخر أغسطس ، عقد قاده السفن البابويه والبندقية والأسبانية اجتماعاً لبحث الموقف . وهنا ظهرت البغضاء بين أسبانيا والبندقية فظل دوريا الأسباني يماطل ويسوف وينتعل الأعذار المختلفة ، حتى اعتذر فى النهاية بأن الشتاء حان والجو أصبح لا يساعد على عمليات حربيه فى البحر وأن الأسطول التركى يفوقهم عدة وعدداً . وبناءً على ذلك انسحب دوريا فى ٥ أكتوبر وبذا انتهى مشروع الحلف الثلاثى لإنقاذ قبرس بالفشل<sup>(٥)</sup> . والواقع أنه على الرغم من خطورة الحال فى قبرس فإن الحلفاء لم يكونوا جادين فى موقفهم ، بل خشى بعضهم بعضاً أكثر مما خشوا العثمانيين . فالبنادقة خافوا إزدياد نفوذ أسبانيا فى الشرق وتجارته إذا انهزم العثمانيون . وأراد فيلب الثانى ملك أسبانيا أضعاف العثمانيين على شرط ألا نفيد البندقية من وراء ذلك<sup>(٦)</sup> . وهكذا أدى إختلاف النافع وتضارب

(1) Paruta «Idem», p. 107.

(2) Eversley ; pp. 139—140.

(3) Excerpta Cypria ; p. 122 & p. 81.

(4) Paruta «Excerpta Cypria», p. 108.

(5) Hill ; Vol. 3 ; pp. 920—936.

(6) Cambridge Modern History ; Vol. 3, p. 133.

المصالح إلى حرمان قبرس من أية مساعدة تستعين بها في أشد ساعات الحرج من تاريخها الطويل .

أما مصطفى باشا ، فبعد أن ترك في نيقوسيا حاميتها أربعة آلاف من الإنكشارية وألف من الفرسان ، زحف نحو فلما جوستا فوصلها يوم ١٦ سبتمبر . وفي اليوم نفسه وصل الأسطول العثماني كذلك فاما جوستا ورسا على مسافة ثلاثة أميال من المدينة<sup>(١)</sup> . ولم تسكد القوات العثمانية من برية وبحرية تجتمع حول فاما جوستا حتى وقعت في أسرها سفينة مسيحية أخبر رجالها بأن الأساطيل المسيحية اتحدت كلتها وأنها في طريقها إلى قبرس<sup>(٢)</sup> . وخشى بيالي باشا العاقبة لعلمه بقوة الأسطول المسيحي ، فأسرع إلى الاجتماع بمصطفى باشا لدراسة الموقف وبناءً على ذلك الاجتماع شحنت السفن العثمانية بالمقاتلين وأبحرت إلى ليماسول انتظاراً للجيء العدو<sup>(٣)</sup> . ثم لم تمض أيام حتى عادت السفن العثمانية تهلل فرحاً إذ علمت وتأكدت من تفرق المسيحيين وانسحابهم . وظل الأسطول واقفاً قرب فاما جوستا حتى السادس من أكتوبر حين توجه بيالي باشا ومعه معظم السفن إلى القسطنطينية لتسليم أسرى نيقوسيا والعودة بالامدادات اللازمة لانتهاء القتال<sup>(٤)</sup> .

وكانت فاما جوستا حصينة على الرغم من قدم حصونها بالقياس إلى نيقوسيا<sup>(٥)</sup> . أما حاميتها فتألفت من أربعة آلاف إيطالي من المشاة وثلثمائة من الفرسان ، عدا بضعة آلاف من أهل الجزيرة وكيات كبيرة من الذخيرة تفوق

---

(1) Sozomeno «Excerpta Cypria, p. 86».

(2) Calepio «Idem ; p. 144».

(3) Sozomeno «Idem ; p. 86».

(4) Ibid.

(5) Oman ; A History of the Art of War in the Sixteenth Century ; p. 725.

تلك التي كانت بنيقوسيا ولكنها على أى حال لا تكفى لحصار طويل<sup>(١)</sup>. هذا بينما تراوح عدد الجيش العثماني بين مائتى ألف ونصف مليون على قول معظم المراجع ، وهو عدد كبير لا يبرره طول حصار فاما جوستا من منتصف سبتمبر سنة ١٥٧٠ إلى أول أغسطس سنة ١٥٧١ أى مايقرب من عام<sup>(٢)</sup> . وكيفما كان الأمر فالمرءف أن العثمانيين هاجوا حصون فاما جوستا فى عنف وقوة ، كما استماتت حاميه المدينة فى الدفاع ولم تأل جيداً فى تقوية استحكاماتها وعرقلة طريق العثمانيين على الرغم من صغر عددها بالنسبة لعددهم<sup>(٣)</sup> . والواقع إن حامية فاما جوستا أبدت روحاً معنوية عالية وقوة تنظيم رائدة لم يكن لها مثيل فى نيقوسيا ، وربما كان سر ذلك هو أن أهل المدينة من نساء وشيوخ وصبية عملوا مع القناصة ورجال الدين جنباً إلى جنب فى رفع الأحجار وبناء المناريس<sup>(٤)</sup> ، وأن براجادين حاكم المدينة وباجليون قائد الجيوش ظلوا يؤكدان قرب وصول النجدة إلى فاما جوستا<sup>(٥)</sup> . على أن الوعود وحدها لم تستطع أن تقوى الروح المعنوية فى فاما جوستا إلى الأبد ، لا سيما بعد أن حاطها العثمانيون إحاطة السوار بالمعصم ، فأخذت حالتها تزداد سوءاً كلما تقدم الوقت . ثم طال الحصار وتناقضت الحامية تناقضاً سريعاً وبات الجرحى والمرضى بلا أدوية يقاسون آلام الموت البطيء ، ومن ظل سليماً أنهكه العمل المتواصل ليل نهار مع سوء التغذية ، إذ نفذ الطعام حتى أكل الناس لحوم الخمير والخبيل والبغال<sup>(٦)</sup> . أما الذخيرة فأخذت تنفذ حتى صدرت الأوامر إلى المقاتلين بعدم إطلاق النار إلا بأمر من القادة ، ولم تصدر تلك الأوامر إلا للضرورة القصوى<sup>(٧)</sup> . كل ذلك فى الوقت

---

(1) Hil , p. 996.

(2) Idem ; p. 993.

(3) Paruta «Excerpta Cypria», pp. 110—111.

(4) Calepio «Idem ; p. 145».

(5) Paruta «Idem ; p. 111».

(6) Calepio «Excerpta Cypria | . 155».

(7) Paruta «Idem ; p. 112».

الذى أخذت النجيدات تصل للعثمانيين أرسالا من سوريا والأناضول . وقدرت تلك النجيدات بأكثر من خمسين ألفاً ، وإن كان معظمهم أتى طبعاً في الفئيمة والأسلاب<sup>(١)</sup> . وفي ٢٥ مايو سنة ١٥٧١ وجد مصطفى باشا أن الحصار طال وأن حاميه فاما جوستا ما زالت ثابتة فأرسل أحد الإنكشارية إلى براجادين حاكم المدينة يطلب إليه التسليم ، ولكن براجادين رد عليه قائلاً « قل لسيدك يتم عمله ، وسند عليه بالرصاص والمدافع والسيوف »<sup>(٢)</sup> . وعلى الرغم من وصول الأخبار من كانديا بجزيرة كريت بقرب وصول النجدة المزعومة<sup>(٣)</sup> ، إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث . وكل ما فعلته البندقية طوال مدة الحصار كان إغارة واحدة على السفن العثمانية عند قنسطانزا Constanza شمالى فاما جوستا ، وأسفرت تلك الإغارة عن تدمير ثلاث سفن عثمانية ( يناير سنة ١٥٧١ )<sup>(٤)</sup> . وأخيراً ينست فاما جوستا واشتد بها الضيق ، ولا سيما بعد أن اشتد هجوم العثمانيين على المدينة ابتداءً من ٢١ يونية سنة ١٥٧١<sup>(٥)</sup> ، فاجتمع الناس وقرروا أن يرجوا الحاكم براجادين التسليم لإنقاذ أرواحهم وأموالهم وأعراضهم قبل أن يدخل العدو المدينة عنوة فيخسرون كل شيء<sup>(٦)</sup> . واختار أهل فاما جوستا الأسقف ماتيو جولفي Matteo Go:fi ليحمل ذلك الرجاء إلى الحاكم ، لكن براجادين رد على الأهالي مبشراً بقرب وصول النجدة ؛ وأرسل سفينة سريعة إلى كريت يخبر بسوء الحالة وخطورة الموقف ، دون مجيب<sup>(٧)</sup> .

---

(1) Idem ; p. 110.

(2) Cilepio «Idem ; p. 151».

(3) Idem ; p. 152.

(4) Hill ; Vol. III, pp. 944-945.

(5) Cilepio «Excerpta Cypria ; pp. 152-156».

(6) Paruta ; «Idem ; p. 115».

(7) Cilepio, «Idem ; p. 155».

وأخيراً نفذت الذخيرة أو كادت وأدرك الحاكم براجادين أنه لا مفر من التسليم ، وشاور قادة الحامية فأجمعوا على التسليم بشروط مرضيه فرفعت الأعلام البيضاء على فاما جوستا أول أغسطس سنة ١٥٧١<sup>(١)</sup> . وفي اليوم التالي تمت المفاوضات بين الطرفين وانتهت على أن يسمح مصطفى باشا لرجال الحامية بالإبحار إلى كريت على سفن عثمانية ، ومعهم سلاحهم وثلاث بطاريات وثلاثة خيول للقادة . وسمح القائد العثماني لأهالي فاما جوستا بالإبحار مع الحامية أو البقاء بالمدينة ، فمن يبق منهم بحياته وأمواله في حماية العثمانيين<sup>(٢)</sup> . ويبدو أن مصطفى باشا وافق على تلك الشروط وهو غير مستعد لتنفيذها<sup>(٣)</sup> . ذلك أنه أرسل أربعين سفينة إلى فاما جوستا فنزل فيها رجال الحامية . وفي اليوم الرابع من أغسطس تم نقل متاع الحامية ، وبذلك باتت فاما جوستا في أيدي العثمانيين الذين أخذوا يتدققون إليها ، مستعملين منتهى القسوة والعنف مع الأهالي ، مما جعل براجادين يرسل إلى مصطفى باشا يشكو إليه ويخبره أنه سيحضر بنفسه ليسلم مفاتيح المدينة ويطلب منه زيادة عدد السفن لنقل بقية الجند ومن شاء من الأهالي . واستجاب مصطفى باشا ، فأمر جنوده بوقف إطلاق النار ، وأرسل سفينتين أخرتين إلى فاما جوستا<sup>(٤)</sup> . ولما ذهب براجادين إلى مصطفى يحيط به كبار القادة أمثال باجليون ومارتننجو Martinengo وأنطون كيريني ، طلب مصطفى باشا ضمانا لعودة السفن التي سوف تنقلهم إلى كريت ، فرد عليه براجادين بأن شروط التسليم ليس فيها ما ينص على ذلك . وعندئذ احتدت المناقشة بين الطرفين وثار الباشا فأمر بقتل القادة الذين حضروا مع براجادين فقتلوا أمامه<sup>(٥)</sup> . أما رجال

---

(1) Idem ; p. 156.

(2) Paruta, «Excerpta Cypria», pp. 116—117.

(3) Oman ; A History of the Art of War in the Sixteenth Century )  
p. 729.

(4) Paruta, «Excerpta Cypria», p. 117. م ١٢

قبرس والحروب الصليبية

الحامية الذين كانوا بالسفن فأعيدوا إلى البر حيث ذبحوا عن آخرهم<sup>(١)</sup>. وأما  
براجادين فاكفى مصطفى باشا بقطع أنفه وأذنيه مؤقتا حتى إذا كان يوم الجمعة  
١٧ أغسطس سيق براجادين إلى الميدان الكبير بقاما جوستا وأجبر على تقبيل  
الأرض عدة مرات أمام مصطفى باشا، ثم طلب منه الباشا أن يعتنق الإسلام،  
فلما رفض أمر بذبحه، فذبح وسلخ جلده وحشى تبتا وقشا وطيف به أنحاء المدينة  
ثم نقل إلى سوريا والأناضول ليعرض على الناس<sup>(٢)</sup>. وبعد ذلك وضعت  
رؤوس القتلى من القادة فى صناديق وحملت إلى القسطنطينية<sup>(٣)</sup>. ويطول  
الكلام عن الفظائع التى ارتكبها العثمانيون إبان دخولهم المدينة، ويكفى منها  
هنا أنهم دخلوا كنيسة القديس فيقولا وفتحوا ما بها من قبور وبثروا عظامها  
ثم حطموا المذابح وهشموا صور القديسين<sup>(٤)</sup>. ويبدو أن مصطفى باشا فعل ذلك  
بقاما جوستا عقابا لها على عنادها الذى كلفه خسائر جسيمة أثناء حصارها<sup>(٥)</sup>.  
ثم غادر مصطفى باشا الجزيرة يوم ٢٤ أغسطس عائداً إلى القسطنطينية بعد أن  
وزع الحاميات اللازمة لمختلف المدن القبرسية<sup>(٦)</sup>.

وهكذا انتهت صفحة أخرى من صفحات الحروب الصليبية الضدية وذاقت  
قبرس من الفتح العثمانى سنة ١٥٧٠ أضعاف ما ذاقته من الفتح المملوكى  
سنة ١٤٢٦، ودفعت الجزيرة مرة أخرى — وربما للمرة الأخيرة — حساب  
ما أنزله ملوكها وقراصتها بالبلاد والمتاجر الإسلامية من خسائر خلال قرون طويلة

(1) Paruta, «Excerpta Cypris, p. 113».

(2) Ibid.

(3) Calepio «Idem ; p. 157».

(4) Paruta «Idem ; p. 119».

(5) Oman ; p. 729. ويجاول كريزى ( Creasy p. 218 ) أن يبرر هذه المذابح بأن تلك كانت روح العصر فى أوروبا . فسلم الثانى كان معاصرا لإيفان الرابع قيصر روسيا الملقب بالقسا الذى فى عهده استولى الروس على قلعة وتنشتين فى فنلندا فزقوا حاميتها إربا وشوى قائدها حيا . وفى فرنسا حدثت مذبحه بارثولوميو فى عهد شارل التاسع سنة ١٥٧٢ أى بعد مقتل براجادين بعام واحد .

(6) Paruta, «Excerpta Cypris, p. 119».

على أن سقوط قبرس وما أناء العثمانيون ببنقوسيا من ضروب الوحشية والقسوة أثار المسيحيين جميعاً لا على شواطئ البحر المتوسط فحسب ، بل في أوربا كلها . ونجح البابايوس الخامس في استغلال ذلك الشعور لإعادة تكوين الحلف المسيحي ضد العثمانيين ؛ فانضمت إليه المرة سافوى وفلورنس وجنوا وفرسان مالطة ، فضلاً عن الفانيكان والبنديقية وأسبانيا . وامتضى الأمر بتوقيع إتفاقية في مايو سنة ١٥٧١ للقيام بحملة صليبية ضد الأتراك على أن تجتمع هذه الحملة في مسينا<sup>(١)</sup> . غير أن الأساطيل المسيحية لم يتم اجتماعها في مسينا إلا في ٢٥ سبتمبر سنة ١٥٧١ — أى بعد سقوط فاما جوستا بثمانية أسابيع . ثم أبحرت تلك السفن إلى شواطئ اليونان حيث التحمت بالأسطول العثماني في ١٧ أكتوبر عند خليج لباتو Lepanto في معركة بحرية كبيرة . وانهت تلك المعركة بقتل خمسين سفينة عثمانية وقتل ثمانية آلاف وأسر سبعة آلاف من العثمانيين ، وتحرير عشرة آلاف من المسيحيين كانوا بالسفن العثمانية . وبذلك استطاع المسيحيون أن ينقموا الماحل بقبرس على يد العثمانيين<sup>(٢)</sup> . على أن ذلك الانتقام لم يحرر الجزيرة من الحكم العثماني ، إذ ظلت قبرس تابعة للسلطنة العثمانية حتى سنة ١٨٧٨ حين استولى عليها الإنجليز بمقتضى اتفاقية سلمية مع الباب العالي ؟

و بعد ، فإن تعرض قبرس — بحكم موقعها — لكثير من الغزوات في تاريخها الطويل ، وخضوعها فترة من الزمن لهمجية الأتراك العثمانيين ثم للإنجليز الذين أرادوا أخيراً أن يستولوا موقعها الفريد في فرض سيطرتهم الغاشمة على بلاد الشرق الأدنى المتحررة ، كل ذلك لم يفقد جزيرة قبرس طابعها الإغريقي السائد ، الأمر الذي يجعلنا نرجو لأهالي الجزيرة من الإغريق تحقيق أمانهم القومية وعودة جزيرتهم مرة أخرى إلى أحضان الوطن اليوناني .

---

(1) Oman ; A History of the Art of War in the Sixteenth Century, p 725.

(2) Cambridge Modern History, Vol. 3 p. 134 & Creasy p. 219.



# مراجع البحث

## (أولاً) المراجع العربية

### ( ١ ) المخطوطات

- ١ - ابن حبيب ( ت ٧٧٩ هـ ) شهاب الدين الحلبي الشافعي  
درة الأسلاك في دولة الأتراك  
نسخة مصورة في ثلاثة أجزاء - دار الكتب المصرية
- ٢ - ابن حجر ( ت ٨٥٣ هـ ) شهاب الدين بن علي بن حجر المسقلاني  
إنباء الغمر بأبناء العمر - المكتبة الأزهرية
- ٣ - المعري ( ت ٧٤٨ هـ ) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى  
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار  
مخطوط مصور في عشرين جزءاً - دار الكتب المصرية
- ٤ - العيني ( ت ٨٥٥ هـ ) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد  
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان  
مخطوط مصور - دار الكتب المصرية
- ٥ - المقرئ ( ت ٨٤٥ هـ ) تقى الدين أحمد بن علي  
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٣ ، ٤  
مخطوط مصور - دار الكتب المصرية
- ٦ - النويري ( ت ٧٧٥ هـ ) محمد بن قاسم بن محمد النويري الملكي  
الإسكندري

الإمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية  
في واقعة الإسكندرية - مخطوط في جزأين -  
دار الكتب المصرية

( ب ) الكتب المطبوعة

٧ - ابن الأثير ( ت ٥٦٣٠ ) : على بن أحمد بن أبي الكرم  
الكامل في التاريخ - لندن سنة ١٨٧٤ م .

٨ - أرسلان : الأمير شكيب

تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا  
وجزائر البحر المتوسط - القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .

٩ - البشارى : شمس الدين أبو عبد الله

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - لندن سنة ١٨٧٧ م .

١٠ - ابن بطوطة ( ت ٥٧٧٩ ) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم  
اللوأتى الطنجي .

تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .

( نشرها وحققها مع ترجمة فرنسية في أربعة أجزاء )

الأستاذان دفرمرى ، سنجوينيقي - باريس سنة ١٨٧٧ م .

١١ - البلاذرى ( ت ٢٧٩ هـ ) أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر  
فتوح البلدان - لندن سنة ١٨٦٦ م .

١٢ - توفيق اسكندر : سفارة بيرو ديبدو ومعااهدة تنازل مصر عن قبرس  
١٤٩٠ ( القاهرة ١٩٥٦ )

١٣ - ابن حوقل ( القرن الرابع الهجرى ) أبو القاسم محمد بن حوقل  
البغدادى

المسالك والممالك - لندن سنة ١٨٧٢ م

- ١٤ — ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله .  
للسالك والممالك — لندن سنة ١٨٨٩ م
- ١٥ — خليل بن شاهين الظاهري : غرس الدين  
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق للممالك  
صححه ونشره الأستاذ بولس راويس — باريس سنة ١٨٩٤ م
- ١٦ — الدينوري ( ت ٢٨٢ هـ ) أبو حنيفة أحمد بن داود  
الأخبار الطوال — لندن سنة ١٨٨٨ م
- ١٧ — السخاوي ( ت ٩٠٢ هـ ) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن  
التبر المسبوك في دبل السلوك — بولاق سنة ١٨٩٦ م
- ١٨ — السيوطي ( ت ٩١١ هـ ) جلال الدين بن أبي بكر  
غزوات قبرس ورودس — واين سنة ١٨٨٤ م
- ١٩ — صالح بن يحيى ( القرن التاسع الهجري )  
تاريخ بيروت — نشره وصححه لويس شيخو — بيروت ١٩٢٧ م
- ٢٠ — الطبري ( ت ٣١٠ هـ ) أبو جعفر محمد بن جرير  
تاريخ الرسل والملوك — لندن سنة ١٨٩٣ م
- ٢١ — كاله : باول  
منارة الإسكندرية في خيال الظل المصري ، وهي مجموعة  
من الأزجال والقصص كانت تمثل في خيال الظل في مصر  
الملوكي — قام بنشرها مع مقدمة تاريخية الأستاذ باول  
كاله — شتوتجارت سنة ١٩٣٠ م
- ٢٢ — السكرخي ( القرن الرابع الهجري ) أبو إسحق إبراهيم  
مسالك الممالك — لندن سنة ١٨٧٠ م

٢٣ — أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ) جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى  
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

حتى سنة ٧٤١ هـ طبعة القاهرة فى نسعة أجزاء (١٩٢٩ —

١٩٤٢) ، وبقية الكتاب طبعة كاليفورنيا سنة ١٩٣٢ —

نشر الأستاذ وليم بوبر

٢٤ — محمد مصطفى زيادة : مصر والحروب الصليبية (من رسائل الثقافة  
الحرية رقم ٣٩ منشورات وزارة الدفاع الوطنى) .

٢٥ — المسعودى (ت ٣٤٦ هـ) أبو المحاسن على بن الحسين بن على  
مروج الذهب ومعادن الجوهر — باريس سنة ١٨٧٤ م .

٢٦ — المقرئى (ت ٨٤٥ هـ) تقى الدين أحمد بن على

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (ج ١ ، ٢)

(مصححه ونشره الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة —

القاهرة سنة ١٩٣٦ — ١٩٤١ م)

٢٧ — ابن ميسر (ت ٦٧٧ هـ) محمد بن على بن يوسف بن جلب

أخبار مصر

(مصححه ونشره الأستاذ هنرى ماسيه — القاهرة سنة ١٩١٩ م)

٢٨ — ميخائيل عواد : المآصر فى بلاد الروم والإسلام — بغداد ١٩٤٨ .

٢٩ — ياقوت (ت ٦٢٦ هـ) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى

معجم البلدان — القاهرة سنة ١٩٠٦ م

## ثانياً - المراجع الأفريقية

- 1 - **Atiya, ( A. S. )**  
The Crusade in the Later Middle Ages, London, 1938.
- 2 - Cambridge Mediaeval History, Vol 4, Cambridge. 1942.
- 3 - Cambridge Modern History, Vol. 3, Cambridge 1907.
- 4 - **Gobham, ( C. D. )**  
(A) An Attempt at a bibliography of Cyprus, Nicosia, 1894.  
(B) Excerpta Cypria-Materials for a History of Cyprus. Cambridge, 1908.
- 6 - **Creasy ( E. S. )**  
History of the Ottoman Turks, London 1854, 1878.
- 7 - **Cyprus :**  
A Handbook prepared under the direction of the Historical Section of the British Foreign Office. London, 1920.
- 8 - **Eversley, ( Lord )**  
The Turkish Empire : Its Growth and Decay, London, 1917.
- 9 - **Febure, ( L )**  
A Geographical Introduction to History. London, 1932.
- 10 - **Gibbons, ( H. A. )**  
The Foundation of the Ottoman Empire, Oxford, 1916.
- 11 - **Grousset, ( R. )**  
Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem  
( 3 vols ) Paris, 1936.
- 12 - **Hammer, ( J. )**  
Histoire de l'Empire Ottoman depuis son Origine jusqu'a nos  
Jours - Traduit par J. J. Hellert. Paris, 1835-1843.

- 13 — Heyd, ( W. )**  
Histoire du Commerce de Levant au Moyen-Age ( 2 vols )  
Leipzig, 1885.
- 14 — Hill, ( G. )**  
A History of Cyprus ( 3 vols ) Cambridge, 1940—1948.
- 15 — Jauna, ( D. )**  
Histoire Générale des Royaumes de Chypre et de Jerusalem.  
Paris, 1747.
- 16 — Kantorowicz, ( E. )**  
Fredrick the Second London, 1931.
- 17 — King, ( E. J. )**  
The Knights Hospitallers in the Holy Land. London, 1931
- 18 — Lamb, ( H. )**  
(A) The Crusades : Iron men and Saints. London, 1934.  
(B) The Crusades : The Flame of Islam London, 1935.
- 20 — Lang, ( R. H. )**  
Chypre : Son Passé, Son Present et son Avenir. Paris, 1870
- 21 — Latrie, ( L. de Mas )**  
L'île de Chypre Sa Situation Presente et ses Souvenirs  
du Moyen Ages. Paris, 1870.
- 22 — Lavisse, ( E. ) & Rambaud ( A. )**  
Histoire Générale Paris, 1896
- 23 — Lucas, ( C. P. )**  
A Historical Geography of the Mediterranean and Eastern  
Colonies. Oxford, 1906.
- 24 — Ludwig, ( B. )**  
La Méditerranée ; Destinée d'une Mer ( 2 Vols ) New  
York, 1943.

**25 — Machaut, ( G. )**

La Prise de l'Alexandrie ou Chronique de roi Pierre 1er  
Lusignan Publiée par Mos Latrie, Geneve, 1877.

**26 — Makhlaras, ( L. )**

Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus.  
Edited by Dawkins. ( 2 vols ) Oxford, 1932.

**27 — Michaud :**

Histoire des Croisades ( 4 vols. ) Paris, 1867.

**28 — Norgate, ( K. )**

Richard the Lion Heart London, 1924.

**29 — D'Ohsson, ( M. C. )**

Tableau Général de l'Empire Othoman. Paris, 1824.

**30 — Oman, ( C W. C. )**

(A) A History of the Art of War in the Sixteenth Century.  
London, 1937.

(B) The Byzantine Empire. London, 1915.

**32 — Orr, ( C. W. J. )**

Cyprus under British Rule. London, 1918.

**33 — Recueil des Historiens des Croisades :**

(A) Historiens Orientaux ( Paris, 1867 ).

(B) „ Occidentaux ( Paris, 1840 ).

(C) „ Armeniens ( Paris, 1869 )

**34 — Schlumberger, ( G. )**

Prise de Saint Jean d'Acre En l'an 1291 Par l'armée de  
Soudan d'Egypte, Paris, 1914.

**35 — Semple, ( E. C. )**

The Influence of Geographical Environment, London, 1911

**36 — Stevenson, ( W. B. )**

The Crusaders in the East Cambridge, 1907

**37 — Stubbs, ( W. )**

Seventeen Lectures on Mediaeval and Modern History  
Oxford, 1900.

**38 — Vasiliev, ( A.A. )**

Histoire de l'Empire Byzantin ( 2 vols. ) Paris, 1932.  
( English Translation by S. Ragzon. Madison, 1928 ).

**39 — Wiet, ( G. )**

(A) L'Egypte Musulmane en Histoire de la Nation Egyptienne  
(B) L'Egypte Musulmane en Precis de l'Histoire d'Egypte.  
Le Caire, 1932.

**41 — Wright, ( J. K )**

Geographical Lore of the Time of the Crusades. New  
York, 1925.

**42 — Zlata, ( M.M. )**

(A) Foreign Relations of Egypt in the Fifteenth Century.  
(B) The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century  
( Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo ).

**43 — Imperial Byzantine Coins in the British Museum vol 11.**  
London, 1908.

**44 — Great Britain and the East ; Cyprus. February, 1937.**

**45 — Encyclopaedia Britannica ; U. S. A. ; 1932.**

**46 — Encyclopaedia of Islam, Leyden, 1913.**

**47 — Zambaur :**

Manuel de Généologie et de Chronologie pour l'Histoire de  
l'Islam. ( Hanovre, 1927 ).



# فهرس الأعلام

أسبانيا :

. ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٩ .

الإسبانية :

. ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ٥٠ ،

. ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ،

. ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٣ ،

. ١٦٥ .

إسحق الثاني أنجيلوس :

. ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٣ .

إسحق كومنين :

. ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

إسكندر باشا :

. ١٦٧ .

إسكندرية :

. ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ٧٨ ، ٧٩ .

. ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ .

. ١٠١ — ١٠٧ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

. ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٤٩ .

. ١٥١ .

الإسماعيلية :

. ٣٩ .

الأسود بن بلاك :

. ١١ .

آسيا (قارة)

. ٥٢ .

آسيا الصغرى :

. ٢ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ .

. ٣١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧١ ، ٨٥ .

. ١٠٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

. ١٣١ — ١٧٠ .

الأشوريون :

. ٤ .

(١)

إبراهيم الغازى :

. ٧٩ ، ٨٧ ، ٨٨ .

إبراهيم بك قرمان :

. ١٦٢ ، ١٦٣ .

الأتراك :

. ١٥ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧١ ، ٧٨ ، ١٢٧ ،

. ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٧٩ .

ابن الأنير :

. ٧ ، ١٤ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٧ .

أحمد ( ابن إيبال )

. ١٣٥ .

ادوارد الأول :

. ٤٩ .

ادوارد الثالث :

. ٥٧ .

أربان الخامس ( بابا )

. ٥٧ ، ٧٩ ، ١٥٧ .

أرسوف :

. ٤٦ .

أرضروم :

. ١٤٠ .

أرمناك ( أنظر قرمان )

أرمينا الصغرى :

. ١ ، ٣ ، ١٠ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٧٧ .

. ٧٨ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٥ .

. ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ١٦٠ .

أرناط :

. ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

أزمير :

. ٥٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،

. ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٦١ .

أصلانية :	أصاليا :
٢١ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٥١ .	١٣ .
أنطاليا :	أطنة :
٨٢ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .	١٤١ .
أنطون كيرين :	الإغريق :
١٧٧ .	٤ ، ٦ ، ١٩ ، ٣٠ ، ١٣١ ، ١٧١ .
أنقرة :	الأنقبة ( أنظر نيقوسيا ) .
١٤٠ .	أثينون :
أنوسنت الثالث :	٥٧ .
٣٧ .	آقبا القمرازي :
أنوسنت الرابع :	١٢٠ .
٤٣ .	أفريطنس ( أنظر كريت ) .
أنيسور ( أنغوري ) :	إكتشاي :
١٥٠ ، ١٥٨ .	١٦٠ .
أوريا :	أكرونيث :
٢١ ، ٢٩ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨ ، ١٠٤ ، ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٩ .	١٦٩ .
أوبس ( السلطان ) :	ألكس دي مونفرات :
٧٩ .	٤٢ .
إباس :	ألكسيوس كومنين :
٧٨ ، ٨٢ ، ١٤١ ، ١٥٧ .	٢١ ، ٢٢ .
أباسلون :	ألمانيا ( الألمان ) :
١٣٨ ، ١٥١ .	٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ١٣١ ، ١٦٨ .
أياكسي :	أمبروز :
١٣٦ .	١٣٩ .
إيجي :	الأموية ( الدولة ) :
١٣٩ .	٩ ، ١٢ .
أيدين :	الأميني :
١٣٢ .	١٥ .
إيزابلا :	أنامور :
٣٧ ، ٣٨ .	١٤٩ ، ١٥٩ .
إيطاليا :	إنجلترا ( الإنجليز ) :
٧٩ ، ٨٠ ، ١٦٦ .	٢٦ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٥١ ، ٥٧ ، ١٣٦ ، ١٧٧ .
	أندرونيق كومنين :
	٢٤ .
	أندرونيق الثالث :
	١٣٥ .
	أندرية الثاني :
	٣٩ .

برقه :  
٨٩ .  
بركى :  
١٣٥ ، ١٣٧ .  
برنجاريا :  
٢٦ ، ٢٧ :  
برنديزى :  
٤٢ .  
بريطانى .  
٥٧ :  
البقاوبه ( الباسك ) :  
٨٨ .  
البارى :  
١٧ ، ١٨ .  
البطلله :  
٤ .  
بطرس توماس :  
٥٦ ، ٦٧ ، ١٤٤ .  
بطرس كانل :  
١٥٦ .  
بطرس ( الأول لوزجنان ) :  
٤٤ ، ٥٦ — ٨١ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ،  
١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ —  
١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،  
١٥٧ ، ١٥٩ .  
بطرس لوزجنان ( الثانى ) :  
٨١ ، ٨٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ .  
ابن بطوطه :  
١٤٢ .  
بعلبك :  
٩ .  
بنفداد :  
١٣ ، ١٥ ، ٧٩ .  
أبو بكر الصديق :  
٨ ، ٤ .

إبنال ( السلطان ) :  
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .  
إبنال الحكى :  
١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ .  
إبنال الششمانى :  
١٠٢ .  
الأيوبيون ( الدولة الأيوبية ) :  
٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ١٢٧ .  
( ب )  
باجليون :  
١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ .  
بارسفل الكولونى :  
٥٨ .  
باريس :  
٥٧ .  
باسل ( المقدونى ) :  
١٥ .  
الباف ( بانوس ) :  
١٠١ ، ١٦٩ ، ١٧٣ .  
باليان إبلين :  
٤٦ .  
بانياس :  
٧٧ .  
بايزيد ( السلطان ) :  
١٦٠ ، ١٦١ .  
برابنت :  
٥٧ .  
براجدين :  
١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ .  
برسباى ( السلطان الأث ف ) :  
٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠١ ،  
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٤ ،  
١١٦ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ،  
١٦٢ .

بوهيموند النورمانى :  
 . ٢٢ ، ٢١  
 بيالى باشا .  
 . ١٧٤ — ١٦٥  
 بيرس ( السلطان الظاهر ) .  
 ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤  
 . ٨٥  
 بيت المقدس :  
 ١٩ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ —  
 ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٧ ، ٤٣ ، ٤١ ، ٣٨  
 . ٥٩ ، ٥٣  
 بيتوتى :  
 . ٥٩  
 بيروت :  
 ، ٩٣ ، ٩٠ ، ٨٢ ، ٧١ ، ٥٠ ، ٢٦ ، ٢٣  
 . ١٥٩ ، ١٢٩ ، ١٠٥ ، ٩٤  
 ييزا ( اليازنه ) .  
 . ١٣٦ ، ٥٣ ، ٥١ ، ٣٣  
 اليزنطيون ( الدولة اليزنطيه ) .  
 ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٢ ، ٨ ، ٧ ، ٤  
 . ٣٢ ، ٣٥ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩  
 بيوس الخامس :  
 . ١٧٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧  
 بيبو دويدو .  
 . ١٢٦

## ( ت )

تاج ( الأمير ) :  
 . ١٢٠  
 التار :  
 . ٥٤  
 تخمس الثالث :  
 . ٤  
 تركيا :  
 ١٤١

بلاشيا :  
 . ١٥٩ ، ١٥١  
 البلاذرى .  
 . ١٤ ، ٩  
 بلاكتيا .  
 . ٤٦  
 بلديون الأول .  
 . ٥٩  
 بلديون الثانى :  
 . ٢٣  
 بلديون الثالث :  
 . ٢٣  
 البلقان :  
 . ٢١  
 بندايا :  
 . ١٤٨  
 البندقية ( البنادقة ) .  
 ، ٦٢ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٥ ، ٥٣ ، ٥١  
 ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧١  
 ، ١٣٦ ، ١١٤ ، ١٠٨ ، ١٠٤ ، ١٠١  
 ، ١٣٩ ، ١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٣١ ، ١٢٩ ، ١٢٧  
 ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٥٨ ، ١٥٧  
 . ١٧٩ — ١٧٠ ، ١٦٨  
 بهرام باشا :  
 . ١٦٧  
 بوتاميا :  
 . ١١٣  
 بولدى بون .  
 . ١٥٠  
 بولاق :  
 ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٢ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩٠  
 . ١١٦  
 بونابرت :  
 . ٦٢  
 بوهيموند الثالث :  
 . ٢٨

جرائفل :  
١٦٨ .  
جرباش الكرمي :  
٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٠ .  
جربجوري التاسع :  
٤٣ .  
جربجوري العاشر :  
٥٠ .  
جستيان الثاني :  
١٠ ، ١٣ .  
أبو جعفر المنصور :  
١٢ ، ١٣ .  
جفقى ( السلطان ) :  
١٢٣ .  
جنفرا :  
٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .  
جنوا ( الجنويون ) :  
٥١ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،  
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١٢٥ ،  
١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،  
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٩ .  
جوانا :  
٢٦ ، ٢٧ .  
جودفري دى بوبون :  
٥٩ .  
جور هيجوس :  
٧٧ ، ٩١ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٢ ،  
١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦٣ .  
جيمس الثاني :  
٨٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٤٥ ، ١٢٦ .  
جيمس دى نور :  
١٤٣ .

( ح )

الحجاز :  
١٦٤ .  
أم حرام :  
٦ .

تاليا :  
١٣٦ .  
تفري بردى الطيارى :  
١٢٣ .  
تفري بردى الحمودى :  
١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ،  
١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ .  
نكا :  
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،  
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،  
١٦١ .  
نوس :  
٤٩ ، ٩٢ ، ١١٧ .  
بتمورلنك :  
١٣٧ ، ١٦١ .  
( ث )  
ناوداسيوس الأول :  
٤ .

( ج )

جاك لوزجنان :  
١٦١ .  
جانبك الإبلق :  
١٢٤ ، ١٣٥ .  
جانوس لوزجنان :  
٨٤ ، ٨٨ ، ١٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ،  
١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،  
١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ،  
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٦١ ،  
١٦٣ .  
جاي لوزجنان :  
٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ،  
٣٥ .

الجبرى :  
٦٢ .  
جبله :  
٧٧ .

حسن ( السلطان ) :

. ٥٩

ابن حنون :

. ٤٨

حطين :

. ٣٣

حلاسلطان نكي :

. ٨

حاب :

. ٧٨

حنس :

. ٥

حميد بن مميوف :

. ١٤

حنابلين :

. ٤١ ، ١٢

حنالتمان باليولوجس :

. ١٠٤

حنابرين :

. ٣٨ ، ٣٩

حنالكارمان :

. ١٤٦ ، ١٤٧

حنالتمان والمشرون ( البابا ) :

. ١٣٥ ، ١٣٦

حنالاول لوزجنان :

. ٥

حنالتمان لوزجنان :

. ٨٤ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤

حنالصورى :

. ٧٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦

حنالتمان ( ملك فرنسا ) .

حنالوصى ( :

. ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨١ ، ٨٣

حنالونسرى :

. ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٩

ابن حوقل :

. ١٨ ، ١٩

حنفا :

. ٤٦

( خ )

ابن خرداذبه :

. ٧

خشمدم ( السلطان ) :

. ١٢٥

خليل ( السلطان الأشرف ) :

. ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٨٥

خليل ( صلاح الدين بن عرام ) :

. ٦٢

الحوارزمية :

. ٤٣

خيموكتا :

. ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٦٣

( د )

داندولو :

. ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣

الداوية :

. ٢١ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ٥١

أبو الدرداء :

. ٦

الدردنيل :

. ١٣٩

درويش باشا :

. ١٦٧

دمشق :

. ١٠٦ ، ١٢٢

دمنانة :

قبرس والحروب الصليبية

روما (الرومان) :	دسهور :
.١٦٧، ١٥٧، ٤	. ٦٤
ريتشارد (قلب الأسد) :	ديايط :
. ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥	. ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٥٥، ٤٣، ٤٠، ٣٩
. ٣٦، ٣٤	. ١١٦، ١٠٥، ٩٤، ٩٣
ريتشارد كامفيل :	دوربا :
. ٢٩	. ١٧٣، ١٦٩
ريغوند الثالث :	دى توران (كونت) :
. ٢٨	. ٦٧
ربى :	(ذ)
. ١٤، ١٣	أبوذر القفازى :
(ز)	. ٦
زين الدين خالد :	(ر)
. ٦١	رأس المجوز :
(س)	. ٩٩
سافوى :	رأس الباق :
. ١٧٩	. ٩٠
سامرا :	رشيد :
. ١٥	. ١٠٦، ٥٩، ٣٨
سغلامورى :	الرهلة (صلح) :
. ١٦٣	. ٣٦
سجسوند :	روبرت نورنهام :
. ١٦٨	. ٣٠، ٢٩
سردينيا :	روبرت لوزجنان :
. ٣، ٢	. ١٤١
أبو السعود :	رودس :
. ١٦٦	. ٣، ٢٦، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٧٢
السلاجقة :	. ١٠٤، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٥، ١٣٧
. ١٣٣، ١٣٠، ١٢٩، ٢٧، ١٦	. ١٣٩، ١٤٢، ١٥١، ١٥٦، ١٦٧، ١٦٩
سلم الأول المثنى :	. ١٨٠
. ١٦٤	روسيا :
سلم الثانى المثنى :	. ٢٨
. ١٦٥، ١٦٥	الروم :
	. ٧، ٢





العرب ( جزيرة ) :

. ١٦٥

عكا :

. ٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٥ ،

. ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ،

. ٥٤ ، ٥٣

علاء الدين خليل بن قرمان :

. ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

علاء الدين بن خليل ( القرمانى ) :

. ١٦٠

علاء الدين الثالث ( كيقباد ) :

. ١٣١

العلايا :

. ١٠٤ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،

. ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

. ١٦٤

على بك قرمان :

. ٩٠٥ ، ١١٠ ، ١٦٢ .

عمر بك أيدين :

. ١٣٧

عمر بن الخطاب :

. ٥

عمرو بن العاص :

. ٥

العمري :

. ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٥٣ .

عمورى لوزجنان :

. ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ .

عين جالوت :

. ٤٤

عين الفزال :

. ١٠٠

العبي :

. ٩١ ، ٩٢ ، ١١٥ ، ١١٧ .

سرابلس ( الشام ) :

. ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٧٢ ، ٧٣ ،

. ٧٧ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١ ،

. ١٠٦ ، ١٤٩ ، ١٥٦ .

طرابلس ( الغرب ) :

. ٧٨

طرايزون :

. ١٣٢

طرشوس :

. ١٤

طغليل :

. ١٣

الطينة :

. ١٠١

( ع )

العادل ( السلطان ) :

. ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ .

عباده بن الصامت :

. ٨ ، ٦

العباسية ( الدولة ) :

. ١٢

عبد الله بن سعد بن أبي سرح :

. ٦

عبد الله بن قيس الجاسى :

. ٦

عبد الملك بن مروان :

. ١٠ ، ١١ ، ١٣ .

عثمان بن عفان :

. ٦ ، ٥

المثانيون ( بنو عثمان ، آل عثمان ) :

. ١٢٦ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

. ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٩ .

العراق :

. ١٦ ، ٧٩ .

(غ)

فلسطين :

. ٤٦

فلبوسن :

. ٩

فلورنسا :

. ١٧٩

فوكه :

. ١٣٥ ، ١٣٢

فوه :

. ٣٩ ، ٣٨

فيلب إيلين :

. ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦

فيلب الثاني (ملك أسبانيا) :

. ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣

فيلب دي فالوا :

. ١٣٥

فيلب مبرير :

. ٦٧ ، ٥٦

فيلو كاليس :

. ٢٢

فينقه :

. ١٦٩

الفينيقيين :

. ٤

(ق)

القاهرة :

. ٤٥ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٠١ ، ١٠١

. ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٨

. ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٢

قبايقاي (السلطان الأشرف) :

. ١٣٦

قباد :

. ١٦٧

غزة :

. ١٠٦

غلبالم الثاني (النورمان) :

. ٢٥

غيات الدين كيخسرو :

. ١٣٠

(ف)

فاخته :

. ٦

الفارسية (الدولة) :

. ٤

الفاطميون (الدولة الفاطمية) :

. ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤

فالقي :

. ١٧٣

فاماجوستا :

. ٨١ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٥٤ ، ٢٨

. ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣٦

. ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢

. ١٥٩ ، ١٧٠ — ١٧٩

فخر الدين (الأمير) :

. ٤٩

فردريك الثاني :

. ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢

الفرس :

. ٤

الفرنجة :

. ٢٥

فرنسا :

. ٢٧ ، ٤٣ ، ٥٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٦٨

فلاندرز :

. ٥٧ ، ١٦٨

قيصرية :	قرا مراد خجا :
. ٤٦	. ١١٧
قيليقه :	قرباس :
. ١٦ ، ١٣	. ١٤٨ ، ٩٥
(ك)	قرمان (أرمناك) :
كاترينا كورنارو :	. ١٠٤ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
. ١٣٦	. ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
كازمير الثالث :	. ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
. ٥٧	القرين :
كاستندرا :	. ٤٨
. ١٣٦	القسطنطينية :
كاليو :	. ٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
. ١٧٣	. ٤٩ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
كاليه :	. ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ،
. ٥٧	قفتالة :
الكامل (السلطان) :	. ١٢٠
. ٤٢ ، ٤١	قمطونى :
كانديا :	. ١٦١
. ١٧٦	القطلان :
الكتيلان :	. ١٢١
. ١١٠ ، ١٠٤	قلاون (السلطان) :
ابن كشير :	. ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٨٥ ،
. ٧	قسطانزا :
كراكاو :	. ١٧٦
. ٥٧	قسطانس الثانى :
الكرخى :	. ٨
. ١٨	قسطانطيا :
الكرك :	. ٧
. ٤٦	قسطانطين الثالث :
كريت :	. ٨
. ٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٦ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ،	قسطانطين الخامس :
. ١٢٧ ، ١٢٢	. ١٢
	قونية :
	. ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٦٠ ،

لياسول :

٢٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ،  
٩٠ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،  
١٠٩ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ .

ليو السادس :

١٥ .

ليون الخامس :

١٥٧ .

( م )

ماتيو جولني :

١٧٦ .

مارتنينجو :

١٧٧ .

ماري ( ملكة بيت المقدس ) :

٣٨ ، ٣٩ .

ماشو :

٦٧ ، ١٥١ ، ١٥٥ .

مالمطه :

٣ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٩ .

مانويل كومنين :

٢٢ ، ٢٣ .

المأسون :

١٥ ، ١٨ .

المجر :

١٦٥ .

أبو المحاسن :

١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٦ .

محمد ( السلطان الناصر ) :

٥٠ ، ٨٥ .

محمد رايس :

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

محمد صوفلي :

١٦٥ .

محمد بك بن قرمان :

١٦٢ .

مخاريس :

١٩ ، ٣٥ ، ٣٢ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ .

١٥٩ .

الكلب ( نهر ) :

٩٤ .

كليمنت الخامس :

٥٤ ، ٦٠ .

كليمنت السادس :

١٣٦ ، ١٣٨ .

كوكليا :

٩١ .

كونراد مونتفات :

٢٧ .

كيرنيا :

٢٩ ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٧٣ .

( ل )

اللاذقيه :

٢٢ ، ٢٤ ، ٧٧ ، ٩٢ .

لارناكا . ( انظر للملاحه ) :

لاخ :

٦ .

لبانتو :

١٧٩ .

لفكارا :

١٧١ .

لندنا :

١٠٧ .

لودلف سونن :

٥٥ ، ١٣١ .

لورنزو كسي :

٥٧ .

لويي الكبير ( ملك هنغاريا ) :

٥٧ .

لويي التاسع :

٤٣ ، ٤٩ ، ٥٩ .

ليجوريا :

١٣١ .

المقدّر :	المدائن :
. ١٥	. ٤
المقدونيون :	مدريد :
. ١	. ١٦٧
المقريزي :	مراد العناني :
. ٦١ ، ٦٠ ، ٤٦	. ٨٩
الكتف :	المرقب :
. ١٥	. ٥٠ ، ٢٩
مكسليان الثاني :	مرمر :
. ١٦٨ ، ١٦٥	. ١٣٥ ، ١٠
مكة :	مسلمة بن عبد الملك :
. ١١٧	. ١١
الملاحه ( لارناكا ) :	مسيحا :
. ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥	. ١٢٩ ، ٢٦
. ١٦٩	مصر ( المصريون ) :
منتشا :	. ٤ ، ٦ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٤٣ ،
. ١٦١	. ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
موسى سوارز :	. ٥٩ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١ ،
. ١٢٠	. ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
مولستري ( انظر حنا ) :	. ١٢٧ ، ١٥٣ ، ١٦٤
مونولوجات :	مصطفى باشا :
. ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤١	. ١٦٥ — ١٧٨
سيرا :	معاوية بن أبي سفيان :
. ١٤٥ ، ١٤٦	. ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٨ ،
( ن )	معاوية بن هشام :
ناصر الدين القرمانى :	. ١١
. ١٦١	المقتصر :
نافار :	. ١٥
. ٢٦	محبوب بن محي :
نقتاس :	. ١٤
. ١٦	مغنيسيا :
نقفور الأول :	. ١٣٢ ، ١٣٥
. ١٤	المفول :
نقفور الثاني فوقاس :	. ٤٤ ، ٤٧ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٥٧ ، ١٦١ ،
. ١٦ ، ١٥	المفيت الأيوبي ( الملك ) :
	. ٤٦

هو هشتاوشن :  
٣٤  
هيو الأول لوزجنان :  
١٣١ ، ١٣٠ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨  
هيو الثاني لوزجنان :  
٤٧ ، ٤٦ ، ٤٣  
هيو الثالث (الاضاكي) :  
٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦  
هيو الرابع لوزجنان :  
١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٥ ، ٥٦ ، ٥٥

### (و)

وليوليد :  
١٩  
الوليد بن يزيد بن عبد الملك :  
١٢ ، ١١

### (ي)

يافا :  
٣٦  
يزيد (ابن معاوية) :  
١١ ، ٩  
يزيد (ابن الوليد) :  
١٢  
يشبك قراقوش :  
١٠٧  
يلبغا الخامس :  
٨٧ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٢ ، ٦١  
يوسف ناسي :  
١٦٥  
يولاند :  
٤١  
اليونان :  
١٧٩  
يونس الأقباني :  
١٢٤

النسا :  
٥٧  
نورماندي :  
٥٧  
نوره :  
٣٩  
النويري (٤٤ بن قاسم) :  
٥٨ — ٨٢ ، ٨٧ ، ١٠٣  
نيقويوليس (موقعه) :  
١٦١  
نيقوسيا (الأفقيسية) :  
٢٨ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ١١٢ ،  
١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،  
١٥٥ — ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٩  
نيقولا (القديس) :  
١٦٩ ، ١٤٦

### (هـ)

هارون الرشيد :  
١٣ ، ١٤  
هرقله :  
١٤  
هلبغا باليولوجس :  
١٢٢  
همبرت :  
١٣٩  
همريوس :  
١٥  
هنري دي شامبني :  
٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨  
هنري الأول لوزجنان :  
٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣  
هنري الثاني لوزجنان :  
٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٠  
هنري السادس :  
٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠

## تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٦	٤	من ناحية البحر	من ناحية البر
٧٠	٦	أروبا	أوربا
٧٧	١	طرابس	طرابلس
٨٥	٢٠	خطير <sup>(١)</sup>	خطير <sup>(٢)</sup>
١٠٠	١٥	لم يكّد في حسابهم	لم يكن في حسابهم
١٧٦	١٢	وقرروا أن يرجوا	وقرروا أن يرجو

تم الكتاب بحمد الله

## صدر فى هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،  
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢،  
١٩٩٤.
- ٢ - على ماهر،  
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة،  
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.
- ٤ - التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،  
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية  
فى العصور الوسطى،  
د . عليّة عبد السميع الجزوى، ١٩٨٧.
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر جا،  
لمى المطيعي، ١٩٨٧.
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي،  
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية،  
د . على بركات، ١٩٨٧.
- ٩ - صلحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،  
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.
- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،  
حمود فوزي، ١٩٨٧.
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية،  
شكري القاضي، ١٩٨٧.
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير،  
د . نبيل راغب، ١٩٨٨.
- ١٣ - أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية  
تاريخية،  
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٨، ط ٢،  
١٩٩٤.
- ١٤ - مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى  
إلى قيام الدولة الطولونية،  
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الإسلامى،  
د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الإصلاح  
الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور  
الجمعية الخيرية (١٩٥٢-١٩٥٢)،  
د . حلمى أحمد شلبي، ١٩٨٨.
- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر  
العثمانى،  
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،  
د . على السيد محمود، ١٩٨٨.
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،  
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.
- ٢٠ - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩:  
المراسلات السرية بين سعد زغلول  
وعبد الرحمن فهمى،  
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.
- ٢١ - التصوف فى مصر إبان العصر العثماني.  
د . توفيق الطويل، ١٩٨٨.



٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة .  
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٠ .

٣٦ - المجتمع الإسلامى والغرب ج ٢ ،  
تأليف : هاملتون بويون، ترجمة : د. أحمد  
عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠ .

٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ  
الحركة الوطنية فى ربع قرن ،  
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠ .

٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى  
والاجتماعى فى العصر العثمانى ،  
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .

٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان  
( ١٨٢٤-١٨٢٧ ) ،  
د . جميل عبيد، ١٩٩٠ .

٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين  
١٩٤٨ ،  
د . عبدالمنعم الدسوقى الجميلى، ١٩٩٠ .

٤١ - محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية  
عصرية ،  
د . رفعت السعيد، ١٩٩١ .

٤٢ - تكوين مصر عبر العصور ،  
محمد شفيق غريال، ط ٢ ، ١٩٩٠ .

٤٣ - رحلة فى عقول مصرية ،  
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠ .

٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى  
العصر العثمانى ،  
د . محمد عفيفى، ١٩٩١ .

٤٥ - الحروب الصليبية ج ١ ،  
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم : د . حسن  
حبشى، ١٩٩١ .

٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية  
( ١٩٣٩ : ١٩٥٧ ) ،  
ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو،  
١٩٩١ .

٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر،  
جمال بدوى، ١٩٨٨

٢٣ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى  
ج ٢ ، إمام التصوف فى مصر: الشحرانى ،  
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨ .

٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية  
( ١٩١٩-١٩٣٦ ) ،  
د . نجوى كامل، ١٩٨٩ .

٢٥ - المجتمع الإسلامى والغرب ،  
تأليف : هاملتون جب وهارولد بويون،  
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى،  
١٩٨٩ .

٢٦ - تاريخ الفكر التريوى فى مصر الحديثة ،  
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩ .

٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١ ،  
تأليف : ألفريد ج . بلتر، ترجمة : محمد فريد  
أبو حديد، ١٩٨٩ .

٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢ ،  
تأليف : ألفريد ج . بلتر، ترجمة : محمد فريد  
أبو حديد، ١٩٨٩ .

٢٩ - مصر فى عهد الإخشيديين ،  
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩ .

٣٠ - الموظفون فى مصر فى عهد محمد على ،  
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠ .

٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،  
شكرى القاضى، ١٩٨٩ .

٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٢ ،  
لمى المطيعى، ١٩٨٩ .

٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الإفريقى : نظرة على  
الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،  
د . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩ .

٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ  
مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،  
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠ .

- ٤٧- تاريخ القضاء المصري الحديث،  
د. لطيفة محمد سالم، ١٩٩١.
- ٤٨- الفلاح المصري بين العصر القبطي  
والعصر الإسلامي،  
د. زبيدة عطا، ١٩٩١.
- ٤٩- العلاقات المصرية الإسرائيلية  
(١٩٤٨-١٩٧٩)،  
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٠- الصحافة المصرية والقضايا الوطنية  
(١٩٥٤-١٩٤٦)،  
د. سهير أسكندر، ١٩٩٣.
- ٥١- تاريخ المدارس في مصر الإسلامية،  
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار  
بالمجلس الأعلى للثقافة، في إبريل ١٩٩١)،  
أعدها للنشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٢- مصر في كتابات الرحالة والقصائل  
الفرنسيين في القرن الثامن عشر،  
د. إلهام محمد علي ذهلي، ١٩٩٢.
- ٥٣- أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة  
المماليك الجراكمة،  
د. محمد كمال الدين عز الدين علي، ١٩٩٢.
- ٥٤- الأقباط في مصر في العصر العثماني،  
د. محمد عفيفي، ١٩٩٢.
- ٥٥- الحروب الصليبية ج٢،  
تأليف: وليم السوروي ترجمة وتعليق: د.  
حسن حبشي، ١٩٩٢.
- ٥٦- المجتمع الريفي في عصر محمد علي:  
دراسة عن إقليم المنوفية،  
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٢.
- ٥٧- مصر الإسلامية وأهل الذمة،  
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢.
- ٥٨- أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة،  
د. إبراهيم عبدالله السلمي، ١٩٩٣.
- ٥٩- الرأسمالية الصناعية في مصر، من  
التمصير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١)،  
د. عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣.
- ٦٠- المعاصرون من رواد الموسيقى العربية:  
عبد الحميد توفيق زكي، ١٩٩٣.
- ٦١- تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث،  
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٢- هؤلاء الرجال من مصر ج٣،  
لمعي المطيعي، ١٩٩٣.
- ٦٣- موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ  
مصر الإسلامية،  
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين  
سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر:  
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٤- مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة  
والافتراء: دراسة وثائقية،  
د. محمد نعمان جلال، ١٩٩٣.
- ٦٥- موقف الصحافة المصرية من الصهيونية  
(١٨٩٧-١٩١٧)،  
د. سهام نصار، ١٩٩٣.
- ٦٦- المرأة في مصر في العصر الفاطمي،  
د. نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣.
- ٦٧- مساعي السلام العربية الإسرائيلية:  
الأصول اثنائية،  
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار  
بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم  
التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، في  
إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر: د. عبد العظيم  
رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٨- الحروب الصليبية ج٣،  
تأليف: وليم السوروي  
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ١٩٩٣.
- ٦٩- نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية  
(١٨٨٩-١٩٥١)،  
د. محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤.

٨٢ - مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى  
إلى قيام الدولة الطولونية،

د . سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤ .

٨٣ - مذكراتى فى نصف قرن ج١،

أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤ .

٨٤ - مذكراتى فى نصف قرن ج٢ - القسم  
الأول،

أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥ .

٨٥ - تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية  
(١٩٣٤ - ١٩٥٢)،

د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥ .

٨٦ - تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية  
الاقتصادية (١٨٤٠ - ١٩١٤)،

د. أحمد انشربى، ١٩٩٥ .

٨٧ - مذكرات اللورد كليرن، ج ٢، (١٩٣٤ -  
١٩٤٦)،

إعداد: تريغور إيفانز، ترجمة وتحقق: د.  
عبدالرؤف أحمد عمرو ١٩٩٥ .

٨٨ - التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى  
المصرية،

عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥ .

٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية فى العصر  
العثمانى،

د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥ .

٩٠ - معاملة غير المسلمين فى الدولة  
الإسلامية،

د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦ .

٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،

تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى  
الجمال، ١٩٩٦ .

٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية  
(١٩١٩ - ١٩٣٦)،

ج ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦ .

٧٠ - أهل الذمة فى الإسلام،

تأليف: أ. س. ترتون

ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤ .

٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦)،

إعداد: تريغور إيفانز، ترجمة: د. عبد الرؤوف  
أحمد عمرو، ١٩٩٤ .

٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية  
فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ)،

د . أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤ .

٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة،

- رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤ .

٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية، ج١، فى  
العصر الفرعونى،

د . سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤ .

٧٥ - أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى  
الأول،

د . سلام شافعى محمود، ١٩٩٥ .

٧٦ - دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى  
(زمن الاحتلال البريطانى)،

د . سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥ .

٧٧ - الحروب الصليبية ج٤،

تأليف: وليم السورى، ترجمة وتعليق: د .  
حسن حبشى، ١٩٩٤ .

٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،

نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥ .

٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى  
القرن التاسع عشر،

تأليف: فريد دى يونج، ترجمة: عبد الحميد  
فهمى الجمال، ١٩٩٥ .

٨٠ - قناة السويس والتقاليف الاستعمارية  
الأولى (١٨٨٢-١٩٠٤)،

د . السيد حسين جلال، ١٩٩٥ .

٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية من  
هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،

د . رمزى مبخائيل، ١٩٩٥ .

- ١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢  
د. تيسير أبو عرجة
- ١٠٣ - رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره  
د. علي بركات
- ١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)  
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد
- ١٠٥ - السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية ١٨٠٥ - ١٩٨٧ .  
د. أحمد فارس عبد المنعم
- ١٠٦ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن).  
د. سليمان صالح
- ١٠٧ - الأصولية الإسلامية.  
تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبد الحميد فهمي الجمل.
- ١٠٨ - مصر للمصريين ج ٤ .  
سليم النقاش
- ١٠٩ - مصر للمصريين ج ٥ .  
سليم النقاش
- ١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ج ١ .  
د. البيومي إسماعيل الشربيني.
- ١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ج ٢ .  
د. البيومي إسماعيل الشربيني.
- ١١٢ - إسماعيل باشا صدقي  
د. محمد محمد الجوادى.
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصري)  
د. عز الدين إسماعيل.
- ١١٤ - دراسات في تاريخ مصر الاجتماعى  
تأليف أحمد رشدى صالح

- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصرى (١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،  
د. نبيه بيومي عبدالله، ١٩٩٦ .
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،  
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦ .
- ٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة) ،  
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان
- ٩٦ - عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،  
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.
- ٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصرى في النصف الأول من القرن التاسع عشر،  
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية ،  
د. محمد سيد محمد.
- ٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى - الرومانى) ج ٢ ،  
د. سمير يحيى الجمل
- ١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة ،  
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار،  
أ. د. محمد إبراهيم بكر، أ. د. إبراهيم نصحي ،  
أ. د. فاروق القاسمى ، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان
- ١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،  
اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير ، اللواء/  
عبدالمجيد كفافى ،  
اللواء/ سعد عبدالغنيظ، السفير/ جمال منصور

- ١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ج ٣ .  
أحمد شفيق باشا .
- ١١٦ - أديب اسحق (عاشق الحرية)  
علاء الدين وحيد
- ١١٧ - تاريخ القضاء في مصر العثمانية  
(١٥١٧ - ١٧٩٨)
- عبد الرزاق إبراهيم عيسى
- ١١٨ - النظم المالية في مصر والشام  
د. البيومي اسماعيل الشربيلي
- ١١٩ - النقابات في مصر الرومانية  
حسين محمد أحمد يوسف
- ١٢٠ - يوميات من التاريخ المصري الحديث  
لويس جرجس
- ١٢١ - الجلاء لوحدة وادي النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤)  
د. محمد عبد الحميد الحناوي
- ١٢٢ - مصر للمصريين ج٦  
سليم خليل النقاش
- ١٢٣ - السيد أحمد البدوي  
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
- ١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية في  
نصف قرن  
د. محمد نعمان جلال
- ١٢٥ - مصر للمصريين ج٧  
سليم خليل النقاش
- ١٢٦ - مصر للمصريين ج٨  
سليم خليل النقاش
- ١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ - ١٩٥٨)،  
إبراهيم محمد محمد إبراهيم .
- ١٢٨ - معارك صحفية،  
بقلم/ جمال بدوي .
- ١٢٩ - الدين العام (وآثره في تطور الدين المصري)  
(١٨٧٦-١٩٤٣) .
- د. يحيى محمد محمود
- ١٣٠ - تاريخ نقابات الفنانين في مصر  
(١٩٨٧-١٩٩٧) .  
سمير فريد .
- ١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ م.  
ترجمة/ د. عبدالرؤف أحمد عمر .
- ١٣٢ - دار المندوب السامي في مصر ج١  
د. ماجدة محمد حمود .
- ١٣٣ - دار المندوب السامي في مصر ج٢ .  
د. ماجدة محمد حمود .
- ١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط  
عثماني للدارندلي .  
بقلم/ عزت حسن أفندي الدارندلي  
ترجمة/ جمال سعيد عبد القنى .
- ١٣٥ - اليهود في مصر المملوكية  
(في ضوء وثائق الجيزة)  
(٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) د. محاسن  
محمد الوقاد
- ١٣٦ - أوراق يوسف صديق  
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمحان
- ١٣٧ - تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي  
د. محمد عبد القنى الأشقر
- ١٣٨ - الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني  
والإرهاب في مصر  
السيد يوسف
- ١٣٩ - موسوعة الفناء المصري في القرن العشرين  
بقلم محمد قابيل
- ١٤٠ - سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول  
من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ - ١٢٦٥ هـ  
١٨١١ - ١٨٤٨ م .
- طارق عبد العاطي غنيم بيومي
- ١٤١ - رسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك .  
لطفي أحمد نصار
- ١٤٢ - مذكراتي في نصف قرن ج٣  
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩ .

- ١٤٣ - دبلوماسية البطالة في القرنين الثاني والأول ق . م  
د. منيرة محمد الهمشري
- ١٤٤ - كشوف مصر الأثرية في عهد الخديوي اسماعيل  
د. عبدالمليم خلاف
- ١٤٥ - النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م)  
د. منيرة محمد الهمشري
- ١٤٦ - المرأة في مصر الملكية  
د. أحمد عبدالرازق
- ١٤٧ - حسن البنا متى... كيف... ولماذا؟  
د. رفعت السعيد
- ١٤٨ - القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية  
تأليف / د. سمير فوزي  
ترجمة / نسيم مجلى
- ١٤٩ - العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر  
حسام محمد عبد المعطى
- ١٥٠ - تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)  
د. سمير يحيى الجمال
- ١٥١ - جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة  
الميد يوسف
- ١٥٢ - الطبقات الشعبية في القاهرة الملكية (١٢٥٠ - ١٥١٧ م)  
د. محاسن محمد الوقاد
- ١٥٣ - الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)  
د. عليا عبد السميع الجنزورى
- ١٥٤ - هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى  
د. عليا عبد السميع الجنزورى
- ١٥٥ - عصر محمد على ونهضة مصر في القرن التاسع عشر  
(١٨٠٥ - ١٨٨٣ م)  
د. عبد الحميد البطريق
- ١٥٦ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية الجزء الثالث  
في العصر الإسلامى  
د. سمير يحيى الجمال
- ١٥٧ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية الجزء الرابع  
في العصر الإسلامى والحديث  
د. سمير يحيى الجمال
- ١٥٨ - نائب السلطنة الملكية في مصر (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)  
د. محمد عبد الغنى الأشقر
- ١٥٩ - حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)  
الجزء الأول  
د. محمد فريد حشيش
- ١٦٠ - حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)  
الجزء الثانى  
د. محمد فريد حشيش
- ١٦١ - السيف والنار في السودان  
تأليف / سلاطين باشا
- ١٦٢ - السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ - ١٩٥٣ م)  
د. تمام همام تمام
- ١٦٣ - مصر والحملة الفرنسية  
المستشار/ محمد سعيد الشماوى
- ١٦٤ - الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠٠٠ . ٢١ ديسمبر ١٩٩٧ .  
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
- ١٦٥ - التعليم والتغير الاجتماعى فى مصر (فى القرن التاسع عشر)  
سامى سليمان محمد المههم
- ١٦٦ - ملذكريات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ

مصر)

السيد يوسف

١٦٧- الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح

العربي إلى نهاية الدولة الأخشيدية

د. صفى على محمد عبدالله

١٦٨- مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات

يسرى عبد القلى

١٦٩- مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى

نهاية عصر الفاطميين (٢١ - ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ -

١١٧١ م)

د. صفى على محمد عبد الله

١٧٠- القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

مجدى عبد الرشيد بحر

١٧١- تاريخ الجالية الأرمنية في مصر

القرن التاسع عشر

تأليف / محمد رفعت

١٧٢- تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية

(من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)

الجزء الأول

تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٣- تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية

(من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)

الجزء الثانى

تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٤- مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع

ق م

د. أحمد عبد الحليم دراز

١٧٥- محمد توفيق نسيم باسا ودوره في الحياة

السياسية

عادل إبراهيم الطويل

١٧٦- الملاحاة النيلية في مصر العثمانية

١٥١٧ - ١٧٩٨ م

د. عبدالحميد حامد سليمان

١٧٧- سياسة مصر العسكرية

أزاء حروب الشرق الأوسط

لواء دكتور/ صلاح سالم

١٧٨- العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى

في القرن الثامن عشر

د. سحر على حنفى

١٧٩- دور الحماية العثمانية في تاريخ مصر

(١٥٦٤ - ١٦٠٩ م)

د. عفاف مسعد السيد العبد

١٨٠- الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة

السويس

بقلم / د. عبدالعظيم رمضان

١٨١- الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد

جـ١)

ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى

١٨٢- الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد

جـ٢)

ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى

١٨٣- شاهد على العصر

مذكرات محمد لطفى جمعة

١٨٤- المتوفية في القرن الثامن عشر

ياسر عبد المنعم محاريق

١٨٥- تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى

١٨٢٠ - ١٨٨٥ م

د. أحمد أحمد سيد أحمد

١٨٦- العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام

والتصوف

د. أحمد صبحى منصور

- ١٨٧ - نيابة حلب في عصر سلاطين  
المماليك ( ١٢٥٠ - ١٥١٧ م /  
٦٤٨ - ٩٢٣ هـ ) ج ١  
د. عادل عبد الحافظ حمزة
- ١٨٨ - نيابة حلب في عصر سلاطين  
المماليك ( ١٢٥٠ - ١٥١٧ م /  
٦٤٨ - ٩٢٣ هـ ) ج ٢  
د. عادل عبد الحافظ حمزة
- ١٨٩ - يهود مصر منذ عصر  
الفراعة حتى عام ٢٠٠٠ م  
عرفه عبده على
- ١٩٠ - العلاقات السياسية بين مصر  
والعراق ( ١٩٥١ - ١٩٦٣ م )  
د. عبد الحميد عبد الحنيل  
أحمد شلبي
- ١٩١ - اليهود في مصر العثمانية حتى  
أوائل القرن التاسع عشر ج ١  
د. محسن على شومان
- ١٩٢ - اليهود في مصر العثمانية حتى  
أوائل القرن التاسع عشر ج ٢  
د. محسن على شومان
- ١٩٣ - الامام محمد عبده بين المذهب  
الديني الاجتماعي  
د. عبد الله شحاته
- ١٩٤ - تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية  
المصرية  
د. فتحى الصنفاوى
- ١٩٥ - مجتمع افريقيا في عصر الولاة  
د. نريمان عبد الكريم أحمد
- ١٩٦ - تاريخ تفلور الرى في مصر
- ( ١٨٨٢ - ١٩١٤ م )  
عبد العظيم محمد سعدى
- ١٩٧ - القدس الخالدة  
د. عبد الحميد زايد
- ١٩٨ - العلاقات السياسية بين  
الدولة الأيوبيّة  
والامبراطورية  
الرومانية المقدسة زمن  
الحروب الصليبية  
د. عادل عبد الحافظ حمزة
- ١٩٩ - المعبد في الدولة  
الحديثة في مصر  
الفرعونية  
(تنظيمه الإدارى ودوره السياسى)  
د. بهاء الدين إبراهيم محمود
- ٢٠٠ - تاريخ سواحل مصر  
الشمالية عبر العصور  
(أعمال الندوة التى أقامتها  
لجنة التاريخ والآثار بالمجلس  
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع  
كلية الآداب جامعة الإسكندرية  
فى يومى ٢٢، ٢٣ ابريل  
١٩٩٨م)
- اعداد/ د. عبدالعظيم رمضان



- ٢٠١ - إمارة الحج في مصر  
العثمانية (٩٢٣ - ١٢١٣ هـ  
/ ١٥١٧ - ١٧٩٨ م)  
مديرة فهمى على عمر  
٢٠٢ - المندوبيون الساميون في  
مصر  
د. ماجدة محمد حمود  
٢٠٣ - الصراع الدولي على عدن  
والدور المصرى  
فتحى أبو طالب  
٢٠٤ - العلاقات الاقتصادية بين  
مصر وبريطانيا (١٩٣٥ -  
١٩٤٥ م)  
مرقت صبحى غالى  
٢٠٥ - تاريخ الغربية وأعمالها  
في العصر الاسلامى (٢١ -  
٥٦٧ هـ / ٦٤٢ - ١١٧١ م)  
السيد محمد أحمد عطا
- ٢٠٦ - مصر للمصريين ج٩  
سليم خليل النقاش  
٢٠٧ - الظاهر بيبرس  
د. سعيد عبدالفتاح عاشور  
٢٠٨ - الدور المصرى والعربى  
فى حرب تحرير الكويت  
ج١  
لواء/ د. كمال أحمد عامر  
٢٠٩ - الدور المصرى والعربى  
فى حرب تحرير الكويت  
ج٢  
لواء/ د. كمال أحمد عامر  
٢١٠ - قبرس والحروب الصليبية  
د. سعيد عبدالفتاح عاشور

### مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٩١٥ / ٢٠٠٢

يتناول هذا الكتاب «قبرس والحروب الصليبية»  
وينقسم إلى خمسة أبواب ويتناول الباب الأول  
علاقة قبرس بالدولة الإسلامية حتى زمن الحروب  
الصليبية، ويتحدث الباب الثاني عن دخول قبرس  
دائرة الحروب الصليبية، أما الباب الثالث فيتحدث  
عن قبرس ودولة المماليك الأولى، ويتحدث الباب  
الرابع عن قبرس ودولة المماليك الثانية، أما الباب  
الخامس فيتحدث عن قبرس والترك في آسيا  
الصغرى.